بحوث في الدعوة

إعداد
نوال بنت محمد بن علي عبد الله الصالح

الطبعة الأولى
١٤٣٣هـ

شركة الطابع الأهلية للأوفست المحدودة
National Offset Printing Press Ltd. Co.

شركة المطابع الأهلية للأوفست المحدودة
National Offset Printing Press Ltd. Co.

بحوث في الدعوة

إعداد

نوال بنت محمد بن علي عبد الله الصانع

الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ

حقوق الطبع محفوظة

ⓒ نوال محمدعلي الصانع، ١٤٣٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الصانع ، نوال محمد علي

بحوث في الدعوة. / نوال محمد علي الصانع. - الرياض ، ١٤٣٢هـ.

٢٨٨ ص ؛ ١٧ x ٢٤ سم

ردمك : ٣ - ٨٧٠١ - ٠٠ - ٦٠٣ - ٩٧٨

١ - الدعوة الإسلامية أ . العنوان

ديوي ٣١٢ ١٠٣٢٦ / ١٤٣٢

رقم الإيداع : ١٠٣٢٦ / ١٤٣٢

ردمك : ٣ - ٨٧٠١ - ٠٠ - ٦٠٣ - ٩٧٨

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

أهدي أول نتاجٍ علميٍّ لي: لأول من وقعت عيني عليهما في هذه الدنيا، وأول من نطق لساني باسمهما؛ لوالدَيّ الكريمين، حفظهما الله ورعاهما ومتّعهما على طاعته وعمل صالح. وهذا النتاج ثمرة تعبهما وتربيتهما، ولعلّي أن أكون قد حققت بهذا المؤلف شيئاً من تَطلُّعاتهما. فجزاهما الله عني خير الجزاء، ولا أجد لهما مكافأة إلا صالح الدعاء.

كما أهدي هذا النتاج لمن وقف معي في حياتي التعليمية الجامعية وما بعدها، ولولا توفيق الله ثم وقفاته الصادقة لما تحقق لي ما تحقق، أقدم هذا المؤلَّف إهداء له مني على تلك الوقفات، فتَقَبَّلْ مني أبا عبد العزيز هذه الورقات.

المقدمة

الحمد لله الذي سهّل لعباده المتقين إلى مرضاته سبيلاً، وأوضح لهم طرق الهداية وجعل اتّباعَ الرّسول عليها دليلاً، واتخذهم عبيداً له فأقروا له بالعبودية ولم يتخذوا من دونه وكيلاً، وكتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه لما رضوا بالله ربّاً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً، واختص هذه الأمة بأنه لا تزال فيها طائفة على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمره ولو اجتمع الثقلان على حربهم قبيلاً، ويدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، ويُبصِّرون بنور الله أهل العمى، ويُحيون بكتابه الموتى، فهم أحسن الناس هدياً وأقومهم قيلاً.

وأشهد أن محمداً عبده المصطفى، ونبيه المرتضى، ورسوله الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، أرسله رحمة للعالمين، ومحجة للسالكين، وحجة على العباد أجمعين، أرسله على حين فترة من الرسل فهدى به إلى أقوم الطرق، وأوضح السبل، وافترض على العباد طاعته، وتعظيمه وتوقيره وتبجيله، وسدَّ إليه جميع الطرق فلم يفتح لأحد إلا من طريقه، فشرح له صدره، ورفع له ذكره، وعلَّم به من الجهالة، وبصَّر به من العمى، وأرشد به من الغي، وفتح به أعيناً عمياً، وآذاناً صماً، وقلوباً غلفاً، فلم يزل ﷺ قائماً بأمر الله لا يرده عنه راد، داعياً إلى الله لا يصده عنه صاد، إلى أن أشرقت برسالته الأرض بعد ظلماتها، وتألفت القلوب بعد شتاتها، وسارت دعوته سير الشمس في الأقطار، وبلغ دينه ما بلغ الليل والنهار، فلما أكمل الله به الدِّين، وأتم به النعمة على عباده المؤمنين، استأثر به ونقله إلى الرفيق الأعلى من كرامته، ففارق الأمة وقد تركها على المحجة

البيضاء التي لا يزيغ عنها إلا من كان من الهالكين، فصلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، صلاة دائمة بدوام السموات والأرضين مقيمة عليهم أبداً لا تروم انتقالاً عنهم ولا تحويلاً إلى يوم الدين[١].

أما بعد:

فقد تضمن هذا الكتاب اثني عشر بحثاً في الدعوة إلى الله، كنت كتبتها في السنة المنهجية لبرنامج الماجستير في قسم الدعوة والاحتساب، بكلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وذلك في العام الجامعي ١٤٢٧هـ - ١٤٢٨هـ. وقد بذلتُ في إعدادها جهداً ووقتاً، وقد وقعتْ هذه البحوث موقع الاستحسان والإشادة من أساتذتي الفضلاء، وأستاذاتي الفُضْلَيات؛ فأحببت جمعها وإخراجها في كتاب، لعلها أن تكون من العلم النافع والعمل الصالح الذي يجري لصاحبه الأجر والثواب، وهو ميت مدفون تحت التراب.

وموضوعات هذه البحوث كان أكثرها من اختيار الأساتذة والأستاذات الذين درّسوني في هذه المرحلة، جزاهم الله عني خير الجزاء وأوفره.

وقد سلكت في إعدادها المنهج العلمي لكتابة البحوث العلمية كتوثيق المعلومة من مصادرها الأصيلة، وتخريج الأحاديث من كتب السنة المسندة، والتعريف بالمصطلحات العلمية، وتفسير الكلمات الغريبة ونحو ذلك.

وقد رتبت هذه البحوث على النحو الآتي:

١- تعريف الدعوة والاحتساب والتطوع فيهما.

٢- هداية الساري بإجابة الأسئلة الخاصة بالداعي.

٣- الروضَةُ النّدِيّة في إجابة الأسئلة المتعلقة بالمدْعُوِّ في السنة النبوية.

---

(١) مقتبسة بشيء من التصرف من مقدمة ابن القيم لكتابه: مفتاح دار السعادة.

٤- موضوع الدعوة.

٥- القرآن والدعوة.

٦- صور احتسابية من العهد النبوي وحتى العهد العباسي.

٧- غايات الدعوة وأهدافها.

٨- أساليب الدعوة.

٩- التمثيل واستخدامه في الدعوة إلى الله.

١٠- معوِّقات الدعوة.

١١- فوائد دعوية من محاورة إبراهيم لقومه كما وردت في سورة الأنبياء.

١٢- فوائد دعوية من محاورة إبراهيم لأبيه كما وردت في سورة مريم.

والله أسأل التوفيق والسداد، وأن آتي ربي بقلب سليم يوم المعاد،،،

نوال بنت محمد بن علي الصانع

٢٨/ ٧/ ١٤٣٢هـ

البحث الأول

تعريف الدعوة والاحتساب والتطوع فيهما

أولاً : تعريف الدعوة في اللغة والاصطلاح :

الدعوة لغة:

قال ابن فارس[١]: «الدال والعين والحرف المعتل أصل واحد، وهو أن تميل الشيء بصوت وكلام يكون منك، تقول: دعوت أدعو دعاءً».

ومن خلال تتبع كتب اللغة فإن كلمة الدعوة تطلق على معان منها: الطلب، والسؤال، والدعاء، والنداء، والاستمالة. يقال: دعا بالشيء: طلب إحضاره، ودعا إلى الشيء: حثه على قصده، ويقال: دعاه إلى القتال، ودعاه إلى الصلاة، ودعاه إلى الدِّين، وإلى المذهب: حثه على اعتقاده وساقه إليه.

وفي المعجم الوسيط: «يقال: دعا الشيء: طلب إحضاره، ودعا إلى الشيء: حث على قصده، يقال: دعاه إلى القتال، ودعاه إلى الصلاة، ودعاه إلى الدين، وإلى المذاهب: حثّه على اعتقاده وساقه إليه» [٢].

الدعوة اصطلاحاً:

ذُكرت عدة تعاريف للدعوة منها:

---

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة ٢/ ٢٧٩، مادة: دعو.

وابن فارس هو: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين، من أئمة اللغة والأدب، كانت ولادته سنة ٣٢٩هـ ووفاته سنة ٣٩٥، له عدة تصانيف في اللغة والأدب من أشهرها: معجم مقاييس اللغة، وجامع التأويل في تفسير القرآن، والفصيح، وتمام الفصيح، وغيرها. تنظر ترجمته في: بغية الوعاة ١/ ٣٥٢، ووفيات الأعيان ١/ ١١٨.

(٢) انظر: المعجم الوسيط مادة: دعا ١/ ٢٨٦.

التعريف الأول:

إن الدعوة إلى الله هي: حثّ الناس على الخير والهدى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل [١].

ويناقش هذا التعريف من وجهين:

الوجه الأول: أن فيه تكراراً؛ فإن حثّ الناس على الخير داخل في الأمر بالمعروف.

الوجه الثاني: أغفل كون الدعوة علماً كسائر العلوم.

التعريف الثاني:

إن الدعوة هي: «إنقاذ الناس من ضلالة أو شر وقع بهم، وتحذيرهم من أمر يخشى عليهم الوقوع في بأسه» [٢].

ويناقش هذا التعريف من وجهين:

الوجه الأول: أن الدعوة ليست مجرد إنقاذ، وإنما هي بلاغ بعد علم، فالإنقاذ نتيجة من نتائج الدعوة، والداعية قد يستجاب له فيحصل بدعوته الإنقاذ، وقد لا يستجاب له فلا يحصل للمدعوّين الإنقاذ كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾ [٣].

الوجه الثاني: أنه تعريف غير جامع؛ حيث خرج بهذا التعريف دعوة الناس إلى السنن والمستحبات، فهذه تعدّ دعوة وإن لم يكن فيها إنقاذ للناس من ضلالة أو شر واقع بهم.

---

(١) ينظر: هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، لعلي محفوظ ص ١٧.

(٢) ينظر: الدعوة إلى الإصلاح، لمحمد الخضر حسين ص ١٧.

(٣) الآية ٢٠ من سورة آل عمران.

التعريف الثالث:

الدعوة هي: «تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه إياهم، وتطبيقه في واقع الحياة»[١].

وهذا التعريف هو المختار، لأنه مبني على المعنى اللغوي للدعوة، وهو: «الطلب والحث على الشيء والسَّوق إليه».

كما أنه ينبغي أن يكون التعريف الاصطلاحي شاملاً لمراحل الدعوة الثلاث: التبليغية، والتكوينية، والتنفيذية، التي تعدّ عناصر عمل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عامة، وعمل نبينا محمد ﷺ خاصة.

فقد بيّن الله عز وجل عمل رسوله ﷺ الداعية الأول للإسلام، وفصّله بما يشمل هذه العناصر الثلاثة في أكثر من موضع في كتابه، فقال سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[٢].

فقد شمل قوله تعالى: ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ﴾ البيان والتبليغ، وهو العنصر الأول من عناصر الدعوة، كما شمل قوله: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ التربية والتعليم، أو ما يعبر عنه عادة في المصطلح الدعوي (التكوين) كما شمل قوله: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ التطبيق والتنفيذ؛ لأن الكتاب هنا القرآن الكريم، والحكمة هنا: السنة النبوية، كما ذهب إلى ذلك جمهور العلماء[٣]، والسنة في حقيقتها الطريق، أي: طريقة تطبيق هذا القرآن، فقد أوضحت

---

(١) ينظر: المدخل إلى علم الدعوة للدكتور/ محمد أبو الفتح البيانوني ص ١٧.

(٢) الآية ٢ من سورة الجمعة.

(٣) ينظر: المدخل إلى علم الدعوة لمحمد أبو الفتح البيانوني ص ١٦-١٧.

السنة للمسلمين طريقة تطبيق القرآن على مستوي الأفراد والجماعات [١].

كما أن هذا التعريف يمكن أن يناقش كذلك من وجهين:

الوجه الأول: أن الدعوة من حيث كونها تبليغاً، تعدّ عبادة، وإذا كان الأمر كذلك فلا يكون تبليغ الإسلام للناس وتعليمهم إياه دعوة إلا إذا اقترن بنية التعبد لله، فلو بلّغ منافق الإسلام للناس وعلمهم إياه، فعمله هذا لا يُعدّ في الشرع دعوة؛ لأنه متجرد من نية التعبد لله، لذا فلا بد من أن يقال: إن الدعوة هي: التعبّد لله بتبليغ الإسلام... إلخ.

الوجه الثاني: أن الدعوة كما أنها تبليغ، فإنها الآن علم قائم بذاته، وهذا ما لم يشر إليه في التعريف.

ثانياً: تعريف الاحتساب في اللغة والاصطلاح:

الاحتساب في اللغة:

الاحتساب: مصدر احتسب يحتسب، وهو مأخوذ من الحسْب، قال ابن فارس[٢]: «الحاء والسين والباء أصول أربعة:

فالأول: العدّ، تقول: حسبت الشيء أحسبه حَسْباً وحُسْباناً قال الله تعالى: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾[٣]. ومن قياس الباب: الحِسبان الظن...

الأصل الثاني: الكفاية. تقول: شيء حساب، أي: كاف...

والأصل الثالث: الحسبان، وهي جمع حسبانة، وهي الوسادة الصغيرة...

والأصل الرابع: الأحسب الذي ابيضت جلدته من داء ففسدت شعرته

---

(١) المرجع السابق.

(٢) معجم مقاييس اللغة مادة: حسب ٢/ ٥٩-٦٠.

(٣) الآية ٥ من سورة الرحمن.

كأنه أبرص».

والاحتساب: اسم للحِسبة، والحسبة في اللغة: اسم مصدر من احتسب يحتسب احتساباً، وهو طلب الأجر، والاسم حِسبَة - بالكسر - وهو الأجر[١]، ومن ذلك قول الرسول ﷺ: «من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه»[٢].

وتأتي كلمة الاحتساب بمعنى الإنكار، يقال: احتسب فلان على فلان، أي: أنكر عليه قبيح عمله، ومنه المحتسِب[٣].

وتأتي كلمة الاحتساب أيضاً بمعنى الظن، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟﴾[٥].

الاحتساب اصطلاحاً:

عرّف أهل العلم قديماً وحديثاً الحسبة بتعريفات عدة وسأذكر بعضاً من هذه التعريفات ثم أبين التعريف الراجح في نظري.

التعريف الأول:

الحسبة هي «أمر بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله»[٦].

---

(١) ينظر: لسان العرب لابن منظور، مادة حسب ١/ ٦٣٠، دار لسان العرب بيروت.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب صوم رمضان احتساباً من الإيمان ص ٩، حديث رقم ٣٨.

(٣) ينظر: لسان العرب لابن منظور ١/ ٦٣٠.

(٤) الآيتان ٢-٣ من سورة الطلاق.

(٥) الآية ٢ من سورة الحشر.

(٦) هذا التعريف للماوردي كما في كتابه: الأحكام السلطانية ص ٢٤٠. وينظر: أصول

ويناقش هذا التعريف بأن الكافر لو أمر بمعروف أو نهى عن منكر لعدّ هذا حسب التعريف من الحسبة، وهذا غير صحيح، لأن الحسبة من شعائر الإسلام ولا تصح إلا من مسلم [١]، لذا فهذا التعريف غير مانع من دخول الكافر في عداد المحتسبين.

التعريف الثاني:

الحسبة هي: «المنع عن منكر لحق الله صيانة للممنوع عند مقارفة المنكر»[٢].

ويناقش هذا التعريف بأنه تعريف غير جامع وذلك من وجهين:

الوجه الأول: أن التعريف أغفل ذكر الأمر بالمعروف، ومن المعلوم أن الأمر بالمعروف أحد قطبي الحسبة.

الوجه الثاني: أنه قصر النهي عن المنكر بما كان متعلقاً بحق الله، وأغفل ما كان متعلقاً بحق المخلوقين أو مشتركاً بينهما. وهذا قصور في التعريف[٣].

التعريف الثالث:

الحسبة هي «وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[٤].

ويناقش هذا التعريف بأن الحسبة كما تكون وظيفة فكذلك تكون

الدعوة لعبد الكريم زيدان ص ١٦٥، نشر: مكتبة المنار الإسلامية، الطبعة الثالثة ١٣٩٦هـ.

(١) ينظر: إحياء علوم الدين للغزالي ٢/ ٣٧٤، والحسبة في الماضي والحاضر للدكتور علي القرني ١/ ٩٤-٩٥.

(٢) هذا التعريف للإمام الغزالي كما في كتابه: إحياء علوم الدين ٢/ ٣٢٧.

(٣) ينظر: الأحكام السلطانية للماوردي ص ٢٤٣، والحسبة تعريفها ومشروعيتها ووجوبها، للدكتور فضل إلهي ص ١٢-١٣.

(٤) هذا التعريف لابن خلدون كما في كتابه: المقدمة ص ٢٢٥.

تطوعاً، والتعريف لم يشر إلى هذا القسم من الحسبة مع أنه القسم الأكثر شيوعاً في المجتمعات الإسلامية، إذ يحتسب كثير من المسلمين بالإنكار ـ وخاصة اللسان ـ متى ما رأوا منكراً جاهر به صاحبه.

ولعل أحسن التعريفات في نظري هو التعريف الأول؛ لاختصاره، وقلة الاعتراضات الواردة عليه، ولو سَلِم هذا التعريف من الملحوظة التي أوردت عليه لكان هو التعريف المختار لديّ.

ولذلك فإن التعريف الذي أختاره وأرتضيه أن يقال: الحسبة هي: «**قيام المسلم بالأمر بالمعروف إذا ظهر تركه، والنهي عن المنكر إذا ظهر فعله**».

لسلامته من الاعتراضات، وكشفه عن حقيقة الحسبة بأخصر العبارات.

وأحب أن أقف وقفتين بعد تعريف الحسبة اصطلاحاً:

الوقفة الأولى:

أن الحسبة في الشريعة الإسلامية ذات معنى ومدلول واسع جداً؛ إذ إنها تشمل كل ما يُفعل ويراد به ابتغاء وجه الله تعالى، كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصدقة، والسلام، والأذان، والصلاة، والحج، والعمرة، وكل أعمال البر، لكنها مقيدة في العرف ببعض الأمور دون بعض [(١)].

الوقفة الثانية:

تُعد ولاية الحسبة من أشمل الولايات؛ إذ إنها تشمل أمر الناس بالطاعات وحثهم عليها ونهيهم عما قصروا به منها، كما تشمل جوانب أخرى متعددة كمراقبة الأسواق والسلع ومدى صلاحيتها، وكذا متابعة الغش الذي يقع، واختبار جودة البضائع الموجودة في الأسواق، كما تشمل مراقبة الطرق وتصريفها، ومنع من ضيّق شيئاً منها، كما يلاحِظ والي الحسبة

(١) ينظر: نصاب الاحتساب، لعمر بن محمد السنامي تحقيق: مريزن بن سعيد عسيري، نشر: مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

الصنّاع ومدى إتقانهم لصناعتهم، ويتتبع أيضاً الدور الآيلة إلى السقوط ويأمر بهدمها [١].

ثالثاً: الفرق بين التطوع في الدعوة والاحتساب وبين غير التطوع فيهما:

التطوع في الدعوة والاحتساب هو: التبرع بفعلهما، بمعنى أن حكم الفعل يعدّ نافلة وليس واجباً، كما يدل على ذلك أصل الكلمة في اللغة.

جاء في المعجم الوسيط [٢]: «تطوع.. تنفل: أي قام بالعبادة طائعاً مختاراً دون أن تكون فرضاً لله، وفي التنزيل العزيز: ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ﴾ [٣]».

ومن ثم فيكون المقصود بغير المتطوع في الدعوة والاحتساب هو: من يجب عليه فعلهما.

ووجوب الفعل للدعوة والاحتساب إما أن يكون بسبب الإيجاب العام للأمة من الشارع، وهو ما يسمى عند علماء الأصول بالواجب الكفائي [٤]، أو بسبب الإيجاب الخاص من ولي الأمر إذا عَيّن أناساً للدعوة والاحتساب، وهو ما يسمى عند علماء الأصول بالواجب العيني [٥].

---

(١) ينظر: أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان ص ١٨٢، مرجع سابق.

(٢) ٢/ ٥٧٠.

(٣) الآية ١٨٤ من سورة البقرة.

(٤) الواجب الكفائي هو: ما طلب الشرع حصوله من غير تعيين فاعله. ينظر: أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله للدكتور عياض السلمي ص ٣٧.

(٥) الواجب العيني هو: ما طلب الشرع فعله من كل مكلف بعينه. ينظر أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله ص ٣٧، وأصل الواجب العيني هنا كان واجباً كفائياً ولكنه تحول إلى الوجوب العيني بسبب التعيين، قال عبد الوهاب خلاف ما نصه: «وإذا تعين فرد لأداء الواجب الكفائي كان واجباً عينياً عليه، فلو شهد الغريقَ الذي =

ولعل الفروق التي وضعها الإمام الماوردي [١] ـ رحمه الله ـ في التفريق بين المتطوع والمحتسب من أقوم ما وصلَنا من الفروق، ومَن جاء بعده صار يحيل على هذه الفروق، ولم أر ـ حسْب نظري ـ فروقاً جديدة جوهرية عند من أتى بعده، لذا سأكتفي بذكر ما أورده الماوردي من فروق وأناقش منها ما يحتاج المناقشة.

١ـ أن الاحتساب فرض عين على المحتسب بحكم الولاية، وفرض كفاية على المتطوع، شأنه شأن فروض الكفاية إن قام به من يكفي سقط الإثم عن باقي الأمة، وإلا أثمت الأمة إن أطبقوا على تركه، أو قام به من لا يكفي.

٢ـ أنه لا يجوز للمحتسب أن يتشاغل عن الاحتساب، لأنه بحكم الولاية صار قيامه بالاحتساب من حقوق تصرفه، أما المتطوع فقيامه بالاحتساب يعدّ من نوافل عمله الذي يجوز أن يتشاغل عنه بغيره، هكذا قال الإمام الماوردي، وأظنه يشترط لجواز تشاغل المتطوع عنه قيام من يكفي للاحتساب.

٣ـ أن المحتسب منصوب للاستعداء إليه فيما يجب إنكاره؛ بحيث يهرع الناس إليه إذا علموا بمنكر يجب إنكاره ولا يستطيع غير المحتسب تغييره، أما

يستغيث شخصٌ واحدٌ يحسن السباحة، ولو لم ير الحادثة إلا واحد ودُعي للشهادة، ولو لم يوجد في البلد إلا طبيب واحد وتعين للإسعاف، فهؤلاء الذين تعينوا لأداء الواجب الكفائي، يكون الواجب بالنسبة إليهم عينياً». ينظر: علم أصول الفقه لعبد الوهاب خلاف ص ١١٥.

(١) تنظر هذه الفروق في كتابه: الأحكام السلطانية والولايات الدينية ص ٢٤٠ ـ ٢٤١. والماوردي هو: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الشافعي، من أئمة الشافعية، له مصنفات من أشهرها كتاب الحاوي، كانت ولادته سنة ٣٦٤هـ ووفاته سنة ٤٥٠هـ. تنظر ترجمته في: طبقات الشافعية للسبكي ٣/ ٣٠٣، والأعلام للزركلي ٤/ ٣٢٧.

المتطوع فليس منصوباً للاستعداء.

٤ـ أن المحتسب يجب عليه إجابة من استعداه، أما المتطوع فليس عليه إجابته.

وفي رأيي أن هذا محل نظر، فيفرق بين المتطوع الذي له قدرة على تغيير المنكر، وبين من ليس له قدرة على تغيير المنكر، فإذا استعدى شخص متطوعاً على منكر شاهده وكان لهذا المتطوع قدرة على تغيير المنكر، ولم يكن الموقف قابلاً للتأخير والبحث عن محتسب مكلف، فالذي يظهر لي أنه يجب على هذا المتطوع إجابة من استعداه.

٥ـ أن على المحتسب أن يبحث عن المنكرات الظاهرة ليصل إلى إنكارها، ويفحص عما تُرك من المعروف الظاهر ليأمر بإقامته، لأنه مكلف من قبل ولي الأمر بهذا العمل، ومتفرغ له، أما المتطوع فليس عليه بحث ولا فحص.

٦ـ أن للمحتسب اتخاذ أعوان له يساعدونه على الإنكار، لأنه عمل هو له منصوب، وإليه مندوب، ليكون له أقهر وعليه أقدر، وليس للمتطوع أن يندب لذلك أعواناً.

ولم يرتض الدكتور عبد الكريم زيدان[1] هذا الفرق وناقشه بقوله: «وعلى هذا فلا نرى ما قاله الفقهاء من أن المحتسب له أن يتخذ أعواناً أما المتطوع فليس له ذلك، لأن اتخاذ الأعوان على الحسبة من التعاون على البر والتقوى، فلا ينبغي منع من يقوم بالحسبة من هذا التعاون

---

(١) أصول الدعوة ص ١٦٩.

وعبد الكريم زيدان هو: فقيه عراقي معاصر، حاز على جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات والبحوث الإسلامية، له مصنفات عديدة من أشهرها: المفصل في أحكام المرأة، وأصول الدعوة، وأحكام الذميين والمستأمنين في الإسلام، والمدخل لدراسة الشريعة الإسلامية وغيرها.

بحجة أنه غير معين من قبل ولي الأمر ما دام صالحاً للحسبة وتتوفر فيه شروط الحسبة».

٧ـ أن المحتسب له أن يعزِّر[١] في المنكرات الظاهرة، ولكن تعزيره مشروط بعدم وصوله إلى الحدود، أما المتطوع فليس له أن يعزر على منكر.

والذي يظهر لي: أن حق المحتسب في التعزير راجع إلى ما أعطي من الصلاحيات من قبل ولي الأمر، فإن كان ولي الأمر منحه صلاحيات تخوله بالتعزير فله ذلك، وإن كان ولي الأمر حدد له تعزيراً معيناً كالحبس، ومنعه من تعزيرات أخرى كالجلد والضرب والتشهير فعليه أن يلتزم بما حُدّد له ولا يتجاوزه.

٨ـ أن للمحتسب الأخذ من بيت المال أجراً مقابل عمله، وليس هذا للمتطوع.

٩ـ أن للمحتسب الاجتهاد في المسائل المبنية على العرف[٢]، فيقر وينكر من ذلك ما أداه اجتهاده إليه، وليس هذا للمتطوع.

هذا ما ذكره الإمام الماوردي ـ رحمه الله ـ من الفروق بين المحتسب والمتطوع.

وأما الفرق بين التطوع في الدعوة وبين غير التطوع فيها.

فالدعوة إلى الله فريضة فرضها الله على الأمة الإسلامية قال الله تعالى:

---

(١) التعزير هو: تأديب على ذنوب لم تشرع فيها الحدود ويختلف حكمه باختلاف حاله وحال فاعله. ينظر: الأحكام السلطانية للماوردي ص ٢٣٦.

(٢) العرف هو: ما استقر في النفوس واستحسنته العقول وتلقته الطباع السليمة بالقبول واستمر الناس عليه مما لا ترده الشريعة وأقرتهم عليه. ينظر: أثر العرف في التشريع الإسلامي للدكتور السيد صالح ص ٥٢.

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾[١]، فكل مسلم مطالب بتبليغ رسالة الإسلام حسب استطاعته، وبحسب ما عنده من العلم، قال عليه الصلاة والسلام: «بلّغوا عني ولو آية»[٢].

والدعوة إلى الله ـ وهي واجب على كل مسلم ومسلمة ـ قد تؤدى بصورة فردية بأن يقوم بها المسلم بصفته فرداً مسلماً فيدعوا إلى الله، ويبلغ شرع الله، وقد تؤدى بصورة جماعية بأن تتفرغ جماعة من الأمة بالدعوة وتبليغ الرسالة، قال الإمام ابن كثير[٣] ـ رحمه الله ـ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٤]: «والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجباً على كل فرد من الأمة بحسبه».

لأجل ذلك فإن الدولة الإسلامية قد توظف طائفة من أفرادها لأداء مهمة الدعوة، وهذا ما عنيته هنا بغير المتطوع، أما المتطوع فالمقصود به المتبرع بالدعوة من غير أن يوظف من قبل الدولة.

---

(١) الآية ١٠٤ من سورة آل عمران.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمرو، وتمامه «.. وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار». ينظر: صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ٦/ ٤٩٦، كتاب أحاديث الأنبياء/ باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم الحديث (٣٤٦١).

(٣) تفسير القرآن العظيم ١/ ٤١٨-٤١٩.

وابن كثير هو: إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن درع القرشي البصري ثم الدمشقي، أبو الفداء، عماد الدين، حافظ مؤرخ فقيه، كانت ولادته سنة ٧٠١هـ، ووفاته سنة ٧٧٤هـ، من أشهر كتبه: البداية والنهاية، وتفسير القرآن العظيم، واختصار علوم الحديث. تنظر ترجمته في: ذيل تذكرة الحفاظ للحسيني ٥/ ٥٧.

(٤) الآية ١٠٤ من سورة آل عمران.

هذا التفريق بينهما في التعريف يتطلب بيان أبرز الفروق بين المتطوع في الدعوة وبين غير المتطوع فيها، وهذا ما سأعرضه في هذا المطلب.

١ـ أن الداعية المكلف يجب عليه القيام بكل ما كلف به من مهام كالدروس، وإلقاء الخطب والكلمات في مجامع الناس، بينما الداعية المتطوع ينتقي من أساليب الدعوة ما يراه مناسبا له.

٢ـ أن الداعية المكلف يجب عليه تطوير مهاراته، وزيادة علمه ليؤدي مهمته التي كلف بها بإتقان، أما الداعية المتطوع فلا يجب عليه ذلك.

٣ـ لا يجوز للداعية المكلف التشاغل عن وظيفته بأموره الخاصة، لأنه متفرغ للدعوة، ومخصص لأداء هذه المهمة، أما الداعية المتطوع فيجوز له ذلك.

٤ـ أن الداعية المكلف قد وجبت عليه الدعوة من طريقين:

إحداهما: الوجوب العام، حيث أوجب الشرع الدعوة على كل مسلم ومسلمة، قال عليه الصلاة والسلام: «بلّغوا عني ولو آية»[1].

الطريق الثاني: الوجوب الخاص من ولي الأمر، أو من يقوم مقامه.

أما الداعية المتطوع فتكليفه بالدعوة من طريق واحد وهو الوجوب العام، ومن هنا يكون الوجوب في حق الداعية المكلف آكد، وهو ما يسمى عند علماء الأصول بالوجوب العيني، أما الداعية المتطوع فالوجوب في حقه أقل تأكيداً لدخوله ضمن دائرة الوجوب الكفائي.

هذه أبرز الفروق في نظري بين الداعية المتطوع، والداعية المكلَّف، وهي فروق استنبطتُ أكثرها مما ذكره الإمام الماوردي في التفريق بين المحتسب والمتطوع، فوظفت تلك الفروق التي ذكرها لاستنباط فروق بين الداعية المتطوع وبين الداعية المكلف.

---

(١) ينظر تخريجه ص ٢٢ .

البحث الثاني

هدايا الساري بإجابة

الأسئلة الخاصة بالداعي

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه. وبعد:

فقد كلفنا أستاذنا الفاضل: د. عبد الرحمن الخليفي، بالإجابة على أسئلة متعلقة بالداعي، ضمن مقرر نصوص الدعوة في السنّة النبوية.

وقد بلغ مجموعها سبع أسئلة، وهي:

السؤال الأول: من هو الداعي في السنة النبوية؟

السؤال الثاني: متى يكلف الداعي بالدعوة في السنة؟ ومتى تسقط عنه؟

السؤال الثالث: ما مقدار مسؤولية الداعي في السنة النبوية؟

السؤال الرابع: ما كيفية تقويم الداعي في السنة النبوية؟ (كيف كان النبي ﷺ يتعامل مع الأخطاء؟)

السؤال الخامس: كيف يتم إعداد الدعاة في السنة النبوية؟

السؤال السادس: ما صفات الداعي في السنة؟

السؤال السابع: ما أصناف الدعاة في السنة؟

وقد اجتهدت في الإجابة على هذه الأسئلة، وضمنت الإجابات نصوصاً من السنة المحمدية، راجية التوفيق والسداد من رب البرية.

والله أسأل أن يرزقني الإخلاص في القول والعمل، إنه سميع مجيب.

السؤال الأول: من هو الداعي في السنة النبوية؟

الجواب: الداعي هو «المبلّغ للإسلام، والمعلّم له، والساعي إلى تطبيقه»[(١)].

وقد دلت السنة النبوية على هذا التعريف، من ذلك:

١ـ حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ﷺ قال: «بلّغوا عني ولو آية»[(٢)].

قال الحافظ بن حجر: «قوله: (ولو آية) أي: واحدة، ليسارع كل سامع إلى تبليغ ما وقع له من الآي ولو قلّ؛ ليتصل بذلك نقل جميع ما جاء به النبي ﷺ»[(٣)].

٢ـ عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: خطبنا النبي ﷺ يوم النحر... وفيه: «فليبلّغ الشاهد الغائب، فرُبّ مبلّغ أوعى من سامع»[(٤)].

قال الإمام ابن أبي جمرة في شرح الحديث: «وفيه دليل على وجوب تبليغ العلم ونشره»[(٥)].

٣ـ حديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له ولمن

---

(١) ينظر: المدخل إلى علم الدعوة لمحمد أبو الفتح البيانوني ص ١٥٣، مؤسسة الرسالة.

(٢) سبق تخريجه ص ٢٢ .

(٣) فتح الباري ٦/ ٤٩٨، دار الفكر.

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى ص ٢٨٠، حديث رقم ١٧٤١، ومسلم في صحيحه كتاب القسامة، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال ص ٧٤٣، حديث رقم ٤٣٨٣.

(٥) بهجة النفوس وتحليها بمعرفة مالها وما عليها، للإمام ابن أبي جمرة ٤/ ١١٤، دار الجيل بيروت.

معه: «لو رجعتم إلى بلادكم فعلمتموهم... » الحديث [١].

٤ ـ عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه ما عمل فيه ... » الحديث [٢].

فلا بد أن يحرص الداعي على تطبيق ما علمه ودعا إليه، وإلا تعرّض للمساءلة يوم القيامة.

السؤال الثاني: متى يكلف الداعي بالدعوة في السنة؟ ومتى تسقط عنه؟

الجواب: يجب أن نعلم أن الدعوة إلى الله واجبة على كل مسلم ومسلمة[٣].

وهذا الوجوب يتطلب شرطين:

أحدهما: العلم، ولا أعني به العلم الواسع الكثير، وإنما المقصود العلم الجزئي، فمن علم مسألة وجب عليه تبليغها، يؤيد هذا المعنى قول الرسول ﷺ: «بلّغوا عني ولو آية»[٤]، وقوله: «فليبلّغ الشاهد الغائب» [٥]، ويدخل في معنى الشاهد كل مسلم علم من أمر الإسلام شيئا [٦].

---

(١) متفق عليه، صحيح البخاري كتاب الأذان، باب إذا استووا في القراءة فليؤمهم أكبرهم ص ١١٢، حديث رقم ٦٨٥، ومسلم في صحيحه كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب من أحق بالإمامة ص ٢٧٢، حديث رقم ١٥٣٥.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، وصححه الألباني، ينظر: صحيح سنن الترمذي للألباني، حديث رقم ١٩٧٠، أبواب صفة القيامة، باب شأن الحساب والقصاص ٢/ ٢٩٠.

(٣) ينظر: أصول الدعوة د. عبد الكريم زيدان ص ٣٠٠، مكتبة المنار الإسلامية.

(٤) ينظر تخريجه ص ٢٢ .

(٥) ينظر تخريجه ص ٢٨.

(٦) ينظر: أصول الدعوة د. عبد الكريم زيدان ص ٣٠٠.

ثانيهما: القدرة، وذلك لأن كل واجب منوط بالقدرة؛ لقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (١).

أما متى يسقط عن الداعي التكليف بالدعوة، فيظهر لي أنه إذا تخلف أحد الشرطين السابقين سقط التكليف، وكذلك إذا قام بالدعوة غيره، وذلك لأن تبليغ الدعوة من الفروض الكفائية التي إذا قام بها من يكفي سقط الإثم عن الباقين (٢).

السؤال الثالث: ما مقدار مسؤولية الداعي في السنة؟

الجواب: يمكننا أن نجعل المسؤولية بالنسبة للداعي ثلاث درجات (٣):

أدناها: مسؤولية الداعي عن نفسه.

وجه هذه المسؤولية: أن قيادة النفس والعمل على استصلاحها وإنقاذها من الضلال المفضي إلى العذاب في الدنيا والآخرة واجب، وقد قال ﷺ: «ابدأ بنفسك... » (٤).

الدرجة الثانية: مسؤولية الداعي عن دعوة أهله وأقاربه.

وهذا ما فعله رسول الله ﷺ، إذ قدم إنذارهم على إنذار غيرهم؛ لأن الاهتمام بشأنهم أولى، وهدايتهم إلى الحق أقدم، وهم أحق الناس بالإحسان

---

(١) الآية ٢٨٦ من سورة البقرة.

(٢) ينظر: أصول الدعوة د. عبد الكريم زيدان ص ٣٠٤.

(٣) ينظر: تاريخ الدعوة في عهد النبي ﷺ وفقه الدعوة منه للدكتور/ عبد الرحمن الخليفي، بحث منشور في مجلة جامعة الإمام، العدد الحادي والعشرون، محرم ١٤١٩هـ ص ٢٨٠.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الابتداء في النفقة بالنفس ثم أهله ثم القرابة ص ٤٠٤، حديث رقم ٢٣١٣.

الديني والدنيوي.

وهذه الدرجة من المسؤولية يشترك في ضرورة تحمل أعبائها كل مسلم صاحب أسرة أو قربى، فكما لا يجوز للنبي ﷺ أن يقعد عن تبليغ قومه ما أوحي إليه، فكذلك لا يجوز لرب الأسرة أن يقعد عن تبليغ أهله وأسرته ذلك[١].

الدرجة الثالثة: مسؤولية الداعي إذا كان عالماً.

وهنا تتجاوز المسؤولية نفسه وأهله وأقاربه إلى أهل حَيّه وبلده؛ لأنه وارث النبي ﷺ، مصداق ذلك قول الرسول ﷺ: «العلماء ورثة الأنبياء»[٢]، لأجل ذلك فهو يتحمل من المسؤولية ما لا يتحمله بقية أفراد المجتمع؛ لما آتاه الله من العلم والحكمة والبيان والحجة[٣].

السؤال الرابع: ما كيفية تقويم الداعي في السنة النبوية؟

أو كيف كان النبي ﷺ يتعامل مع الأخطاء؟

الجواب: لقد خط الرسول ﷺ للدعاة منهجاً يسيرون عليه في التعامل مع المخطئ وانتشاله من خطأه ومعصيته.

ويمكن تلخيص هذا المنهج فيما يأتي:

---

(١) ينظر: تاريخ الدعوة في عهد النبي ﷺ وفقه الدعوة منه، للدكتور/ عبد الرحمن الخليفي، مرجع سابق.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل ص ١٦، وقد ذكره في ترجمة الباب، وأبو داود في سننه، كتاب العلم، باب فضل العلم ص ٥٢٣، حديث رقم ٣٦٤١.

(٣) ينظر: تاريخ الدعوة في عهد النبي ﷺ وفقه الدعوة منه، للدكتور/ عبد الرحمن الخليفي، مرجع سابق.

١ـ الرفق بالمخطئ والأخذ بيده إلى الصواب.

٢ـ الإشفاق عليه من جريرة خطأه.

٣ـ البعد عن مقابلته بالعنف والقهر، أو التشنيع والاحتقار، أو السخرية والازدراء.

٤ـ التفريق بين الأخطاء من حيث الجهل والعمد، والخطأ اليسير والكبير.

وإذا التزم الداعية منهج المصطفى ﷺ في تعامله مع أخطاء أصحابه، سلم من حصول سلبيتين خطيرتين للمنكر عليه:

إحداهما: إذلال نفسه وتحطيم شخصيته. وفي هذا ما فيه من ذوبان العزة وانمحاء الكرامة، والمخطئ وإن وقع في الخطأ فالذي ينبغي: إشعاره بأن نفسه لا تزال تحمل الخير وتنطوي على عزيمة على الرشد إذا أوقفت وتنبهت، وإحساس المرء بكرامة نفسه يرفعه عن كثير من السفاسف، كما أن هوان نفسه يغريه بمزيد من التعثر والانكباب على المعصية.

ثانيهما: أنه ربما أدى عدم التزام المنهج النبوي إلى عناد المخطئ وإصراره على الذنب، والبحث عن مسوغ له، وفي ذلك ما فيه.

والسنة النبوية حافلة بنصوص كثيرة تدل على المنهج النبوي في معالجة الأخطاء.

فمما يدل على الرفق بالمخطئ والهدوء في التعامل معه، ما رواه الشيخان من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله ﷺ مه مه [وهي كلمة زجر] فقال رسول الله ﷺ: «لا تزرموه» أي: دعوه لا تقطعوا عليه بوله، فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله دعاه فقال له: «إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر، وإنما هي لذكر الله عز

وجل والصلاة وقراءة القرآن » أو كما قال رسول الله ﷺ، ثم أمر رجلاً من القوم فجاء بدلو من ماء فشنّه عليه [١].

لقد كان المنهج الذي سلكه رسول الله ﷺ في مواجهة هذا الخطأ هو التيسير وعدم التعسير، بينما الصحابة ﷺ وباجتهاد منهم تحمسوا لإنكار هذا المنكر؛ إذ إن تلويث المسجد بالنجاسة من المنكرات، وروايات الحديث تدل على حماسة الصحابة في إنكار هذا المنكر (فصاح به الناس) (فثار إليه الناس) (فزجره الناس) (فأسرع إليه الناس). ولكن النبي ﷺ نظر في عواقب الأمور، وأن الأمر يدور بين احتمالين لا ثالث لهما: إما أن يُمنع الرجل وإما أن يترك، و كلا الاحتمالين فيه مفسدة، فسلك النبي ﷺ الأخذ بأدنى المفسدتين وأهون الشرَّين، خاصة وأن المفسدة الأهون يمكن إصلاحها بتطهير المكان، وهو ما حصل، أما لو مُنع فقد يقوم وتتلوث ثيابه وبدنه وتزداد بقعة النجاسة، مع ما في احتباس البول من ضرر طبي.

إن هذا الأسلوب الحكيم من رسول الله ﷺ في معالجة هذا الخطأ أحدث أثراً بالغاً في نفس ذلك الأعرابي، يتضح ذلك من عبارته كما جاء في رواية ابن ماجه عن أبي هريرة ﷺ أن الأعرابي قال: «اللهم اغفر لي ولمحمد ولا تغفر لأحد معنا» فضحكك النبي ﷺ وقال: «لقد احتظرت واسعًا» [٢].

قال ابن حجر [٣] ـ رحمه الله ـ: «وفي الحديث: الأمر بالتيسير والرفق

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله ص ١٠٥٣، حديث رقم ٦٠٢٥، ومسلم في صحيحه كتاب الطهارة، باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد وأن الأرض يطهر بالماء من غير حاجة إلى حفرها ص ١٣٣، حديث رقم ٦٦١.

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه، وصححه الألباني، ينظر: صحيح ابن ماجه للألباني باب الأرض يصيبها البول كيف تغسل ٢/ ٨٦، حديث رقم ٤٢٨.

(٣) ينظر: فتح الباري ١٣/ ١٦٣.

بالرعية، وتحبيب الإيمان إليهم، وترك الشدة؛ لئلا تنفر قلوبهم ولا سيما فيمن كان قريب العهد بالإسلام أو قارب حد التكليف من الأطفال ليتمكن الإيمان من قلبه ويتمرن عليه، وكذلك الإنسان في تدريب نفسه على العمل إذا صدقت إرادته لا يشدد عليها بل يأخذها بالتدرج والتيسير».

ويقول الماوردي [١] ـ رحمه الله ـ: «على العلماء ألا يعنفوا متعلماً ولا يحتقروا ناشئاً ولا يستصغروا مبتدئاً، فإن ذلك أدعى إليهم وأعطف عليهم وأحث على الرغبة فيما لديهم».

ومما يدل أيضاً على منهج النبي ﷺ في معالجة الأخطاء وتقويمه لمن وقع في معصية وعدم التشنيع والتوبيخ ما رواه البخاري في صحيحه في قصة الرجل الذي أولِع بالخمر في زمن رسول الله، وقد ضُرِب مراراً فلم ينته حتى قال بعض أصحاب رسول الله ﷺ ـ وقد جيء بهذا الشارب ليُضرب ويقام عليه حد شرب الخمر ـ: اللهم العنه، ما أكثر ما يؤتى به! فقال عليه الصلاة والسلام: «لا تكن عونًا للشيطان على أخيك» وفي رواية: «لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله» [٢].

وهنا وقفتان سريعتان:

الأولى: عند قوله ﷺ: «لا تكن عونًا للشيطان على أخيك». إن الشيطان حريص أشد الحرص على أن يكثر سواد العصاة، فإن وجدوا في رحاب المطيعين من يرحمهم ويساعدهم أقفرت مرابع الشيطان، وإن وَجدوا في ساحات المطيعين الشدة واللجاج والانتهار والسب والشتائم لجأوا إلى رحاب إبليس، فكان ذلك ضد ما أريد من الآمر والناهي.

---

(١) ينظر: أدب الدنيا والدين للماوردي ص ٨٤، دار مكتبة الحياة بيروت.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الحدود، باب ما يكره من لعن شارب الخمر ص ١١٦٩، حديث رقم ٦٧٨٠.

الثانية: عند قوله ﷺ: «فإنه يحب الله ورسوله» . إن ظلمة المعصية ينبغي أن لا تُذهِب عن ناظرك نور الإيمان الذي يغمر قلب هذا المذنب، بل إن المعصية ـ وإن كبرت ما عدا الشرك ـ لا تستطيع إذهاب نور الإيمان بالكلية، فحري بالداعية ـ وهو بلا شك يريد الخير للمخطئ ـ أن يعتمد على هذا الرصيد النوراني في نفس صاحب المعصية، ليكوّن من ذلك زاداً له في دعوته وصلته بربه، وقطع حبائل الشيطان عنه [١].

إن الرفق الذي نتحدث عنه ونذكره، لا ينافي أبداً تنبيه المخطئ على خطأه وزجره عنه بالرفق المناسب، حسب ظروف المخطئ ونوعية الخطأ وظروفه وملابساته ودوافعه.

ولذلك نرى النبي ﷺ يتعامل أحياناً بشيء من الشدة حسب حالة المخطئ والخطأ الذي وقع فيه. انظروا إلى ذلك الصحابي الذي لبس خاتماً من ذهب، فغضب النبي ﷺ على ما فعل، ونزعه من إصبعه وألقى الخاتم على الأرض وقال: «يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيضعها في يده» [٢].

وكذلك غضبه ﷺ حينما خرج على أصحابه وهو يختصمون في القدر، قال الراوي ـ واصفاً غضبه ـ فكأنما يفقأ في وجهه حب الرمان من الغضب، فقال: «بهذا أمرتم؟» أو «لهذا خلقتم؟ تضربون القرآن بعضه ببعض، بهذا هلكت الأمم قبلكم» [٣].

وكذلك نلاحظ غضبه وشدته على عمر رضي الله عنه أنه أتى إلى النبي ﷺ

---

(١) ينظر: تأملات دعوية في السنة النبوية للدكتور/ عبد الله بن وكيل الشيخ ص ٨٠، دار إشبيليا.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب اللباس والزينة، باب تحريم خاتم الذهب على الرجال ص ٩٣٥، حديث رقم ٥٤٧٢.

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه، المقدمة، ص ١٤، حديث رقم ٨٥، دار السلام.

بصحائف من التوراة فغضب النبي ﷺ وقال: «أمتهوّكون - أي: متحيّزون - فيها يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية... والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حيًّا ما وسعه إلا أن يتبعني»[(١)].

إن الخطأ لما كان يتعلق بالعقيدة، والأمر لما كان خطيراً جداً عالجه النبي بمثل هذه الشدة والانفعال في القول.

إن نبينا محمداً ﷺ أراد بهذا أن يحول بين الأمة وبين الانحراف الخطير المتمثل في الاستمداد من مصادر أخرى لم تقرها الشريعة، ولذلك ينبغي أن تكون لغة الخطاب قوية مع أولئك الذين يريدون إضلال الأمة في عصرنا الحاضر من خلال استمداد التشريعات من القوانين الوضعية، وقصر الشريعة الإسلامية على الأحوال الشخصية ونحوها.

والسنة حافلة بنصوص كثيرة وأحاديث عديدة تؤيد ما ذكرت، ولكن أكتفي بما سبق طلباً للاختصار.

السؤال الخامس: كيف يتم إعداد الدعاة في السنة النبوية؟

الجواب: النبي ﷺ هو إمام الدعاة وقدوتهم، وكل ما يتحدث عنه المتحدثون ويخطه الكاتبون في منهج إعداد الدعاة مستقى من سنة رسول الله ﷺ، والمقام لا يسمح بالبسط والإطالة ولكن حسبي أن أذكر منهجين اثنين مستقيين من منهجه ﷺ في إعداد الدعاة:

١- من منهج النبي ﷺ في إعداد الدعاة التدرج في الدعوة، وذلك بالبداءة بأصول الدين من العقيدة وأركان الإسلام، يدل لذلك ما رواه البخاري في صحيحه من أن وفد عبد القيس لَمّا أتوا النبي ﷺ قال: «من

---

(١) أخرجه أبو يعلى كما في مجمع الزوائد ١/ ١٧٣، والطبراني في الكبير كما في المجمع ١/ ١٧٤.

القوم؟» قالوا: ربيعة، قال: «مرحبًا بالقوم غير خَزَايَا ولا نَدَامَى» فقالوا: يا رسول الله، إنا لا نستطيع أن نأتيك إلا في الشهر الحرام، وبيننا وبينك هذا الحي من كفار مُضَر، فمُرْنا بأمرٍ فصلٍ نخبرْ به مَن وراءنا وندخلْ به الجنة، فأمرهم بأربع ونهاهم عن أربع: أمرهم بالإيمان بالله وحده، قال: «أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان...» الحديث [١].

ومما يدل على منهج الرسول هذا أيضاً: وصيته لمعاذ ﷺ حينما بعثه إلى اليمن قال له: «إنك تأتي قومًا أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فإن هم أطاعوك لذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صوات في اليوم والليلة...» [٢].

فنلاحظ هنا أن النبي ﷺ أعد الدعاة على هذا المنهج، وهو التدرج في إبلاغ الدعوة وذلك بالبداءة بأصول الدين وأركانه العظام.

٢- إن المتأمل في سنة النبي ﷺ يلاحظ أنه عليه الصلاة والسلام يعد الدعاة على منهج عظيم في التعامل مع المدعوين الجدد، فالداعية يواجه أقواماً نشأوا على منكرات واعتادوا عادات لا يقرها الإسلام، فمنهج النبي ﷺ في هذا أن يبدأ بتغيير ما هو ذنب كبير وخطأ عظيم.

لاحظوا معي ما ذكره عبادة بن الصامت ﷺ - وهو أحد النقباء ليلة العقبة - أن رسول الله ﷺ قال وحوله عصابة من أصحابه: «بايعوني على أن

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المغازي، باب وفد عبد القيس ص ٧٤٠، حديث رقم ٤٣٦٨.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين ص ٣١-٣٢، حديث رقم ١٢١-١٢١.

لا تشركوا بالله شيئا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله... »[(١)].

فهنا النبي ﷺ طلب من النقباء الذين بايعوه ليلة العقبة أن يعاهدوه على ترك هذه المعاصي، وهي ـ كما تلاحظون ـ معاصٍ كبيرة وذنوب عظيمة.

فنأخذ من هذا أن الداعية يجب أن يعالج أولاً الأخطاء والمعاصي التي من هذا النوع، ويترك ما دونها.

السؤال السادس: ما صفات الداعي في السنة النبوية؟

صفات الداعي كثيرة ومتعددة ولا يمكنني حصرها وبسط الكلام فيها؛ لأن المقام مقام اختصار، لذا سأذكر في الجواب ثلاث صفات فقط:

الصفة الأولى: الإخلاص:

الإخلاص هو: صدق التوجه إلى الله تعالى، وتصفية العمل بصالح النية. وقيل: هو قوة إيمانية، وصراع نفسي، يدفع صاحبه ـ بعد جذب وشد ـ إلى أن يتجرد من المصالح الشخصية، وأن يترفع عن الغايات الذاتية، وأن يقصد من عمله وجه الله تعالى، لا يبغي من ورائه جزاء ولا شكوراً[(٢)].

وقد جاءت أحاديث نبوية وتوجيهات محمدية داعية المسلم إلى تحقيق هذه الصفة، محذرة من الوقوع في ضدها. وأولى من يلتزم صفة الإخلاص هم الدعاة إلى الله عز وجل؛ لأنهم المبلغون عن الله شرعه وحكمه.

ومن هذه الأحاديث:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان، باب حدثنا أبو اليمان ص ٦، حديث رقم ١٨.

(٢) ينظر: سلسلة مدرسة الدعاة، لعبد الله ناصح علوان ١/ ١٣٣.

١ـ حديث أمير المؤمنين وثاني الخلفاء الراشدين، أبي حفص عمر بن الخطاب ﷺ وهو الحديث المشهور والخبر المأثور، الذي صدّر الإمام البخاري كتابه الصحيح به، وافتتح به النووي كتابه رياض الصالحين، وكذا المقدسي كتاب العمدة، وهو قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه»(١).

٢ـ عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم» (٢).

٣ـ عن زيد بن ثابت ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله، والنصح لأئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم» (٣).

فهذه الأحاديث تفيد الاهتمام بصلاح النية، وأن لا ينوي إلا ما يقربه إلى الله وإلى جنته، وقد كان السلف رضوان الله عليهم يهتمون بصلاح نياتهم.

قال سفيان الثوري: «ما عالجت شيئاً أشد علي من نيتي؛ لأنها تتقلب علي».

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه كتاب بدء الوحي/ باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ١/ ٣ حديث رقم١. ومسلم في صحيحه كتاب الإمارة/ باب قوله ﷺ إنما الأعمال بالنية ٣/ ١٥١٥ حديث رقم ١٩٠٧.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والأدب/ باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله ٤/ ١٩٨٧ حديث رقم ٢٥٦٤.

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه باب من بلغ علماً، والحديث صححه الألباني كما في صحيح سنن ابن ماجه ١/ ٤٤-٤٥ حديث رقم ٢٣٠.

وقال عبد الله بن المبارك: «رُبّ عمل صغير تعظمه النية، ورُبّ عمل كبير تصغره النية».

وقال ابن عجلان: «لا يصلح العمل إلا بثلاث: التقوى لله، والنية الحسنة، والإصابة» (١).

وفي مأثور نبينا محمد ﷺ في الورد اليومي الذي يجعله المسلم في حزبه: «أصبحنا على فطرة الإسلام، وكلمة الإخلاص، ودين نبينا محمد ﷺ، وملة أبينا إبراهيم حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين» (٢)، وفي الدعاء النبوي: «اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك ما لا أعلم» (٣).

وما هذه الأدلة المتكاثرة، والحجج المتظافرة، والبراهين المتوافرة، إلا لعظم الأمر وخطر شأن القضية، وشدة الخوف على الناس من الانحراف والقلوب من الزيغ، فهل يعي الدعاة هذا الدرس ويعطوه حقه من العناية، عناية بأنفسهم أولاً ثم بالمدعوين ثانياً.

الصفة الثانية: الصبر:

جاء في المعجم الوسيط (٤): صبر صبْراً: تجلّد ولم يجزع، وانتظر في هدوء واطمئنان. ويقال: صبر على الأمر: احتمله ولم يجزع.

---

(١) ينظر: الدرر السنية بفوائد الأربعين النووية للدكتور/ بندر بن نافع العبدلي، ص ١٤-١٥، دار ابن الجوزي.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣/ ٤٠٦، ط دار الكتب العلمية بيروت، وقال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني ورجالهما رجال الصحيح. ينظر: مجمع الزوائد ١٠/ ١١٦، ط. دار الكتاب العربي بيروت.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ٤/ ٤٠٣، ط دار الكتب العلمية بيروت، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٢٢٣، ٢٢٤: «رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط، ورجال أحمد رجال الصحيح غير أبي علي ووثقه ابن حبان».

(٤) صنعة علماء من مجمع اللغة العربية بمصر ١/ ٥٠٥، ط دار الفكر.

بهذا عُرّف الصبر في اللغة، ولا يبعد معناه الاصطلاحي عن معناه اللغوي، فقد عرّفه ابن القيم بقوله[١]: هو حبس النفس عن الجزع والتسخط، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن التشويش.

الصبر خلق عظيم، من الممكن أن يكتسبه الإنسان، جاء في الحديث الصحيح: «ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحد عطاء خيرًا وأوسع من الصبر»[٢].

والداعية أحوج ما يكون إلى صفة الصبر؛ لأن سنة الله اقتضت أن يكون لدعوة الحق أعداء يمكرون، وحاقدون حاسدون يخططون ويحاربون ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾[٣].

والصبر من معالم العظمة وشارات الكمال، ومن عناصر الرجولة الناضجة والبطولة البارعة، فإن أثقال الحياة لا يطيقها المهازيل، ومن ثم كان نصيب القادة من العناء والبلاء مكافئاً لما أوتوا من مواهب ولما أدوا من أعمال، سئل رسول الله ﷺ: أي الناس أشد بلاء؟ قال: « الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يُبتلى الناس على قدر دينهم، فمن ثخن دينه اشتد بلاؤه، ومن ضعف دينه ضعف بلاؤه، وإن الرجل ليصيبه البلاء حتى يمشي على الأرض ما عليه خطيئة»[٤].

---

(١) مدارج السالكين في منازل إياك نعبد وإياك نستعين ٢/ ١٥٦ ط دار الكتاب العربي.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الزكاة/ باب الاستعفاف في المسألة ٢/ ١٥٧ حديث رقم ١٤٦٩، ومسلم في كتاب الزكاة/ باب فضل التعفف والصبر ٢/ ٧٢٩، حديث رقم ١٠٥٣.

(٣) الآية ٣١ من سورة الفرقان.

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه كتاب الفتن/ باب الصبر على البلاء. ينظر: صحيح سنن ابن ماجه للألباني ٢/ ٣٧١ حديث رقم ٤٠٢٣.

يجب أن يوطّن الداعية نفسه على احتمال المكاره دون ضجر، وانتظار النتائج مهما بعدت، ومواجهة الأعباء مهما ثقلت، بقلب لم تعلق به ريبة، وعقل لا تطيش به كربة.

ولقد شكا الصحابة للرسول ﷺ شدة ما يلقون من المشركين فقالوا: يا رسول الله: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو لنا؟ فكان جواب الرسول ﷺ لهم بلزوم الصبر حيث قال: «قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها، ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمّن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون»[(١)].

الصفة الثالثة: الجمع بين العلم والعمل:

من صفات الداعية الأساسية أن يجمع بين العلم والعمل، فإذا كان العلم مهماً وأساساً من أساسات تكوين الداعية فلا بد أن يقارن العلم العمل، وألا يكون الداعية ممن يخالف فعله قوله.

ولقد أثنى الشرع المطهر على الداعية العامل بعلمه، فقد روى الشيخان عن أبي موسى ﷺ عن النبي ﷺ قال: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضًا فكان منها نقيّة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير...»[(٢)].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٥/ ١٠٩، وأبو داود في سننه كتاب الجهاد/ باب في الأسير يكره على الكفر ص ٣٨٢ ط دار السلام.

(٢) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب العلم، باب فضل من علِم وعلّم ١/ ١٧٥، حديث رقم ٧٩، واللفظ له، وصحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب بيان مثل ما بُعث النبي ﷺ من الهدى والعلم، ٤/ ١٧٨٧-١٧٨٨، حديث رقم (١٥) ٢٢٨٢.

ففي هذا الحديث النبوي والقبس المحمدي، تشبيه لطيف للعالم العامل بعلمه بالأرض الطيبة تستفيد من الغيث الكثير حيث تشرب الماء، وتفيد غيرها حيث تنبت الكلأ والعشب الكثير.

قال الإمام القرطبي: «ضرب النبي ﷺ لِمَا جاء به من الدين مثلا بالغيث العام الذي يأتي الناس في حال حاجتهم إليه، وكذا كان حال الناس قبل مبعثه، فكما أن الغيث يحيي البلد الميت فكذا علوم الدين تحيي القلب الميت، ثم شبّه السامعين له بالأرض المختلفة التي ينزل بها الغيث، فمنهم العالم العامل المعلّم، فهو بمنزلة الأرض الطيبة شربت فانتفعت في نفسها وأنبتت فنفعت غيرها» (١).

وإذا كان الشرع قد أثنى على العالم العامل بعلمه فقد ذم ضده وهو من خالف فعلُه قوله، فقد ثبت في الصحيحين من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه في النار، فيدور كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه فيقولون: أيْ فلان، ما شأنك؟ أليست كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه» (٢).

قال الحسن البصري ـ رحمه الله ـ: «إذا كنت آمراً بالمعروف فكن آخذ الناس به وإلا هلكت، وإذا كنت ممن ينهى عن المنكر فكن من أنكر الناس له وإلا هلكت» (١).

---

(١) ينظر: الزهد للإمام أحمد (أخبار الحسن رحمه الله) ص٣٩، الرواية رقم ١٤٦٢، دار الكتاب العربي بيروت.

(٢) نقله عنه الحافظ ابن حجر في: فتح الباري ١/ ١٧٧.

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، باب الفتن التي تموج كموج البحر ١٣/ ٢٤٨، حديث رقم ٧٠٩٨، ومسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله وينهى عن المنكر ويفعله ٤/ ٢٢٩٠-٢٢٩١، حديث رقم ٢٩٨٩.

فما أشد عقوبة من خالف فعلُه قوله، لذا كان من صفات الداعية إلى الله جمعه بين العلم والعمل، ليكون قدوة حسنة للمدعوين، وهذا هو منهج أنبياء الله ورسله الذي حكاه الله عنهم: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾[1].

السؤال السابع: ما أصناف الدعاة في السنة؟

الجواب: يمكن تقسيم الدعاة كما وردت أخبارهم في السنة النبوية إلى أقسام عدة، وذلك حسب ما يأتي:

١ـ أصناف الدعاة حسب مكانتهم الاجتماعية.

٢ـ أصناف الدعاة حسب جنسهم.

٣ـ أصناف الدعاة حسب أعمارهم.

أولاً: أصناف الدعاة حسب مكانتهم:

بالنظر والتأمل في النصوص النبوية والسيرة المحمدية نجد أن الدعاة في عهد النبي ﷺ يمكن تصنيفهم حسب مكانتهم الاجتماعية إلى صنفين:

الصنف الأول: دعاة أصحاب جاه ونفوذ:

مثال ذلك: سعد بن معاذ ﷺ فقد جاء في الروايات التي ذكرها أصحاب السير أن سعداً لَمّا أسلم ـ وكان سيد قومه ـ ذهب إلى قومه، فلما دخل عليهم قال: يا بني عبد الأشهل كيف تعلمون أمري فيكم؟ قال: سيدنا، وأفضلنا رأياً، وأيمننا نقيبة، قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم عليّ حرام حتى

(١) الآية ٨٨ من سورة هود.

تؤمنوا بالله ورسوله، قال الرواة: فوالله ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً أو مسلمة [١].

الصنف الثاني: من لم يكن صاحب جاه ونفوذ:

ويدخل في هذا الصنف أغلب صحابة رسول الله ﷺ كمصعب بن عمير، ومعاذ بن جبل ﷺ، وغيرهم كثير.

أما مصعب فقد أرسله الرسول ﷺ إلى المدينة قبل الهجرة ليدعو الناس إلى دين الله، فكان أول سفير في الإسلام [٢].

ومعاذ بن جبل بعثه رسول الله ﷺ إلى أهل اليمن، كما ثبت ذلك في النصوص النبوية [٣].

ثانياً: أصناف الدعاة حسب جنسهم:

الدعوة إلى الله واجبة على المسلمين، كل بحسبه، فكما أن الرجال مأمورون بالدعوة فكذلك النساء، ويمكن تصنيف الدعاة حسب جنسهم إلى صنفين:

الصنف الأول: الرجال:

ويدخل في هذا الصنف عامة أصحاب رسول الله ﷺ وفي مقدمتهم الخلفاء الأربعة الراشدون وباقي العشرة، وأصحاب الشجرة الذين بايعوه يوم الحديبية.

---

(١) ينظر: البداية والنهاية لابن كثير ٤/ ٣٨١، دار هجر.

(٢) ينظر: البداية والنهاية لابن كثير ٤/ ٣٧٣، دار هجر.

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الأقضية، باب اجتهاد الرأي في القضاء ٤/ ٢١٥، حديث رقم ٣٥٨٧- ٣٥٨٨، والترمذي في أبواب الأحكام، باب ما جاء في القاضي كيف يقضي؟ ٣/ ٩، حديث رقم ١٣٢٧.

الصنف الثاني: النساء:

وفي مقدمتهم زوجات رسول الله ﷺ الطاهرات المطهّرات، حيث نقلن للأمة أقوال رسول الله ﷺ وأفعاله، بل يتميزن على باقي الصحابة أنهن - رضوان الله عليهن - روين عن رسول الله ﷺ ما لا يطلع عليه إلا هن، وتأتي في مقدمتهن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - فقد روت عن رسول الله ﷺ ألفين ومائتين وعشرة أحاديث، وهي في عداد المكثرين من الرواية عن رسول الله ﷺ [(١)].

ثالثا: أصناف الدعاة حسب أعمارهم:

يمكن تقسيم الدعاة حسب أعمارهم إلى شيوخ وشباب وأطفال.

أما الشيوخ: فلا أجد أحسن مثالاً من الصحابي الجليل عمرو بن الجموح ﷺ وعمرو هذا أسلم وهو طاعن في السن قد جاوز الستين، فلما حضرت غزوة أحد رأى أبناءه الثلاثة يتجهزون للقاء أعداء الله، فأثار الموقف حميته وعزم على أن يغدو معهم إلى الجهاد تحت راية رسول الله ﷺ، لكن أبناءه أجمعوا على منع أبيهم مما عزم عليه، فهو شيخ كبير طاعن في السن، وهو إلى ذلك أعرج شديد العرج، وقد عذره الله عز وجل فيمن عذرهم، فقالوا له: يا أبانا إن الله عذرك، فعلام تكلف نفسك ما أعفاك الله منه؟! فغضب الشيخ من قولهم أشد الغضب، وانطلق إلى رسول الله ﷺ يشكوهم فقال: يا نبي الله، إن أبنائي هؤلاء يريدون أن يحبسوني عن هذا الخير وهم يتذرعون بأني أعرج، واللهِ إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه الجنة، فقال رسول الله ﷺ لأبنائه: «دعوه، لعل الله عز وجل يرزقه الشهادة» [(٢)].

---

(١) ينظر: تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ٢/ ٢١٦، دار التراث.

(٢) ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر٤/ ٢٩٠، رقم الترجمة٥٧٩٢، دار الكتب العلمية، وصور من حياة الصحابة لعبد الرحمن رأفت الباشا ص ٧٣، دار النفائس.

فخرج ﷺ إلى أرض المعركة، وهناك رزقه الله الشهادة.

ففي هذا المثال نلاحظ أن هذا الصحابي الأنصاري الجليل اختار الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله وحماية هذا الدين، ورسول هذا الدين عليه الصلاة والسلام، وهذا من أعظم أنواع الدعوة إلى الله.

وأما صنف الشباب: فأكثر أصحاب رسول الله ﷺ الذين آمنوا به كانوا شباباً وفتياناً، وقد رباهم نبيهم محمد ﷺ وخرّج منهم دعاة وقادة حملوا راية هذا الدين ونشروه في أصقاع الأرض في مدة قصيرة.

وهل تعلم أيها القارئ الكريم أن سبب إسلام عمرو بن الجموح الذي ذكرناه آنفاً مجموعة من فتيان بني سلمة، منهم ابنه معاذ، ومعاذ بن جبل، كانوا يدخلون على صنم عمرو فيطرحونه في بعض حفر بني سلمة، فيغدو عمرو فيجده منكباً لوجهه في العذرة فيأخذه ويغسله ويطيبه ويقول: لو أعلم من صنع هذا بك لأخزيته، ففعلوا ذلك مراراً، ثم جاء بسيفه فعلقه عليه وقال: إن كان فيك خير فامتنع، فلما أمسى أخذوا كلباً ميتاً فربطوه في عنقه وأخذوا السيف فأصبح فوجده كذلك فأبصر رشده وأسلم، وقال في ذلك أبياتاً منها:

تالله لو كنت إلهاً لم تكن * أنت وكلب وسط بئر في قَرَن [1]

وأما صنف الأطفال: فهم شريحة من شرائح كل مجتمع، والأمة الناجحة هي من تُعنى بأطفالها تربية وتوجيهاً ورعاية، وهذا ما فعله إمام المربين وقدوة الدعاة أجمعين نبينا محمد ﷺ، فقد كان يولي الأطفال عناية خاصة فيعلّم هذا ويمازح هذا.

يروي لنا عمر بن أبي سلمة أنه كان غلاماً في حَجْر النبي ﷺ وكانت يده

---

(١) ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة ٤/ ٢٩٠، رقم الترجمة ٥٧٩٢.

تطيش في الصفحة فقال له رسول الله ﷺ: «يا غلام، سمّ الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك»[(١)].

ويحدثنا أنس بن مالك ﷺ حيث يقول: إن كان النبي ﷺ ليخالطنا حتى يقول لأخ لي صغير: «يا أبا عمير ما فعل النُّغَير»[(٢)].

وهذه التربية خرّجت أطفالاً حملوا مسؤولية دعوية في عهد النبوة، فهذا عمرو بن سلمة يقول: «إن النبي ﷺ قال لأبيه: وليؤمكم أكثركم قرآناً، فنظروا فلم يكن أحد أكثر قرآناً مني لما كنت أتلقى من الركبان، فقدموني بين أيديهم وأنا ابن ست سنين أو سبع سنين»[(٣)].

ولا يخفى على القارئ الكريم أن إمامة الناس في الصلاة لون من ألوان الدعوة، ولو لم يكن فيها إلا إسماع الناس كلام الله وهو من أعظم الدعوة إليه ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾[(٤)]، ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾[(٥)].

وبهذا تمت الإجابة على الأسئلة السبعة، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام والأكل باليمين ص ٩٦٠، حديث رقم ٥٣٧٦.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب، باب الانبساط إلى الناس ص ١٠٦٧، حديث رقم ٦١٢٩.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المغازي، باب مُقام النبي ﷺ بمكة زمن الفتح ص ٧٢٧، حديث رقم ٤٣٠٢.

(٤) الآية ٤٥ من سورة (ق).

(٥) الآية ٦ من سورة التوبة.

البحث الثالث

الروضَةُ النّدّيَّة في إجابة الأسئلة المتعلقة بالمدعو في السنة النبوية

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فقد كلّفَنا فضيلة أستاذنا الدكتور/ عبد الرحمن الخليفي بالإجابة على أسئلة تتعلق بالمدعو، ضمن مقرر نصوص الدعوة في السنة النبوية.

وقد بلغ مجموعها ستة أسئلة، هذا بيانها:

- السؤال الأول: كيف يتم اختيار المدعو في السنة النبوية؟ هل يكون بالدعوة الفردية أو بالدعوة الجماعية؟
- السؤال الثاني: هل يتم تعاهد المدعو ومتابعته في الدعوة حتى يتم ارتقاؤه أو أن الدعوة في السنة هي مجرد البلاغ فقط؟
- السؤال الثالث: ما صفات المدعوين في السنة النبوية؟
- السؤال الرابع: ما أصناف المدعوين في السنة النبوية؟
- السؤال الخامس: ما الميدان الذي دعا فيه النبي ﷺ ؟
- السؤال السادس: ما موضوع الدعوة؟

وقد بذلتُ جهدي في الإجابة على هذه الأسئلة، وضمّنت الإجابات أحاديث نبوية ونصوصاً من السنة المحمدية، راجية التوفيق والسداد من رب البرية.

واللهَ أسأل أن يرزقني الإخلاصَ في القول والعمل.

السؤال الأول: كيف يتم اختيار المدعو في السنة النبوية؟ هل يكون بالدعوة الفردية أو بالدعوة الجماعية؟:

للإجابة على هذا السؤال أقول: إنه بتتبع سنة رسول الله ﷺ نجد أن النبي ﷺ سلك كلا الطريقين حسب ما يقتضيه الحال، وبحسب الزمان، وحال الدعوة، والمدعو، والداعي.

وليتضح الأمر أكثر سأبيّن أولاً الدعوة الفردية ونماذج منها، ثم الدعوة الجماعية ونماذج منها، وذلك من سنة النبي ﷺ.

أولاً: الدعوة الفردية:

هذا الأسلوب وهذه الطريقة بدأ بها النبي ﷺ دعوته، فقد بدأ النبي ﷺ بدعوة أقرب الناس إليه، فدعا زوجته خديجة، ودعا أبا بكر، ودعا علي بن أبي طالب، ودعا زيد بن حارثة ـ رضي الله عنهم جميعاً ـ وهكذا... ثم أعلن النبي ﷺ دعوته، وجهر بالبلاغ، ولكن أسلوب الفردية في الدعوة لم يتركه عليه الصلاة والسلام، بل استمر عليه حسب الحال والمقام.

وإليك بعض النماذج من الدعوة الفردية:

١ـ الزيارة بقصد الدعوة:

ومن ذلك زيارة النبي ﷺ لعمه أبي طالب عندما حضرته الوفاة، فقد روى الشيخان[1] عن سعيد بن المسيب عن أبيه أنه أخبره لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل بن هشام، وعبد الله ابن أبي أمية بن المغيرة، فقال رسول الله ﷺ لأبي طالب: «يا عمّ قل: لا إله

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا قال المشرك عند الموت لا إله إلا الله ص ٢١٧، حديث رقم ١٣٦٠، ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان، باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت ص ٣٣، حديث رقم ٣٩.

إلا الله، كلمة أشهد لك بها عند الله ... ».

وروى الإمامان: أحمد في مسنده [١] والحاكم في مستدركه [٢] بسنديهما عن ربيعة بن عبد الديلي - رضي الله عنه - يقول: رأيت رسول الله ﷺ يطوف على الناس بمنى في منازلهم قبل أن يهاجر إلى المدينة، يقول: «يا أيها الناس إن الله يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً...» الحديث.

ففي هذين الحديثين دلالة ظاهرة على سلوك النبي ﷺ أسلوب الزيارة لدعوة الناس، وهذا لا شك أنه من الطريقة الفردية.

٢- كتابة الرسائل إلى أشخاص بأعيانهم وإرسال الرسل إليهم:

فقد كتب النبي ﷺ كتباً إلى الملوك والزعماء في زمانه، فقد أرسل عليه الصلاة والسلام كتباً إلى كل من قيصر، وكسرى، والنجاشي، وحبر تيماء، وغيرهم.

وهذه الكتب محفوظة في كتب الأحاديث والسير، ولولا الإطالة لسردتها، ولكن أكتفي بأنموذج وهو كتاب الرسول ﷺ إلى هرقل، فقد روى الشيخان [٣] هذا الكتاب، ونصه: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلِم تسلَم، وأسلِم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين، و﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟

(١) مسند الإمام أحمد ٤/ ٤٩١-٤٩٢.

(٢) مستدرك الحاكم ١/ ١٥.

(٣) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ص ٢، حديث رقم ٧، ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد، باب كتب النبي ﷺ إلى هرقل ملك الشام يدعوه إلى الإسلام ص ٧٨٧، حديث رقم ١٧٧٣.

فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[1]».

٣ـ استثمار الفرص واللقاءات العارضة:

لقد كان رسول الله ﷺ يستثمر أي فرصة يجدها مناسبة لإبلاغ دعوته، ومن ذلك:

أ ـ دعوة الرسول ﷺ لأبي جهل في بعض أزقة مكة. فعن المغيرة بن شعبة قال: إن أول يوم عرفت رسول الله ﷺ أني أمشي أنا وأبو جهل بن هشام في بعض أزقة مكة، إذ لقينا رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ لأبي جهل: «يا أبا الحكم، هلُمّ إلى الله وإلى رسوله، أدعوك إلى الله»[2].

ب ـ دعوة الرسول ﷺ لعداس كما جاء في قصة ذهاب الرسول ﷺ إلى الطائف، وملخصها: أن النبي ﷺ لَمّا رده أهل الطائف ولم يستجيبوا لدعوته وأغروا به الصبيان والعبيد والسفهاء ورموه بالحجارة، فلما خلص منهم وقدماه تسيلان بالدماء، عمد إلى بستان لعتبة بن ربيعة وأخيه شيبة وهما فيه، فجلس رسول الله ﷺ في ظل شجرة عنب، فلما رآه ابنا ربيعة وما لقي تحركت له قلوبهما فرحماه وقالا لغلام لهما نصراني يقال له عداس: خذ قطفاً من هذا العنب فضعه في هذا الطبق ثم اذهب به إلى ذلك الرجل، ففعل عداس ما طلب منه، فلما أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ، ثم قال له: كل، فلما وضع رسول الله ﷺ يده فيه قال: بسم الله، ثم أكل، فنظر عداس في وجهه ثم قال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد، فقال رسول الله ﷺ: ومن أهل أي البلاد أنت يا عداس؟ وما دينك؟ قال عداس: نصراني، وأنا رجل من أهل نينوى، فقال رسول الله ﷺ من قرية الرجل

---

(١) الآية ٦٤ من سورة آل عمران.

(٢) ينظر: صحيح السيرة النبوية للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ص ١٦٢، المكتبة الإسلامية، عمّان، الأردن.

الصالح يونس بن متى، فقال له عداس: وما يدريك ما يونس بن متى؟ فقال رسول الله ﷺ ـ وكان لا يحتقر أحداً يبلغه رسالات الله ـ: ذاك أخي كان نبياً وأنا نبي[(١)]، القصة.

فلم يتردد ﷺ في عرض دعوته على هذا الغلام وهو في هذه الحال من التعب والإعياء، ولم يقل إنه غلام، وماذا سيفيد الإسلام.

ولعل هذا يحرك في نفوسنا أمر الدعوة، فكم يوجد في بيوتنا ومجتمعاتنا من يحتاج إلى الدعوة من الخدم والنساء المتبرجات وغيرهن، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[(٢)].

ثانياً: الدعوة الجماعية:

وهي الدعوة التي يوجه فيها الخطاب إلى عموم الناس، وقد سلك الرسول ﷺ هذه الطريقة لَمّا نزل عليه قوله تعالى: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[(٣)]، قال ابن إسحاق: ثم دخل الناس في الإسلام أرسالاً من الرجال والنساء حتى فشا ذكر الإسلام بمكة، وتحدث به، ثم إن الله عز وجل أمر رسوله ﷺ أن يصدع بما جاء منه، وأن يبادي الناس بأمره، وأن يدعو إليه، وكان بين ما أخفى رسول الله بأمره واستتر به إلى أن أمره الله تعالى بإظهار دينه ثلاث سنين ـ فيما بلغني ـ من مبعثه، ثم قال الله له: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[(٤)].

---

(١) ينظر: مختصر سيرة الرسول ﷺ لعبد الله بن الشيخ بن محمد بن عبد الوهاب ص ١٨٨-١٨٩، دار السلام.

(٢) الآية ٣٧ من سورة ق.

(٣) الآية ٩٤ من سورة الحجر.

(٤) الآية ٩٤ من سورة الحجر.

ولهذه الطريقة نماذج عدة منها:

١ـ الخطابة:

وللخطابة دورها البارز في إبلاغ الدعوة؛ حيث كانت من أشهر وسائل العرب للبلاغ، فهم أهل الفصاحة والبيان، والبلاغة واللسان، ورسول الله ﷺ أفصح العرب لساناً، وأبلغهم بياناً، وكان لخطبه عليه الصلاة والسلام دور بارز في الدعوة إلى الله، من ذلك: خطبة الجمعة، وخطبة العيدين، وخطبة الاستسقاء، وخطبة الكسوف، وخطبة عرفة، والخطب العارضة، فقد كان ﷺ إذا أَهَمَّهُ أَمْرٌ أَمَرَ بلالاً فنادى: الصلاة جامعة، ثم يخطب بهم النبي ﷺ.

٢ـ الدروس والمواعظ العامة:

استخدم رسول الله ﷺ هذه الطريقة للدعوة منذ بداية العهد المكي، فقد كان يلقي على أصحابه الدروس والمواعظ في دار الأرقم بن أبي الأرقم، ولما هاجر إلى المدينة كان من أول أعماله ـ عليه الصلاة والسلام ـ بناء المسجد الذي يُعَد المدرسة الأولى في الإسلام؛ إذ تخرج منه الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ وكان معهم رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ يلقي عليهم الدروس والمواعظ في مسجده، كما كان يلقي هذه المواعظ والدروس في أماكن شتى حسب ما يقتضيه المقام.

ومن ذلك: إلقاؤه المواعظ في المقبرة، فقد روى الشيخان من حديث علي ـ رضي الله عنه ـ قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا النبي ﷺ فقعد وقعدنا حوله، ومعه مخصرة، فنكّس فجعل ينكت بمخصرته، ثم قال: «ما منكم من أحد، ما من نفس منفوسة إلا كتب مكانها من الجنة والنار، وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة... »[1].

---

(١) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الجنائز، حديث رقم ١٣٦٢، ومسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه، حديث رقم ٢٦٤٧.

ولقد سلك رسول الله ﷺ في دروسه ومواعظه أساليب متعددة، منها: بيان الأحكام والحلال والحرام، وضرب الأمثال، والقصص والترغيب والترهيب، وبيان فضائل الأعمال وطرق الخير.

وهذا محفوظ في السنة، والأحاديث فيه كثيرة معلومة معروفة.

السؤال الثاني: هل يتم تعاهد المدعو ومتابعته في الدعوة حتى يتم ارتقاؤه أو أن الدعوة في السنة هي مجرد البلاغ فقط؟:

الظاهر من سنة النبي ﷺ أنه كان حريصاً على تعاهد المدعوين، ويتبين هذا من خلال الأمثلة الآتية:

١ـ اختيار النبي ﷺ دار الأرقم بن أبي الأرقم للاجتماع بأصحابه الذين آمنوا به، وكان ذلك في مكة [(١)].

وهذا الأمر يعدّ اهتماماً بالغاً منه ﷺ بالمدعوين، ففي هذه الدار يقوم ـ عليه الصلاة والسلام ـ بتعليم الصحابة أمور دينهم، ويتعاهدهم بالتربية.

٢ـ إرسال النبي ﷺ مصعب بن عمير إلى المدينة ليقوم بتعليم الذين آمنوا من الأنصار تعاليم الإسلام، ويفقههم في الدين، ويقرئهم القرآن [(٢)].

٣ـ كان ـ عليه الصلاة والسلام ـ يقوم بزيارة منتظمة لأبي بكر ـ رضي الله عنه ـ كما جاء في حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ: لم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفي النهار بكرة وعشياً [(٣)].

ولا شك أن زيارته المتكررة ما هي إلا لأغراض الدعوة لا لمجرد الزيارة فقط، بدليل أنه ﷺ لم ينقل عنه فعل ذلك مع أبي بكر في المدينة.

---

(١) ينظر: سيرة ابن هشام ص ٣٤٣، ٣٤٥.

(٢) ينظر: مختصر سيرة الرسول لعبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ص ٢٠٥.

(٣) ينظر: المرجع السابق.

٤ـ حرصه ـ عليه الصلاة والسلام ـ على متابعة شؤون أصحابه بتقوية هممهم، وتثبيتهم عند حلول الشدائد والمحن بهم، فكان يزور الذين يعذبون منهم في أماكن تعذيبهم، فيواسيهم بالصبر والثبات، ويبشرهم بالجنة، كما في قوله لآل ياسر وهم يعذبون: «صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة»[1].

هذا غيض من فيض من تعاهد النبي ﷺ للمدعوين، فينبغي للدعاة أن يقتدوا بنبيهم، ويسيروا على طريقته، ويتعاهدوا المدعوين، فالتعاهد مما يعين على الثبات، ويرقى بالمدعو ليكون مؤثراً وداعياً.

ولقد تيسرت في الأزمنة الأخيرة بسبب الثورة العلمية في عالم الاتصالات طرق ووسائل للاتصال بالمدعويين، فيمكن لمن في الشرق أن يتواصل مع من في الغرب والعكس. وما أجمل ما فعله بعض الدعاة المشرفين على مواقع دعوية وأخرى تربوية عبر الشبكة العنكبوتية، حيث جعلوا التواصل مع الزوار ممكناً، واهتموا بزوار مواقعهم فراسلوهم وأجابوا على استفساراتهم، فنفع الله بهم.

السؤال الثالث: ما صفات المدعوين في السنة النبوية؟:

الجواب: خلق الله البشر وفاوت بينهم في الخَلق والخُلُق، وفي الطبائع والصفات، ولذلك فإن الدعوة إذا وجّهت للبشر فموقفهم منها يكون غالباً حسب صفاتهم التي خلقهم الله عليها، فنجد منهم سريع الاستجابة للدعوة، لِمَا أَودعَه الله فيه من صفات، كسرعة التمييز بين الحق والباطل، وسرعة اتخاذ القرار، وترك ما عليه الآباء والأجداد، ونحو ذلك، وهذا ما نلاحظه في إسلام أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ فقد قال ابن إسحاق: حدثني محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين التميمي أن رسول الله ﷺ قال: «ما دعوت

(١) ينظر: مختصر سيرة الرسول لعبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ص ٢٠٥.

أحدًا إلى الإسلام إلا كانت عنده كبوة وتردد ونظر، إلا أبا بكر ما عَكَم [١] عنه حين ذكرته ولا تردد فيه » [٢].

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ: «كان ـ أبو بكر ـ صاحبَ رسول الله ﷺ قبل البعثة، وكان يعلم من صدقه وأمانته وحسن سجيته وكرم أخلاقه ما يمنعه من الكذب على الخلْق، فكيف يكذب على الله؟! ولهذا بمجرد ما ذكر له أن الله أرسله بادر إلى تصديقه ولم يتلعثم ولا عَكَم» [٣].

ولهذا خطب النبي ﷺ أصحابه يوماً مبيناً فضل أبي بكر عليهم، فقال: «إن الله بعثني إليكم فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي؟! » [٤].

وإذا كان أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ استجاب لرسول الله ﷺ سريعاً وآمن بدعوة الرسول ﷺ وبما جاء به من عند الله، فقد تأخر بالاستجابة غيره، فهذا عمر ـ رضي الله عنه ـ ثاني الخلفاء الراشدين وأفضل الأمة بعد أبي بكر، إلا أن إسلامه تأخر شيئاً قليلاً لأمر أراده الله، وقد رجح الحافظ ابن كثير أن إسلام عمر كان قبل الهجرة بنحو من أربع سنين، أي: في السنة التاسعة من البعثة [٥].

ومما ينبغي التأكيد عليه أن صفات المدعوين ليست ثابتة لا تقبل التغير،

---

(١) عَكَم، أي: تلبّث وانتظر. ينظر: القاموس المحيط للفيروز آبادي مادة عكم ص ١٤٧١، مؤسسة الرسالة بيروت.

(٢) ينظر: البداية والنهاية للحافظ ابن كثير ٤/ ٦٨، تحقيق: د. عبد الله التركي، دار هجر القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

(٣) المرجع السابق ٤/ ٦٨.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب حدثنا الحميدي ص ٦١٤، حديث رقم ٣٦٦١.

(٥) ينظر: البداية والنهاية ٤/ ٢٠٢.

بل إن الأحداث والوقائع تدل على أن المدعو قد يواجه الدعوة بعنف، ويكون عدواً لها، ثم ما يلبث أن ينقلب رأساً على عقب.

ومن أصدق الأمثلة على هذا عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ فقد كان يقال قبل إسلامه: لا يُسلم عمر حتى يسلم حمار الخطاب، وذلك لما كان من غلظته وقسوته على الإسلام [١].

ولكن الله اختاره وجعله من أعلام هذا الدين، وما أجمل ما قاله أديب الفقهاء وفقيه الأدباء في هذا العصر: الشيخ علي الطنطاوي ـ رحمه الله ـ عن عمر ـ رضي الله عنه ـ بعد أن نطق بالشهادتين أمام رسول الله ﷺ: «يا لَسِرّ الكلمة السماوية: لا إله إلا الله محمد رسول الله، لقد نقلت عمر من ظلمة الجاهلية إلى نور الإسلام، ومن حضيض الخمول إلى قُنّة المجد، ومن مهامة النسيان إلى صدر التأريخ... لقد ذهب عمر الفظ القاسي الذي كان مطية لقريش في ظلمها وشركها وجبروتها الزائف، ينصر الباطل على الحق، والشرك على التوحيد، وجاء عمر الفاروق العادل الرؤوف الرحيم، البطل الخالد العظيم، العبقري الذي أدار أربع ممالك، لقد جاء أمير المؤمنين سيف الإسلام وعز الدين، يالَلعجب العجاب! إن الرجل الذي خرج في الهاجرة المحرقة، في هذا اليوم العصيب، منتضياً سيفه، لا يلوي على شيء حتى يقتل محمداً، قد رجع وهو يحب محمداً أكثر من أمه وأبيه والناس أجمعين، صلى الله على محمد» [٢].

ثم يمضي الشيخ علي الطنطاوي في حديثه قائلاً: إنها قد تعرض للمرء لحظات تبدل مسار حياته، ولكنا لا نعرف ـ ولا يكاد يعرف أحد ـ مثل هذه اللحظة المباركة التي قلبت هذا الرجل قلباً، فارتقى مرة واحدة من بدوي

---

(١) المرجع السابق ٤/ ١٩٦.

(٢) ينظر: قصة حياة عمر للشيخ علي الطنطاوي ص ٧، دار المنارة جدة.

منكر لا يعرفه إلا قومه، إلى عبقري سيعرفه التأريخ بأنه قاهر كسرى وقيصر، وباني الكوفة والبصرة، وأنه أشد وأرق وأعقل وأعدل ملوك الزمان، هذه اللحظة التي أثرت في حياة العالم فأزاحت دولاً، وأقامت دولاً، وثلّت عروشاً وبنت حضارات...» [(١)].

ومن هنا نخلص إلى أن المدعوين لهم صفات متنوعة، فمنهم سريع الاستجابة، ومنهم من يكون بطيء الاستجابة، ومنهم المتردد.

ونخلص أيضاً إلى أن هذه الصفات منها الفطري ومنها المكتسب، وهي قابلة للتغيير.

فإذا عرف الداعية ذلك استطاع أن يستفيد منه في دعوته، فلا يأس من دعوة أحد إلى دين الله، فكم شخص كان من إخوان الشياطين فمنّ الله عليه بلحظة من هذه اللحظات التي يمن بها على عباده فاستجاب لدعوة أحد الدعاة، فأصبح قوّاماً صوّاماً من أنصار هذا الدين، ومن عباد الله المتقين.

السؤال الرابع: ما أصناف المدعوين في السنة النبوية؟:

يمكن تصنيف المدعوين إلى صنفين أساسين هما:

الصنف الأول: المسلمون أو المؤمنون، وهم المعروفون في الاصطلاح الدعوي بـ (أمة الاستجابة).

الصنف الثاني: الكافرون ـ أو غير المسلمين ـ الذين يدخلون في الاصطلاح الدعوي في (أمة الدعوة) [(٢)].

أما الصنف الأول وهم المسلمون فهم أنواع متعددة، فيمكن تقسيمهم إلى رجال ونساء، ومكلفين وغير مكلفين.

---

(١) ينظر: قصة حياة عمر للشيخ علي الطنطاوي ص ٧، دار المنارة جدة.

(٢) ينظر: المدخل إلى علم الدعوة للبيانوني ص ١٧٢-١٧٤.

أما الرجال فأغلب دعوة النبي ﷺ كانت موجهة إليهم بحكم كثرة مخالطتهم له، وبطبيعة ما خلقهم الله عليه، فخُطب النبي ﷺ موجهة لهم، وفي الجهاد كانوا معه، وهكذا.

وأما النساء فلهن حظ غير قليل من دعوة النبي ﷺ، فها هو ـ عليه الصلاة والسلام ـ يذهب إليهن بعد فراغه من خطبة عيد الفطر ليذكرهن ويدعوهن، يقول جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ: قام النبي ﷺ يوم الفطر فصلى، فبدأ بالصلاة، ثم خطب، فلما فرغ نزل فأتي النساء فذكّرهن وهو يتوكأ على يد بلال ـ رضي الله عنه ـ الحديث [(١)].

وقد عنون البخاري على هذا الحديث فقال: «باب موعظة الإمام النساء يوم العيد».

وقال العيني ـ رحمه الله ـ في شرحه لهذا الحديث: «فيه استحباب وعظ النساء وتعليمهن أحكام الإسلام، وتذكيرهن بما يجب عليهن وما يستحب، وحثهن على الصدقة» [(٢)].

وأما غير المكلفين ـ وهم الأطفال ـ فلهم في الشرع المطهر اهتمام بالغ، فقد أمر النبي ﷺ الأولياء بأن يأمروا أبناءهم بالصلاة لسبع سنين، وأن يضربوهم عليها إذا بلغوا عشر سنين [(٣)].

---

(١) متفق عليه، فقد أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العيدين، باب موعظة الإمام النساء يوم العيد ص ١٥٧، برقم ٩٧٨، ومسلم في صحيحه، كتاب صلاة العيدين، باب كتاب صلاة العيدين ص ٣٥٤، برقم ٨٨٥.

(٢) ينظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعلامة بدر الدين العيني ٦/ ٣٠١، دار الفكر بيروت.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة، حديث رقم ٤٩١، عون المعبود ٢/ ١٦٢.

والنبي ﷺ يقول للغلام الذي كان يأكل معه ويده تطيش في الصحفة: «يا غلام سمّ الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك» [(١)].

وابن عباس يحدّثنا عما جرى له مع النبي ﷺ حينما كان رِدْف النبي ﷺ حيث أوصاه وصية بليغة ذات معانٍ حميدة، وفوائد كثيرة، جاء فيها: «يا غلام إني أعلّمك كلمات: احفظ الله يحفظْك، احفظ الله تجده تجاهك ...» [(٢)].

هذا أحد التقاسيم للمدعوِّين المسلمين.

وهناك تقسيم آخر، حيث يمكن تقسيمهم إلى:

١ـ مهتدين.

٢ـ ضالين.

وهذا التقسيم غالباً ما يستعمل في مقام الحكم على العقائد وبيان سلامتها[(٣)].

أما الصنف الثاني ـ وهم الكافرون ـ فيمكن تقسيمهم إلى: مشركين، وأهل كتاب، ومنافقين.

أما المشركون فقد مكث النبي ﷺ في مكة ثلاث عشرة سنة وهو يدعو المشركين عبدة الأصنام إلى عبادة الله وحده.

وأما أهل الكتاب فها هو عليه الصلاة والسلام ينادي اليهود وقد خرج لدعوتهم: «يا معشر يهود أسلِموا تسلَموا...»[(٤)]، وكذلك إرسال الرسل

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما ص ٩٠٢-٩٠٣، برقم ٥٢٦٩.

(٢) ينظر: جامع الترمذي، أبواب صفة القيامة، باب حديث حنظلة، ص ٥٧٢، برقم ٢٥١٦.

(٣) ينظر: المدخل إلى علم الدعوة للبيانوني ص ١٧٤.

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإكراه، باب في بيع المكره ونحوه في=

وكتابة الكتب لدعوة ملك النصارى هرقل[١].

ويجمع هذه الأنواع الثلاثة ـ المشركين، واليهود، والمنافقين ـ حديث أسامة بن زيد ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ﷺ مرّ بمجلس فيه أخلاط من المسلمين، والمشركين عبدة الأوثان، واليهود، فيهم عبد الله بن أبي، وفي المجلس عبد الله بن رواحة ـ رضي الله عنه ـ فلما غَشيت المجلس عجاجة الدابة خَمّر عبد الله بن أبي أنفه بردائه، ثم قال: لا تغبّروا علينا. فسلّم النبي ﷺ ثم وقف فنزل فدعاهم إلى الله، وقرأ عليهم القرآن، فقال عبد الله بن أبي: أيها المرء ألا أحسن من هذا؟ إن كان ما تقول حقاً فلا تؤذنا في مجالسنا وارجع إلى أهلك فمن جاءك فاقصص عليه، فقال عبد الله بن رواحة ـ رضي الله عنه ـ اغشنا في مجالسنا فإنا نحب ذلك[٢].

السؤال الخامس: ما الميدان الذي دعا فيه النبي ﷺ؟:

الجواب: لقد أمر الله نبيه محمداً ﷺ بالدعوة، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ﴾[٣]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ﴾[٤]، فقام عليه الصلاة والسلام بما أمره ربه فدعا ليلاً ونهاراً، سراً وجهاراً، ودعا في السفر والحضر، وفي الرخاء والشدة، وما أجمل ما قاله علامة الشام محمد جمال الدين القاسمي: «لا خفاء في أن النبي ﷺ قد بلّغ البلاغ التام، وقام به

الحق وغيره ص ١١٩٧، حديث رقم ٦٩٤٤، ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد، باب إجلاء اليهود من الحجاز ص ٧٨٣، حديث رقم ١٧٦٥.

(١) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم ١٢/ ١٠٣.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب في دعا النبي ﷺ وصبره على أذى المنافقين ص ٨٠١-٨٠٢، حديث رقم ١٧٩٨.

(٣) الآيتان ١- ٢ من سورة المدثر.

(٤) الآية ٦٧ من سورة المائدة.

أتم القيام، وثبت في الشدائد وهو مطلوب، وصبر على البأساء والضراء وهو مكروب ومحروب، وقد لقي بمكة من قريش ما يشيب النواصي، ويهد الصياصي، وهو مع الضعف يصابر صبر المستعلي، ويثبت ثبات المستولي، ثم انتصب لجهاد الأعداء وقد أحاطوا بجهاته، وأحدقوا بجنباته، وصار بإثخانه في الأعداء محذوراً، وبالرعب منه منصوراً، حتى أصبح سراج الدين وهّاجاً، ودخل الناس في دين الله أفواجاً» [١].

وإذا أردنا أن نحصي الميادين التي دعا فيها النبي ﷺ لطال بنا الحديث، فقد دعا عليه الصلاة والسلام في المسجد، والسوق، والطريق، والسجن، والسفر، والمقبرة، ومنازل الناس، وغيرها.

وسأضرب مثالين من السنة النبوية:

المثال الأول: ميدان السجن [٢]:

أن النبي ﷺ حَبَس ثمامة بن أثال في المسجد فكان النبي ﷺ يقول له: «ما عندك يا ثمامة؟» فيقول: عندي خير يا محمد، إن تقتُل تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد مالاً فسل منه ما شئت. قال له النبي ﷺ ذلك ثلاث مرات، في كل يوم يخرج إليه النبي فيقول له ذلك: ما عندك يا ثمامة [٣].

---

(١) ينظر: تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل ٣/ ١٧٠، مؤسسة التاريخ العربي.

(٢) لاستقصاء الأمثلة يراجع كتاب: الدعوة إلى الله في السجون على ضوء الكتاب والسنة، للدكتور/ عبد الرحمن الخليفي ص ١٨٥-١٩٠، مطبعة سفير، نشر: دار الوطن.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة ص ٧٤١، حديث رقم ٤٣٧٢، ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب ربط الأسير وحبسه وجواز المن عليه ص ٧٨٢، حديث رقم ١٧٦٤.

قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ: «قوله: (ما عندك يا ثمامه؟) وكرّر ذلك ثلاثة أيام، هذا من تأليف القلوب وملاطفة لمن يرجى إسلامه من الأشراف الذين يتبعهم على إسلامهم خلق كثير» (١).

المثال الثاني: ميدان السوق:

في السنة النبوية أحاديث كثيرة تبين قيام النبي ﷺ بالدعوة إلى الله في السوق، من ذلك أن النبي ﷺ كان يذهب إلى سوق عكاظ ويقول: «يا أيها الناس قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا...» (٢).

وكان ذلك قبل الهجرة، ودعوته ﷺ في الأسواق استمرت حتى بعد الهجرة، فقد كان يذهب إلى سوق بني قينقاع فيقول: «يا معشر يهود أسلِموا قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريشًا...» (٣).

فهل يعي الدعاة هذا الأمر ويقتدوا بنبيهم محمد ﷺ فينطلقوا في نشر الدعوة في شتى الميادين، حسب قدرتهم، وفي حدود طاقتهم، فلو فعلوا ذلك لانتشر الإسلام وارتفعت دعوة الحق. والله من وراء القصد.

السؤال السادس: ما موضوع الدعوة؟:

موضوع الدعوة هو الإسلام الذي يُدعَى الناس إليه (٤).

والإسلام له إطلاقان: عام، وخاص.

أما الإطلاق العام: فعلى جميع الأديان السماوية التي اشتملت على

---

(١) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم ١٢/ ٨٩، دار الفكر بيروت.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣/ ٤٩٢.

(٣) أخرجه أبو داود، كتاب الخراج، باب كيف كان إخراج اليهود من المدينة ص ٤٣٩، حديث رقم ٣٠٠١.

(٤) ينظر: المدخل إلى علم الدعوة لمحمد أبو الفتح البيانوني ص١٨٢، وأصول الدعوة لعبد الكريم زيدان ص ٥-٧.

الخضوع والانقياد لما جاء عن الله عز وجل.

وأما الإطلاق الخاص: فعلى ما جاء به محمد ﷺ.

والإطلاق الخاص له تعريفان في الاصطلاح الشرعي: خاص، وعام أيضاً.

فالإسلام بمعناه الخاص: ما عرّفه به الرسول ﷺ في حديث عمر ـ رضي الله عنه ـ حين سأله جبريل ـ عليه السلام ـ عن الإسلام في مقابل الإيمان والإحسان، فقال: «الإسلام: أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً» (١).

والإسلام بمعناه العام: هو الدين الذي جاء به محمد ﷺ، ويشمل ثلاثة جوانب:

الجانب الأول: جانب العقيدة.

والعقيدة الإسلامية هي الإيمان الجازم بالله وما يجب له في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، والإيمان بملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، وبكل ما جاءت به النصوص الصحيحة من أصول الدين وأمور الغيب وأخباره (٢).

الجانب الثاني: جانب الشريعة:

ويتمثل في أركان الإسلام التي ذكرها رسول الله ﷺ في حديث جبريل،

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة، حديث رقم ٥٠، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، حديث رقم ١٠.

(٢) ينظر: بحوث في عقيدة أهل السنة والجماعة للدكتور/ ناصر العقل ص ١١-١٢، دار الوطن.

وفي جميع الأحكام الشرعية التي جاء بها الإسلام، سواء على المستوى الشخصي والأسري، أو المستوى العام، فيشمل ما يسمى بنظام العبادة، ونظام المعاملة والاقتصاد، ونظام الأحوال الشخصية، ونظام الحكم والسياسة، ونظام الاجتماع، ونظام الحسبة، ونظام الجهاد، وغير ذلك مما هو مبسوط في كتب الفقه[١].

الجانب الثالث: جانب الأخلاق:

ويتمثل في الدعوة إلى كل خلق كريم وسلوك مستقيم، والنهي عن كل خلق ذميم، والإسلام قد شمل في أخلاقه أحوال المسلم كلها صغيرها وكبيرها، دقيقها وجليلها، فرداً وأسرة ومجتمعاً، فالاستئذان والسلام والمصافحة والصدق والتأدب في المزاح والمداعبة وحفظ حقوق الإخوان، والأدب مع الأقارب والجيران، وصلة الأرحام، وإطعام الطعام، وتجنب الظلم والاحتقار والعدوان، كل ذلك وغيره باب واسع عظيم، بُعث النبي ﷺ ليتممه ويقرره[٢].

والنبي ﷺ وهو قدوة الدعاة ومعلمهم الأول قد دعا إلى الله وكانت دعوته شاملة للجوانب الثلاثة كلها، وسنته محفوظة مليئة بالنصوص في موضوع الدعوة.

وماذا يمكن لباحثة طُلب منها الاختصار في إجابتها أن تأتي بمثال لكل جانب؟ ولكني أقول: مَن تأمل إجابات الأسئلة السابقة وجد فيها أمثلة صالحة لكل جانب من جوانب شريعة الإسلام.

وبهذا تمت الإجابة على الأسئلة الستة، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) ينظر: المدخل إلى علم الدعوة للبيانوني ص ١٨٣.

(٢) المرجع السابق ص ١٨٥.

البحث الرابع

موضوع الدعوة

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد كلّفتني أستاذتي الكريمة الدكتورة/ بدرية البشر ـ وفقها الله ـ بالكتابة والبحث في موضوع بعنوان: (موضوع الدعوة)، وقد اجتهدت في جمع المراجع المتعلقة به وقراءتها.

وبعد تأمل وتفكير وتبديل وتغيير، استقر رأيي أن تكون خطتي في هذا البحث مكونة من مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة، على النحو الآتي:

المقدمة.

المبحث الأول: المقصود بموضوع الدعوة.

المبحث الثاني: خصائص الإسلام.

المبحث الثالث: مبادئ الإسلام الأساسية.

المبحث الرابع: عناية القرآن بموضوع الدعوة.

الخاتمة، وفيها أهم النتائج.

وحيث إن المقرر التابع لهذا البحث هو نصوص الدعوة في القرآن، فقد اجتهدت في جمع الآيات المتعلقة بموضوع الدعوة، ومن ثم توظيفها في مباحث هذا الموضوع.

وسيجد القارئ الكريم والقارئة الكريمة هذه النصوص مبثوثة في مباحث هذا البحث.

واللهَ أسألُ أن يحسن القصد والعمل.

وصلى الله وسلَّم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول: المقصود بموضوع الدعوة:

نقصد بموضوع الدعوة: الإسلام الذي يُدعَى الناس إليه [(١)].

والدعاة كلهم ـ وعلى رأسهم أنبياء الله ورسله ـ يدعون الناس إلى الإسلام، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [(٢)]، قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسيره [(٣)]: «إخبار منه تعالى بأنه لا دين عنده يقبله من أحد سوى الإسلام، وهو اتباع الرسل فيما بعثهم الله به في كل حين حتى خُتموا بمحمد ﷺ الذي سد جميع الطرق إليه إلا من جهة محمد ﷺ، فمن لقي الله بعد بعثة محمد ﷺ بدين غير شريعته فليس بمتقبل، كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [(٤)]».

وعلى هذا فنقول: إن الإسلام له إطلاقان: عام، وخاص.

أما الإطلاق العام: فعلى جميع الأديان السماوية التي اشتملت على الخضوع والانقياد لما جاء عن الله عز وجل.

والإطلاق الخاص: على ما جاء به محمد ﷺ.

ولهذا الإطلاق تعريفان في الاصطلاح: خاص، وعام.

فالإسلام بمعناه الخاص: ما عرّفه به الرسول ﷺ في حديث عمر رضي الله عنه حين سأله جبريل ـ عليه السلام ـ عن الإسلام في مقابل الإيمان والإحسان، فقال: (الإسلام: أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وتقيم

---

(١) ينظر: المدخل إلى علم الدعوة لمحمد أبو الفتح البيانوني ص ١٨٢، وأصول الدعوة لعبد الكريم زيدان ص٥، ٧.

(٢) الآية ١٩ من سورة آل عمران.

(٣) تفسير القرآن العظيم ١/ ٣٨٠.

(٤) الآية ٨٥ من سورة آل عمران.

الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً) [١].

والإسلام بمعناه العام: هو الدِّين الذي جاء به محمد ﷺ.

والإسلام بهذا المعنى يشمل ثلاثة جوانب:

الجانب الأول: جانب العقيدة:

والعقيدة الإسلامية هي الإيمان الجازم بالله، وما يجب له في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته. والإيمان بملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره. وبكل ما جاءت به النصوص الصحيحة من أصول الدين وأمور الغيب وأخباره [٢].

والعقيدة الصحيحة هي الأساس الذي يقوم عليه الدين، وتصح معه الأعمال، كما قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[٤]، فدلت هذه الآيات الكريمات وما جاء بمعناها ـ وهو كثير ـ أن الأعمال لا تُقبل إلا إذا كانت خالصة من الشرك، ومن ثَمَّ كان اهتمام الرسل ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ بإصلاح العقيدة أولاً، فأوّل ما يدعون إليه أقوامهم هو عبادة الله وحده، وترك عبادة ما سواه، وهذا ما فعله نبينا محمد ﷺ خاتم الأنبياء والرسل، فقد بقي في مكة

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة، حديث رقم ٥٠، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، حديث رقم ١٠.

(٢) ينظر: بحوث في عقيدة أهل السنة والجماعة للدكتور/ ناصر العقل ص ١١، ١٢.

(٣) الآية ١١٠ من سورة الكهف.

(٤) الآية ٦٥ من سورة الزمر.

بعد البعثة ثلاثة عشر عاماً يدعو الناس إلى التوحيد وإصلاح العقيدة؛ لأنها الأساس الذي يقوم عليه بناء الدين، وقد احتذى الدعاة والمصلحون في كل زمان حذو الأنبياء والمرسلين، فكانوا يبدؤون بالدعوة إلى التوحيد وإصلاح العقيدة، ثم يتجهون بعد ذلك إلى الدعوة إلى بقية أوامر الدين[١].

الجانب الثاني: جانب الشريعة:

ويتمثل في أركان الإسلام التي ذكرها الرسول ﷺ في حديث جبريل، وفي جميع الأحكام الشرعية التي جاء بها الإسلام، سواء على المستوى الشخصي والأسري، أو المستوى العام، فيشمل ما يسمى بنظام العبادة، ونظام المعاملة والاقتصاد، ونظام الأحوال الشخصية، ونظام الحكم والسياسة، ونظام الاجتماع، ونظام الحسبة، ونظام الجهاد، وغير ذلك مما هو مبسوط في كتب الفقه[٢].

الجانب الثالث: جانب الأخلاق:

ويتمثل في الدعوة إلى كل خلق كريم وسلوك مستقيم، والنهي عن كل خلق ذميم.

والإسلام قد شمل في أخلاقه أحوال المسلم كلها، صغيرها وكبيرها، دقيقها وجليلها، فرداً وأسرة ومجتمعاً، فالاستئذان والسلام والمصافحة، والصدق، والتأدب في المزاح والمداعبة، وحفظ حقوق الإخوان، والأدب مع الأقارب والجيران، وصلة الأرحام، وإطعام الطعام، وتجنب الظلم والاحتقار والعدوان، كل ذلك وغيره باب واسع عظيم بُعِث النبي ﷺ ليتممه ويقرره[٣].

---

(١) ينظر: عقيدة التوحيد للشيخ الدكتور/ صالح الفوزان ص ٩-١٠.

(٢) ينظر: المدخل إلى علم الدعوة لمحمد البيانوني ص ١٨٣.

(٣) ينظر: المرجع السابق ص ١٨٥.

والنبي ﷺ - وهو قدوة الدعاة الأوّل - قد جبله الله على خلق عظيم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[١]، ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾[٢].

المبحث الثاني: خصائص الإسلام:

عرفنا في المبحث الأول أن موضوع الدعوة هو الإسلام، والإسلام بمعناه الخاص - وهو ما جاء به محمد ﷺ - له خصائص كثيرة من أبرزها:

أولاً: أنه دين إلهي.

فالإسلام دين الله عز وجل الذي ارتضاه الله للعالمين، وهذه الخصيصة أعظم خصائصه وأساسها، فما سواها نتيجة لها وثمرة من ثمارها.

وإذا كان مصدره إلهياً فغايته وهدفه تحقيق مرضاة الله والقيام بعبادته، فهذه الغاية من أجلها خلق الله الجن والإنس: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[٣].

ولهذه الخصيصة ثمرات عدة منها:

أ - أنه يبين الحقائق الكبرى التي لا يستطيع الإنسان معرفتها إلا بالوحي المعصوم، كمعرفة الخالق جل وعلا، وصفاته، وبداءة الخلق ونحوها.

ب - أنه دين سالم من النقص والتعارض والهوى والحيف والظلم: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾[٤].

ج - موافقته للعلم الصحيح والعقل السليم، فهو دين يعتني بالعلم

---

(١) الآية ٤ من سورة القلم.
(٢) الآية ١٥٩ من سورة آل عمران.
(٣) الآية ٥٦ من سورة الذاريات.
(٤) الآية ٨٢ من سورة النساء.

ويمجد العلماء، قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[١]، ويحترم العقل ويخاطب عقول العقلاء: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾[٢].

د ـ تلبية مطالب النفس البشرية، وذلك بتشريع ما يصلح لها وما يُصلِحها: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[٣].

ثانياً: أنه دين شامل.

فقد شرع الله تعالى للأمة ديناً شاملاً في أحكامه وتشريعاته للثقلين من الجن والإنس، ولكل تصرفاتهم وعلاقاتهم حيثما كانوا فوق أيِّ أرض وتحت كل سماء، يقول جل وعلا: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾[٤].

فالإسلام دين ودولة، وهو عقيدة وعبادة، وهو حكم وقضاء، وشريعة وقانون، ومصحف وسيف، وجهاد ودعوة، وسياسة واقتصاد، وعلم وخلق وتوجيه.

ثالثاً: أنه دين الفطرة.

فالإسلام هو الدين الذي جبل الله الناس عليه وهيأهم لقبوله والعمل به، فلا يتعارض مع طبيعة الإنسان ولا يتضاد مع رغباته، بل يتفق معها ويوجهها ويرشدها إلى الأصح والأسلم، فكل إنسان يتجرد من الهوى والعناد يعترف بأن دين الإسلام هو الدين الحق، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ

---

(١) الآية ١١ من سورة المجادلة.

(٢) الآية ٤٣ من سورة العنكبوت.

(٣) الآية ١٤ من سورة الملك.

(٤) الآية ٨٩ من سورة النحل.

﴿لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1].

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي ـ رحمه الله ـ في تفسير هذه الآية[2] «فإن جميع أحكام الشرع الظاهرة والباطنة، قد وضع الله في قلوب الخلق كلهم الميل إليها، فوضع في قلوبهم محبة الحق وإيثار الحق، وهذه حقيقة الفطرة، ومن خرج عن هذا الأصل فلعارض عرض لفطرته أفسدها، كما قال النبي ﷺ: (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يُهَوِّدانه أو يُنَصِّرانه أو يُمجِّسانه)[3]».

رابعاً: أنه دين الوسطية.

وهي العدل والفضل والخيرية والتوازن، فالإسلام دين الوسط في كل الأمور عقيدة وشريعة وأخلاقاً، وهو وسط بين غلو الديانات الأخرى وتفريطها.

إن أمة الإسلام أمة وسط، شهد لها بذلك خالقها: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[4]، فقوله سبحانه: ﴿وَسَطًا﴾ أي: عَدْلاً، قاله الشوكاني ـ رحمه الله ـ في تفسيره[5].

---

(١) الآية ٣٠ من سورة الروم.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٦/ ١٢٦.

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب لا تبديل لخلق الله، حديث رقم ٤٤٩٧، ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب كل مولود يولد على الفطرة، حديث رقم ٢٦٥٨.

(٤) الآية ١٤٣ من سورة البقرة.

(٥) فتح القدير ١/ ١٥٠.

يقول الإمام ابن جرير الطبري ـ رحمه الله ـ [١]: «إنما وصفهم الله تعالى ذكره بأنهم وسط لتوسطهم في الدين» .

خامساً: أنه دين العلم.

فللعلم في الإسلام مكانة عالية ومنزلة رفيعة، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾[٢]، وآيات القرآن العظيم توجّه إلى التفكر والتدبر والنظر وإعمال العقل واللب في الوصول إلى الحق والصواب.

هذه أبرز خصائص الإسلام، وهناك خصائص أخرى يطول شرحها، من أبرزها: الواقعية، الوضوح، الكمال، التوازن، العملية [٣].

المبحث الثالث: مبادئ الإسلام الأساسية:

مبادئ الإسلام الأساسية كثيرة، تختلف أساليب العلماء والمؤلفين في بيانها وتجليتها. ويمكننا إجمال أهمها في جوانب ثلاثة:

الأول: في جانب الصلة بالله.

الثاني: في جانب الصلة بالنفس.

الثالث: في جانب الصلة بالآخرين.

ولعل قول النبي ﷺ: (اتق الله حيثما كنت، وأتْبع السيئةَ الحسنة تمحُها،

---

(١) جامع البيان في تأويل آي القرآن ٢/ ٦.

(٢) الآية ٩ من سورة الزمر.

(٣) للاستزادة من معرفة الخصائص العامة للإسلام يراجع كتاب الخصائص العامة للإسلام للدكتور/ يوسف القرضاوي، وكتاب: المدخل إلى الثقافة الإسلامية، تأليف: د. خالد القاسم ود. إبراهيم الريس ود. أحمد المزيد ود. إدريس بن حامد محمد ود. علي الصياح.

وخالق الناس بخلق حسن)[١]، يشير إلى هذه المبادئ الثلاثة.

- **أما المبادئ الأساسية في جانب الصلة بالله**، فهي واضحة في حديث جبريل حينما جاء يعلّم الأمة أمر دينها، حيث سأل النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان.

- **والمبادئ الأساسية في جانب الصلة بالنفس** تتمثل في:

أ - الدعوة إلى إعطاء النفس البشرية حقوقها كاملة، سواء منها الحقوق المعنوية والمادية، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[٢]، وجاء في الحديث الشريف: (... وإن لنفسك عليك حقا)[٣].

ب - الدعوة إلى الاهتمام بواجباتها وأداء وظائفها؛ فإن النفس البشرية مخلوق من مخلوقات الله عز وجل، لها حقوقها وعليها واجباتها، ولا بد من التوازن بين الحقوق والواجبات، ولقد اختصر النبي ﷺ هذه المعاني في بضع كلمات حينما سمع بالرهط الثلاثة الذين قال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبداً، وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال الثالث: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج، فقال ﷺ: (أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟! أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في معاشرة الناس، حديث رقم ١٩٨٧، والإمام أحمد في مسنده ٥/ ١٥٣، وحسّنه الألباني، ينظر: مشكاة المصابيح بتحقيق الألباني ٣/ ١٤٠٩.

(٢) الآيات ٧-١٠ من سورة الشمس.

(٣) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع، حديث رقم ١٩٦٨.

النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني)[١].

ـ **وأما المبادئ الأساسية في جانب الصلة بالآخرين** فمن أبرزها:

أ ـ الدعوة إلى بر الوالدين، والإحسان إلى ذوي القربى والمساكين وابن السبيل ونحوهم، كما قال تعالى: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾[٢]، وقال: ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾[٣].

ب ـ الدعوة إلى بذل النصيحة، والقيام بواجب الدعوة إلى الإسلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[٤]، جاء في تفسير هذه الآية: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ﴾ أي: جماعة، ﴿يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ﴾ وهو ما فيه صلاح ديني أو دنيوي، ﴿وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ أي: بكل معروف من واجب ومندوب يقربهم إلى الجنة ويبعدهم عن النار، ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ﴾ أي: عن كل حرام ومكروه يقربهم إلى النار ويبعدهم عن الجنة[٥].

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، حديث رقم ٤٧٧٦، ومسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنه، حديث رقم ١٤٠١.

(٢) الآية ٣٦ من سورة النساء.

(٣) الآية ٣٨ من سورة الروم.

(٤) الآية ١٠٤ من سورة آل عمران.

(٥) ينظر: تفسير القاسمي ٢/ ١٠٧.

ج ـ الدعوة إلى كل خلق كريم وعمل نبيل، كالصدق ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ (١)، والصبر ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٢)، والتسامح والعفو ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ (٣)، والتعاون والنصرة ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ (٤)، والوفاء ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ۚ﴾ (٥).

المبحث الرابع: عناية القرآن بموضوع الدعوة:

لقد اهتم القرآن اهتماماً ظاهراً بموضوع الدعوة، وهو الإسلام، بل يمكننا القول بأن القرآن كله يتحدث عن موضوع الدعوة، وإذا كان الأمر كذلك فيحسن أن نذكر شيئاً من مظاهر عناية القرآن بموضوع الدعوة فيما يأتي:

أولاً: محاربته للشرك ونهيه عنه: ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (٦).

ثانياً: ثناء القرآن على إسلام الوجه لله رب العالمين: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٧)، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ

---

(١) الآية ١١٩ من سورة التوبة.
(٢) الآية ١٠ من سورة الزمر.
(٣) الآية ١٩٩ من سورة الأعراف.
(٤) الآية ٢ من سورة المائدة.
(٥) الآية ١ من سورة المائدة.
(٦) الآيتان٣١- ٣٢ من سورة الروم.
(٧) الآية ١١٢ من سورة البقرة.

حَنِيفًا﴾[١]، ومعنى أسلم: استسلم، وقيل: أخلص. وخصّ الوجه بالذكر لكونه أشرف ما يُرى من الإنسان، ولأنه موضع الحواس الظاهرة، وفيه يظهر العز والذل، وقيل: إن العرب تخبر بالوجه عن جملة الشيء، وأن المعني هنا: الوجه وغيره، وقيل: المراد بالوجه هنا: المقصد، أي: من أخلص مقصده[٢].

ثالثاً: عناية القرآن العظيمة بتوحيد الله، فالتوحيد هو القضية الكبرى ومهمة رسل الله الأولى ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[٣]، ﴿وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾[٤]، فالقرآن كله حديث عن التوحيد، وبيان حقيقته والدعوة إليه، وتعليق النجاة والسعادة في الدارين عليه.

القرآن الكريم يخاطب الكفار بالتوحيد ليعرفوه ويؤمنوا به ويعتنقوه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٥]، وكل وكل نبي يقول لقومه: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾[٦]، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[٧]، ومن صفات عباد الرحمن: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾[٨].

---

(١) الآية ١٢٥ من سورة النساء.
(٢) ينظر: فتح القدير للشوكاني ١/ ١٣٠.
(٣) الآية ٣٦ من سورة النحل.
(٤) الآية ٤٥ من سورة الزخرف.
(٥) الآية ٢١ من سورة البقرة.
(٦) الآية ٥٩ من سورة الأعراف.
(٧) الآية ٢٥ من سورة الأنبياء.
(٨) الآية ٦٨ من سورة الفرقان.

بل لقد أثنى الله على نبيه يعقوب حينما سأل أبناءه عما يعبدون ليتأكد من توحيدهم: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾[١]، وقال لنبيه محمد ﷺ: ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[٢]، وأمره أن يقول: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴾[٣]، قال الشيخ ابن سعدي ـ رحمه الله ـ [٤]: «﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ ﴾ أي: بإخلاص الدين لله وحده، ﴿إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴾ أي: مرجعي الذي أرجع به إليه فيجازيني بما قمت به من الدعوة إلى دينه والقيام بما أُمرت به».

وإذا كان يُنهى عن الشرك من لا يمكن له مباشرته واقترافه فكيف بمن عداه؟! ولذلك قال الله لنبيه محمد ﷺ: ﴿ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[٥]، قال الشوكاني في تفسيره [٦]: «أي: ادع الناس إلى الله وإلى توحيده والعمل بفرائضه واجتناب معاصيه ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ فيه تعريض بغيره... لأنه ﷺ لا يكون من المشركين بحال من الأحوال».

هذا غيضٌ من فيضٍ من عناية القرآن الكريم بموضوع الدعوة.

---

(١) الآية ١٣٣ من سورة البقرة.
(٢) الآية ٦٦ من سورة الزمر.
(٣) الآية ٣٦ من سورة الرعد.
(٤) تفسير الكريم الرحمن ٤/ ١١٥.
(٥) الآية ٨٧ من سورة القصص.
(٦) فتح القدير ٤/ ١٨٩.

الخاتمة:

الحمد لله على ما منّ به عليّ من إتمام هذا البحث، وأسأل الله أن يجعله عند حسن ظن من قرأه، وأن يحسن لي العاقبة ويغفر الزلل.

وفي ختام هذا البحث أذكر أبرز النتائج التي توصلت إليه:

١ـ أن موضوع الدعوة هو الإسلام الذي أوحى الله تعالى به إلى رسوله محمد ﷺ، ويشمل ثلاثة جوانب هي: جانب العقيدة، وجانب الشريعة، وجانب الأخلاق.

٢ـ أن خصائص الإسلام ومزاياه كثيرة من أبرزها: أنه دين إلهي، شامل، موافق للفطرة، يدعو إلى الوسطية، ويحث على العلم ويمجد العلماء.

٣ـ أن أهم مبادئ الإسلام الأساسية تتعلق بثلاثة جوانب:

ـ جانب الصلة بالله.

ـ وجانب الصلة بالنفس.

ـ وجانب الصلة بالآخرين.

٤ـ أن القرآن الكريم اعتنى بموضوع الدعوة عناية تامة ظهرت من خلال:

أ ـ محاربته للشرك ونهيه عنه.

ب ـ ثناؤه على إسلام الوجه لله رب العالمين.

ج ـ عنايته العظيمة بتوحيد الله جل وعلا.

هذه أبرز النتائج التي توصلت إليها ووقفت عليها.

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

والصلاة والسلام على نبينا المصطفى وحبيبنا المجتبى، وعلى آله وصحبه ومن اقتفى.

فهرس المراجع

١- أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان، ط مكتبة المنار الإسلامية.

٢- بحوث في عقيدة أهل السنة والجماعة، د. ناصر العقل، ط دار الوطن ١٤٢١هـ.

٣- تفسير القاسمي المسمى (محاسن التأويل) تأليف: علامة الشام محمد جمال الدين القاسمي، ط مؤسسة التاريخ العربي.

٤- تفسير القرآن العظيم، للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير، ط دار السلام.

٥- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تأليف: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ط الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

٦- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تأليف: أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ط دار الفكر.

٧- جامع الترمذي، للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، ط دار السلام.

٨- الخصائص العامة للإسلام، للدكتور/ يوسف القرضاوي، ط مؤسسة الرسالة.

٩- صحيح البخاري، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ط دار السلام.

١٠- صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، ط دار السلام.

١١- عقيدة التوحيد، للشيخ الدكتور/ صالح الفوزان، ط دار العاصمة ١٤٢٠هـ.

١٢- فتح القدير، تأليف: محمد بن علي الشوكاني، ط دار الفكر.

١٣- المدخل إلى الثقافة الإسلامية، تأليف: د. خالد القاسم ود. إبراهيم الريس ود. أحمد المزيد ود. إدريس بن حامد محمد ود. علي الصياح، ط مدار الوطن للنشر.

١٤- المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، ط مؤسسة الرسالة ١٤٢٢هـ.

١٥- مسند الإمام أحمد بن حنبل، ط دار الكتب العلمية.

١٦- مشكاة المصابيح، تأليف: محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، ط المكتب الإسلامي.

البحث الخامس

القرآن والدعوة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فالقرآن الكريم هو كتاب الدعوة الأول، فقد أنزله الله على نبيه محمد ﷺ ليبلغه للناس، والقرآن حجة الله على خلقه كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[1].

وإذا كان الأمر كذلك فالواجب على الدعاة أن يكونوا دائماً مع القرآن تلاوة وحفظاً وتدبراً وعملاً وتبليغاً. وهذا ما جعل شيخنا الدكتور/ سعد الجريد -حفظه الله- يكلفني بهذا البحث الذي هو بعنوان: "القرآن والدعوة" حرصاً منه على ربط طالبات الدعوة بالقرآن.

هذا، وإني أحمد الله تعالى حيث استفدت من هذا البحث فائدة كبيرة، فقد جمعت المراجع وقرأتها بعناية تامة، واستخرجت منها خطة للكتابة في هذا الموضوع، وكانت الخطة على النحو الآتي:

المقدمة.

المبحث الأول: فضل القرآن.

المبحث الثاني: فضل الدعوة.

المبحث الثالث: القرآن كتاب الدعوة الأول.

---

(١) الآية ٥١ من سورة العنكبوت.

المبحث الرابع: إسلام عمر بن الخطاب ﷺ بسبب سماع آيات من القرآن.

المبحث الخامس: استعمال الرسول ﷺ القرآن في تبليغ الدعوة.

والله أسأل أن يوفقنا لما يحب ويرضى.

المبحث الأول: فضل القرآن:

جاءت نصوص كثيرة في الكتاب والسنة تدل على فضل القرآن من وجوه متعددة، فمنها ما هو متعلق بفضل التعلّم والتعليم، ومنها ما هو متعلق بالقراءة والترتيل، ومنها ما هو متعلق بحفظه، ومنها ما هو متعلق بمكانته ومنزلته.

وسأذكر في هذا المبحث شيئاً من هذه النصوص غير مدعية الإحاطة والشمول، فالنصوص كثيرة متعددة.

أولاً: أن هذا القرآن مبارك، والذي جعل فيه البركة هو منزله جل وعلا، قال الله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ﴾[1].

ثانياً: أن القرآن استوعب هدي موسى وعيسى والنبيين من قبلهما – عليهم أجمعين وعلى نبينا الصلاة والسلام- اجتمع في القرآن ما تفرق في الرسالات قبله، حفظ حقائق النبوات الأولى ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾[2].

ومع حفظه وجمعه لحقائق النبوات الأولى، هيمن عليها أيضاً ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾[3].

ثالثاً: أنه كتاب عزيز كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ﴾[4]، أي منيع

---

(١) الآية ٢٩ من سورة ص.
(٢) الآيتان ١٨-١٩ من سورة الأعلى.
(٣) الآية ٤٨ من سورة المائدة.
(٤) الآية ٤١ من سورة فصلت.

الجناب لا يرام أن يأتي أحد بمثله. قاله ابن كثير [١].

ولقد حاول الأعداء قديماً وحديثاً، عرب جاهليون، وغرب مستشرقون العبث فيه والتشويش في صدقه، فأجلبوا وتنادَوا ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [٢].

شككوا في تنزيله وطعنوا في جمعه وتدوينه، ونالوا من قراءاته وحروفه، ولكنها محاولات هزيلة مهزومة، رجعوا على أعقابهم بعدها خاسئين؛ لأن من نزله حفظه ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [٣].

رابعاً: أن في قراءة القرآن والاستماع إليه والإنصات له فضائل شتى، وفوائد متعددة:

فمن فضائل قراءته نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن، فقد عقد الإمام البخاري -رحمه الله- في صحيحه باباً قال فيه: «باب نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن» وذكر حديث أسيد بن حضير ﷺ قال: «بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة، وفرسه مربوط عنده إذ جالت الفرس فسكت، فسكنت، فقرأ، فجالت الفرس، فسكت، فسكنت، ثم قرأ فجالت الفرس، فانصرف وكان ابنه يحيى قريباً منها فأشفق أن تصيبه، فلما اجتره رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها، فلما أصبح حدث النبي ﷺ فقال: (اقرأ يا ابن حضير! اقرأ يا ابن حضير!) قال: فأشفقت يا رسول الله أن تطأ يحيى وكان منها قريباً، فرفعت رأسي فانصرفت إليه، فرفعت رأسي إلى السماء، فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح فخرجت حتى لا أراها، قال: (وتدري ما

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٤/ ١٠٧.

(٢) الآية ٢٦ من سورة فصلت.

(٣) الآية ٩ من سورة الحجر.

ذلك؟) قال: لا. قال: (تلك الملائكة دنت لصوتك، ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم) [١].

وأما الاستماع إلى القرآن والإنصات عند تلاوته فهو سبب للرحمة. قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [٢].

خامساً: أن تعلّم القرآن وتعليمه سبب للخيرية، وأفضل من نفائس الأموال؛ أما الخيرية فقول الرسول ﷺ: «خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه» [٣].

وكَونُ تعلّمه وتلاوته خيراً من نفائس الأموال، يصدقه ما أخرجه مسلم في صحيحه عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ ونحن في الصفة فقال: أيّكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان أو إلى العقيق فيأتي منه بناقتين كوماوين في غير إثم ولا قطع رحم؟ فقلنا يا رسول الله نحب ذلك، قال أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله عز وجل خير له من ناقتين، وثلاث خير له من ثلاث، وأربع خير له من أربع، ومِن أعدادهن من الإبل [٤].

سادساً: أن الجنة درجات، فإذا أدخل صاحب القرآن الجنة يقال له: اقرأ وارتقِ فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها، ويشفع في عشرة من أهل بيته كل منهم قد وجبت له النار. ويؤكد هذا ويصدقه هذان الحديثان:

الأول: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا؛ فإن منزلك عند

---

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن حديث رقم: ٥٠١٨ ص ٨٩٩.

(٢) الآية ٢٠٤ من سورة الأعراف.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب فضائل القرآن: باب: خيركم من تعلم القرآن وعلمه، حديث رقم: ٥٠٢٧.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، حديث رقم: ٨٠٣، ص ٩٠١، ١/ ٥٥٢.

آخر آية تقرؤها »[١].

الثاني: عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ القرآن وتلاه وحفظه أدخله الله الجنة وشفعه في عشرة من أهل بيته كلهم وجبت له النار »[٢].

المبحث الثاني: فضل الدعوة:

الدعوة إلى الله هي وظيفة الأنبياء والرسل، اختار الله لها صفوة خلقه وكلفهم بإبلاغها إلى أممهم.

وقد اصطفى الله لأنبيائه ورسله أتباعاً يقومون بهذه المهمة من بعدهم هم العلماء والدعاة إليه، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[٣].

وسأبيّن في هذا المبحث فضل الدعوة إلى الله، مستنبطةً الفضائل من نصوص الكتاب والسنة، سالكةً أسلوب الاختصار والإجمال، لا الإطناب والتفصيل. فأقول:

أولاً: أن الله مدح القائمين بالدعوة، وأثنى عليهم، وأخبر أنهم يمارسون أفضل عمل، ويقومون بأعظم رسالة، وأن حديثهم أحسن حديث، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[٤].

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الوتر: باب كيف يستحب الترتيل في القراءة. حديث رقم: ١٤٦٤، ص ٢١٨.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب فضائل القرآن: باب ما جاء في فضل قارئ القرآن. حديث رقم: ٢٩٠٥، ص ٦٥٣.

(٣) الآية ١٠٨ من سورة يوسف.

(٤) الآية ٣٣ من سورة فصلت.

ثانياً: أن الدعاة هم المفلحون في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[١]، أفلحوا في الدنيا لكونهم نفذوا منهج الله في الدعوة والجهاد والعمل في سبيل الله. فنالوا أعلى مراتب العز والمجد والسؤدد والشرف العظيم، وأفلحوا في الآخرة لأنهم بلغوا في الدنيا الرسالة، وأدوا الأمانة ونصحوا للأمة وجاهدوا في الله حق جهاده، فاستحقوا النعيم الخالد المقيم يوم القيامة.

ثالثاً: أن قيام الناس بواجب الدعوة أمان من نزول العذاب. قال جل وعلا: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾[٢].

والدعوة إلى الله لا تعدو أن تكون إصلاحاً لا إفساداً، وغرساً وبناء لا هدماً وبلاء.

رابعاً: أن أهل الدعوة هم أهل النجاة من العقوبات في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾[٣].

خامساً: الدعاة ورثة الأنبياء، قال ﷺ: «العلماء ورثة الأنبياء»[٤]. وهذا يدل على شرف ومكانة الدعاة، حيث إنهم ورثوا الأنبياء في مهمتهم الربانية التي كلفهم بها خالقهم جل وعلا.

---

(١) الآية ١٠٤ من سورة آل عمران.

(٢) الآية ١١٧ من سورة هود.

(٣) الآية ١٦٥ من سورة الأعراف.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة. حديث رقم: ٢٦٨٢، ص ٦٠٨.

سادساً: أن أهل السماء والأرض يستغفرون للدعاة، لما روى أبو أمامة عن النبي ﷺ قال: «إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى النملة في جحرها والحيتان في البحر يصلّون على معلمي الناس الخير»(١).

سابعاً: أن الدعاة لا تنقطع أجرهم، لما روى مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ قال: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص من أجورهم شيئًا»(٢).

وهذا فضل من الله عظيم وثواب جسيم، يمنحه الله الدعاة إليه الذين يعلّمون الناس ما عرفوا من العلم.

هذه جملة من فضائل الدعوة أجملتها في هذا البحث ليتبين للقارئ الكريم فضل الدعوة إلى الله، لعلها تحفّز قارئاً فيشمر عن ساعد الجد والعزم على الدعوة، كل حسب استطاعته.

المبحث الثالث: القرآن كتاب الدعوة الأول:

القرآن الكريم هو كتاب الدعوة في الإسلام، هو روحها وباعثها، وهو قوامها وكيانها، وهو حارسها وراعيها، وهو بيانها وترجمانها، وهو دستورها ومنهجها، وهو في النهاية المرجع الذي يستمد منه الدعاة وسائل العمل ومناهج الدعوة وزاد الطريق ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾(٣).

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة. حديث رقم: ٢٦٨٥، ص ٦٠٩.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب من سنّ سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة. حديث رقم: ٦٨٠٤ ص ١١٦٥.

(٣) الآية ٨٩ من سورة النحل.

وأن مادة الدعوة منبثة في القرآن الكريم في عدة سور وآيات في مواضع مختلفة، وذلك إشارة إلى جليل أثرها وعظيم منزلتها[١].

ولقد عرف أعداء هذا الدِّين قديماً وحديثاً أن هذا القرآن يبعث الروح والقوة والحركة في نفوس أصحابه فيتحركون به فلا تقف لحركتهم قوة الدنيا كلها؛ لأن تلك الحركة يسيرها خالق هذا الكون جل وعلا. وهذا ما جعل أنبياء الله ورسله يقفون وهم فرادى أمام طواغيت أممهم، والسبب في ذلك أن معهم الله ومن كان الله معه لا يضيع أبداً، ولا يخذل أبداً. فهذا موسى وهارون عليهما السلام يقولان لربهما وقد أمرهما بالذهاب إلى فرعون لتبليغ الدعوة ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾[٢]، فقال الله لهما ﴿لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾[٣].

وهذا محمد ﷺ يقول له أبو بكر الصديق رضي الله عنه وهما في غار ثور مختبئين عن الكفار يوم الهجرة، وقد وقف الكفار على باب الغار، يا رسول الله: لو نظر أحدهم إلى موضع قدميه لرآنا، فقال له رسول الله ﷺ بلُغّة الواثق بنصر الله: يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما[٤].

وقد سجل القرآن هذه المحاورة بينهما في قرآن يتلى ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ﴾[٥].

---

(١) ينظر: طريق الدعوة في ظلال القرآن، لأحمد فائز ١/ ١١.

(٢) الآية ٤٥ من سورة طه.

(٣) الآية ٤٦ من سورة طه.

(٤) ينظر تفصيل هذه القصة في: كتاب السيرة لابن هشام ٢/ ٤٨٠-٤٩٠.

(٥) الآية ٤٠ من سورة التوبة.

إن القرآن الكريم هو كتاب الله، وكتاب هذه الدعوة المحمدية. هو النور والضياء، وهو الروح يحيي القلب الميت إذا دخله ووقر فيه، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[١].

إن واجب الدعاة اليوم أن يرجعوا هذه الملايين من المسلمين الذين لا يعرفون من الإسلام إلا اسمه ولا من القرآن إلا رسمه، أن يرجعوهم إلى كتاب الله. وليتذكروا أن أعداء الإسلام جادون في صرف الناس عن هذا القرآن. فقد قال الأعداء في القديم: ﴿لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ﴾[٢].

وقال الأعداء في الحديث: «ما دام هذا القرآن موجودًا فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق ولن تكون هي نفسها في أمان»[٣].

كما يجب على الدعاة أن تكون نقطة البدء عندهم في دعوة غير المسلمين إلى الإسلام هو هذا القرآن ففيه الأثر الكبير لمن أراد الله هدايته.

وسأبين في المبحثين القادمين ما يبرهن على صدق هذا الكلام.

المبحث الرابع: إسلام عمر ﷺ بسبب سماع آيات من القرآن:

لقد كان عمر في جاهليته من أشد قريش على المسلمين. ولم يكن أحد يتوقع إسلامه حتى قيل في حقه: لا يسلم عمر حتى يسلم حمار الخطاب[٤].

لم يكن أحد يصدّق أن عمر يسلم، ولكن الله استجاب فيه دعوة نبيه

---

(١) الآية ٥٢ من سورة الشورى.

(٢) الآية ٢٦ من سورة فصلت.

(٣) هذه مقولة وزير بريطانيا الأول غلادستون، ينظر: الإسلام على مفترق الطرق، لمحمد أسد، ترجمة عمر فروخ ص ٣٨.

(٤) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٣٤٣.

المصطفى ﷺ إذ سأل الله أن يعز الإسلام بأحب الرجلين إليه؛ بأبي جهل، أو بعمر بن الخطاب[١].

فقد خرج عمر يوماً متوشحاً سيفه يريد رسول الله ﷺ ورهطاً من أصحابه قد ذكروا له أنهم قد اجتمعوا في بيت عند الصفا؛ وهم قريب من أربعين ما بين رجال ونساء، ومع رسول الله ﷺ عمه حمزة بن عبد المطلب، وأبو بكر بن أبي قحافة الصديق، وعلي بن أبي طالب، في رجال من المسلمين رضي الله عنهم، ممن كان أقام من رسول الله ﷺ بمكة، ولم يخرج فيمن خرج إلى أرض الحبشة، فلقيه نعيم بن عبدالله، فقال له: أين تريد يا عمر؟ فقال: أريد محمداً هذا الصابئ والذي فرق أمر قريش، وسفه أحلامها، وعاب دينها، وسب آلهتها فأقتله، فقال له نعيم: والله لقد غرتك نفسك من نفسك يا عمر، أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمدا، أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم؟ قال: وأي أهل بيتي؟ قال ختنك وابن عمك سعيد بن زيد بن عمرو، وأختك فاطمة بنت الخطاب، فقد والله أسلما، وتابعا محمدا على دينه فعليك بهما، قال: فرجع عمر عامداً إلى أخته وختنه، وعندهما خباب بن الأرت معه صحيفة، فيها: (طه) يقرئهما إياها، فلما سمعوا حس عمر، تغيب خباب في مخدع لهم أو في بعض البيت وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها، وقد سمع عمر حين دنا إلى البيت قراءة خباب عليهما، فلما دخل قال: ما هذه الهينمة التي سمعت؟ قالا له: ما سمعت شيئاً، قال: بلى والله، لقد أخبرت أنكما تابعتما محمداً على دينه، وبطش بختنه سعيد بن زيد، فقامت إليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها فضربها فشجها، فلما فعل ذلك قالت له أخته وختنه: نعم، لقد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله، فاصنع ما بدا لك. فلما

---

(١) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٣٤٥.

رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع، فارعوى وقال لأخته: أعطيني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرءون آنفاً أنظر ما هذا الذي جاء به محمد، وكان عمر كاتباً، فلما قال ذلك، قالت له أخته: إنا نخشاك عليها، قال: لا تخافي، وحلف لها بآلهته ليردنها إذا قرأها إليها، فلما قال ذلك، طمعت في إسلامه، فقالت له: يا أخي، إنك نجس على شركك، وإنه لا يمسها إلا الطاهر، فقام عمر فاغتسل، فأعطته الصحيفة وفيها (طه) فقرأها، فلما قرأ منها صدراً قال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه! فلما سمع ذلك خباب خرج إليه، فقال له: يا عمر، والله إني لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه، فإني سمعته أمس وهو يقول: اللهم أيِّد الإسلام بأبي الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب، فالله الله يا عمر. فقال له عند ذلك عمر: فدلني يا خباب على محمد حتى آتيه فأسلم، فقال له خباب: هو في بيت عند الصفا، معه فيه نفر من أصحابه، فأخذ عمر سيفه فتوشحه ثم عمد إلى رسول الله ﷺ وأصحابه فضرب عليهم الباب، فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فنظر من خلل الباب فرآه متوشحاً السيف، فرجع إلى رسول الله ﷺ وهو فزع، فقال: يا رسول الله، هذا عمر بن الخطاب متوشحاً السيف، فقال حمزة بن عبد المطلب: فأذن له، فإن كان جاء يريد خيراً بذلناه له، وإن كان جاء يريد شرا قتلناه بسيفه، فقال رسول الله ﷺ: ائذن له، فأذن له الرجل، ونهض إليه رسول الله ﷺ حتى لقيه في الحجرة، فأخذ حجزته، أو بمجمع ردائه، ثم جبذه به جبذة شديدة، وقال: ما جاء بك يا ابن الخطاب؟ فوالله ما أرى أن تنتهي حتى ينزل الله بك قارعة، فقال عمر: يا رسول الله جئتك لأومن بالله وبرسوله، وبما جاء من عند الله، قال: فكبر رسول الله ﷺ تكبيرة عرف أهل البيت من أصحاب رسول الله ﷺ أن عمر قد أسلم[1].

---

(١) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٣٤٣-٣٤٦.

سبحان الله – لقد أثرت كلمات من قرآن، فنَقلت عمر- بإرادة الله- من ظلمة الجاهلية إلى نور الإسلام، ومن حضيض الخمول إلى قمة المجد، لقد ذهب عمر الفَظّ القاسي الذي كان مطية لقريش في ظلمها وشركها وجبروتها الزائف، وجاء الفاروق العادل الرؤوف الرحيم، البطل الخالد العظيم العبقري الذي أدار وحكم ثلث الكرة الأرضية، لقد جاء أمير المؤمنين سيف الإسلام، وعِزُّ الدِّين، وقاهر كسرى وقيصر[١].

لقد كان نقطة التحول في حياة عمر بقراءة وسماع آيات بينات من سورة طه، قرأها مرة فصنعت فيه الأعاجيب، ونحن نسمع ونقرأ سورة طه وسوراً أخرى فلا تصنع بنا شيئاً. ما السبب يا ترى؟! الذي يظهر أن هذا القرآن هدى وشفاء للمؤمنين، فقلوب المؤمنين هي التي تدرك طبيعته وحقيقته، فتهتدي به وتشتفي. وأما الذين لا يؤمنون فقلوبهم مطموسة لا تخالطها بشاشة هذا الكتاب، فهو وقر في آذانهم، وعمىً في قلوبهم. وهم لا يتبينون شيئاً. لأنهم بعيدون جداً عن طبيعة هذا الكتاب وهواتفه[٢]. وصدق الله ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾[٣].

ويجد الإنسان مصداق هذا القول في كل زمان وفي كل بيئة، فناس يفعل هذا القرآن في نفوسهم فينشئها إنشاء، ويحييها إحياء؛ ويصنع بها ومنها العظائم في ذاتها وفيما حولها. وناس يثقل هذا القرآن على آذانهم وعلى قلوبهم، ولا يزيدهم إلا صمماً وعمى، وما تغير القرآن، ولكن تغيرت

---

(١) ينظر: حياة عمر، لعلي الطنطاوي ص ٧.

(٢) ينظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب ٥/ ٣١٢٨.

(٣) الآية ٤٤ من سورة فصلت.

القلوب [١].

وعمر كان رجلاً من رجال قريش، وكان رجلاً عادياً كملايين الناس الذين يعيشون ويموتون، فلا يحس أحد بحياتهم ولا يأسى لمماتهم، ولما سمع القرآن وقرأه كان له هدى وشفاء فصار بعد ذلك عمر بن الخطاب العبقري الذي أتعب سر مناقبه ومزاياه المؤرخين.

لقد سمع أبو جهل والوليد بن المغيرة وغيرهما من صناديد قريش سمعوا القرآن كما سمعه عمر ﷺ فأعجبهم وأبهرهم ولكنهم بسبب قلوبهم المطموسة، وبسبب الوقر الذي في آذانهم كان عليهم عمى. فلم ينتفعوا بمواعظه ولم يهتدوا بهديه.

إن عمر ﷺ كان ميتاً فأحياه الله بهذا القرآن وبهذا الدِّين. فاهتز قلبه بسبب الإيمان، وأشرقت روحه بهذا النور، فأضاء لنفسه الطريق ولمن حوله، وصدق الله ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [٢].

إن الواجب على الدعاة أن يُسمِعوا الناس القرآن، وأن يبينوا لهم معاني القرآن، فمن أراد الله هدايته شرح صدره للإيمان، ومن لم يرد هدايته لم تنفعه المواعظ.

المبحث الخامس: استعمال الرسول ﷺ القرآن في تبليغ الدعوة:

القرآن هو معجزة الرسول الخالدة، وقد كان الرسول ﷺ في تبليغه الدعوة يدعو بهذا القرآن، ويقرأ على الكفار القرآن، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ

---

(١) ينظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب ٥/ ٣١٢٨.

(٢) الآية ١٢٢ من سورة الأنعام.

أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[2].

وقد قام الرسول ﷺ بهذه المهمة خير قيام، فكان يخاطب المدعوين بهذا القرآن وينذرهم به، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ﴾[3]. قال الشوكاني في تفسيره[4]: «أي أخوّفكم وأحذركم بالقرآن وذلك شأني وما أمرني الله به».

ومما يذكر في هذا المقام ما نقلته لنا كتب السيرة أن أبا الوليد عتبة بن ربيعة أحد سادة قريش، بُعثَ من قبل المشركين ليعرض على رسول الله ﷺ ما رأوه حلا للمشكلة في نظرهم، فيقول عتبة للرسول ﷺ: يا ابن أخي، إنك منا حيث قد علمت من السلطة -أي الشرف- في العشيرة والمكان في النسب، وإنك أتيت قومك بأمر عظيم، فرَّقْت به جماعتهم، وسفّهْتَ به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفّرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها. قال: فقال له رسول الله ﷺ: قل يا أبا الوليد أسمع، قال: يا ابن أخي، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا، حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت

(١) الآيتان ٩١-٩٢ من سورة النمل.
(٢) الآية ٦٧ من سورة المائدة.
(٣) الآية ٤٥ من سورة الأنبياء.
(٤) فتح القدير ٣/ ٤١٠.

رده عن نفسك طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه، أو كما قال له. حتى إذا فرغ عتبة، ورسول الله ﷺ يستمع منه قال: أوَقد فرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم. قال: فاسمع مني، قال: أفعل. فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ حم ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٢ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٤ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾[1].

ثم مضى رسول الله ﷺ فيها يقرؤها عليه. فلما سمعها منه عتبة أنصت لها، وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما يسمع منه، ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها، فسجد، ثم قال: قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك.

فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به. فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أني قد سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر، ولا بالسحر، ولا بالكهانة، يا معشر قريش، أطيعوني واجعلوها بي، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به، قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه، قال: هذا رأي فيه، فاصنعوا ما بدا لكم[2].

---

(١) الآيات ١-٥ من سورة فصلت.

لقد دهش عتبة بن ربيعة من القرآن، ولم يكن له حيلة من قول الحق لقومه، ولكن حسدُهم منعَهم من الإسلام والاستسلام لله رب العالمين.

هكذا كان النبي ﷺ يستعمل القرآن في دعوته إلى الله، فحري بالدعاة أن ينهجوا نهجه ويقتفوا أثره ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[1].

(١) الآية ٢١ من سورة الأحزاب.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعد أن انتهيت من كتابة هذا البحث يمكن أن أجمل أهم النتائج التي توصلت إليها فيما يأتي:

١- فضل القرآن الكريم، فقد جعل الله لقارئ القرآن وحافظه والعامل به ثواباً عظيماً وأجراً كبيراً.

٢- فضل الدعوة إلى الله، فهي وظيفة الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم.

٣- القرآن هو كتاب الدعوة الأول، فلا غنى للدعاة عنه.

٤- أن الدعوة الناجحة هي التي تجعل القرآن منهجها.

٥- من أراد الله به خيراً وفقه لفهم القرآن وتدبره.

٦- أن مصيبة المسلمين اليوم في ابتعادهم عن القرآن وهجره.

٧- الرسول ﷺ كان مع القرآن دائماً، دعوة وعبادة وتلاوة وسائر شؤون حياته.

٨- على الداعية المريد للنجاح أن يتعمق في دراسته لكتاب الله، فسيجد فيه من الزاد الشيء الكثير.

وأخيراً فهذا جهد المقل، فما كان فيه من صواب فمن الله وحده، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي والشيطان.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المراجع

١- تفسير القرآن العظيم، للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير، دار السلام.
٢- في ظلال القرآن، لسيد قطب، دار الشروق.
٣- فتح القدير، لمحمد بن علي الشوكاني، دار الفكر.
٤- صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار السلام.
٥- صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار السلام.
٦- سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، دار السلام.
٧- جامع الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، دار السلام.
٨- السيرة النبوية، لابن هشام، مكتبة الرياض الحديثة.
٩- طريق الدعوة في ظلال القرآن، لأحمد فايز، مؤسسة الرسالة.
١٠-التعريف بالقرآن والحديث، لمحمد الزخزاف، مكتبة الفلاح.
١١-قصة حياة عمر، لعلي الطنطاوي، دار المنارة.
١٢-الإسلام على مفترق الطرق، لمحمد أسد، نقله إلى العربية عمر فروخ، مكتبة المنار.

البحث السادس

صور احتسابية من العهد النبوي وحتى العهد العباسي

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على أفضل الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فقد التحقت ـ ولله الحمد والمنة ـ ببرنامج الدراسات العليا بقسم الدعوة والاحتساب في كلية الدعوة والإعلام، وإن من متطلبات الحصول على درجة الماجستير دراسة سنة منهجية تتدرب فيها الطالبة على كتابة البحوث العلمية، إضافة لدراسة المقررات المنهجية.

هذا وإن من المقررات الدراسية مقرر تاريخ الحسبة، وقد أكرمنا الله بأستاذ فاضل وشيخ جليل تولى تدريس هذا المقرر، فنهلنا من علمه، وأفدنا من خبرته وسعة اطلاعه، فجزاه الله عنا خير الجزاء، وأجزل له يوم القيامة العطاء، وحشره مع زمرة الأنبياء والشهداء والعلماء الأتقياء، إنه سبحانه مجيب الدعاء.

ولقد كلفنا شيخنا الفاضل وأستاذنا الجليل بكتابة بحث عن صور احتسابية من العهد النبوي إلى العهد العباسي، وقد حدد لنا منهجاً علمياً نسير عليه من حيث عدد الصور والتوثيق والاستنباط. فمشيت حسْب ما طَلب ورَسم، فبذلت جهداً كبيراً، واستفدت علماً غزيراً.

وكانت خطتي للكتابة في هذا البحث على النحو الآتي:

مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة، وفهارس.

المقدمة.

التمهيد في أركان الحسبة:

المبحث الأول: من صور الاحتساب في العهد النبوي الشريف (احتساب النبي ﷺ على المسيء صلاته).

المبحث الثاني: من صور الاحتساب في عهد الخلفاء الراشدين. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: احتساب عمر بن الخطاب ﷺ على من تأول في شرب الخمر.

المطلب الثاني: احتساب علي بن أبي طالب ﷺ على من خرج على الخليفة الراشد عثمان بن عفان ﷺ.

المبحث الثالث: من صور الاحتساب في العهد الأموي (احتساب عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ على عماله بالكتابة إليهم).

المبحث الرابع: من صور الاحتساب في العهد العباسي (احتساب ابن السماك على الخليفة هارون الرشيد بوعظه موعظة بليغة).

الخاتمة: وفيها أهم النتائج.

الفهارس.

هذا وأسأل الله أن يرزقني العلم النافع، والعمل الصالح، وأن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

التمهيد في أركان الحسبة :

للحسبة أركان أربعة [١] هي:

الركن الأول: المحتسِب.

وهو من يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، سواء نصّب لذلك أم لا. لكن الشائع عند الفقهاء إطلاقه على المنصوب لهذا الأمر خاصة [٢].

الركن الثاني: المحتسَب عليه.

وهو كل من يؤمر بمعروف أو يُنهى عن منكر [٣].

وعرّفه بعضهم بأنه: كل إنسان يباشر أيَّ فعل يُشرع فيه الاحتساب [٤].

الركن الثالث: المحتسَب فيه.

وهو كل منكرٍ موجودٍ في الحال ظاهرٍ للمحتسِب بغير تجسس، معلومٍ كونه منكراً بغير اجتهاد [٥].

وقد شرح الإمام الغزالي هذا التعريف، وسأقتبس من شرحه بعض المقتطفات نظراً لأهميتها:

فقولنا: (كل منكر) نعني به أن يكون محذور الوقوع في الشرع، وعدلنا عن لفظ المعصية إلى هذا لأن المنكر أعم من المعصية؛ إذ من رأى صبياً أو

---

(١) ينظر: إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي ٢/ ٢٨٧، دار القلم بيروت، الطبعة الثالثة.

(٢) المرجع السابق ٢/ ٢٨٨، وأصول الدعوة لعبد الكريم زيدان ص ١٦٨.

(٣) ينظر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لخالد السبت ص ٢٩٤، المكتب الإسلامي لندن، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

(٤) ينظر: أصول الدعوة لزيدان ص ١٦٧.

(٥) ينظر: إحياء علوم الدين ٢/ ٢٩٩.

مجنوناً يشرب الخمر فعليه أن يريق خمره ويمنعه، مع أن فعله لا يعد معصية؛ إذ معصية لا عاصي بها محال؛ لكون المجنون والصبي ليسا من أهل التكليف، لذا فلفظ المنكر أدل عليه وأعم من لفظ المعصية.

وقولنا: (موجود في الحال) احتراز أيضاً عن الحسبة على من فرغ من شرب الخمر، فإن هذا لا احتساب فيه إلا بالتذكير والنصح، ويبقى على ولي الأمر معاقبته على ما فعل.

وقولنا: (ظاهر للمحتسِب بغير تجسس) فكل من ستر معصية في داره وأغلق بابه لا يجوز أن يتجسس عليه، وقد نهى الله تعالى عنه فقال: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾[1]، لكن لو ظهرت المعصية ظهوراً يعرفه من هو خارج الدار كأصوات المزامير والأوتار بحيث جاوز ذلك حيطان الدار، فمن سمع ذلك حق له الإنكار.

وقولنا: (كونه منكراً بغير اجتهاد) فكل ما هو في محل الاجتهاد فلا حسبة فيه[2]، فإذا كانت المسألة من مسائل الاجتهاد التي لم يرد فيها دليل من الكتاب أو السنة الصحيحة، أو وقع عليها إجماع، أو كانت مما تعارضت فيها الأدلة ظاهراً في نظر المجتهدين، ونحو ذلك، فهنا من رجّح قولاً قد ظهر له رجحانه فلا يلزم غيره بهذا الاجتهاد، ويحكم على من لم يأخذ بقوله بأنه خالف الشرع ووقع في المعصية، ولكن لا يمنع هذا من البحث والمناظرة والمناصحة. وبالله التوفيق.

الركن الرابع: الاحتساب نفسه.

وهو القيام بالحسبة، فهو فعل المحتسِب ومباشرته للاحتساب بالأمر

---

(١) الآية ١٢ من سورة الحجرات.

(٢) ينظر: إحياء علوم الدين ٢/ ٢٩٩-٣٠١.

والنهي والوعظ والنصح ونحو ذلك [١].

المبحث الأول: من صور الاحتساب في العهد النبوي الشريف (احتساب النبي ﷺ على المسيء صلاته):

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ دخل المسجد فدخل رجل فصلى، ثم جاء فسلّم على النبي ﷺ، فقال: «ارجع فصلّ فإنك لم تصل» فرجع فصلى كما صلى، ثم جاء فسلّم على النبي ﷺ، فقال: «ارجع فصلّ فإنك لم تصل» ثلاثاً. فقال: والذي بعثك بالحق ما أحسن غيره فعلمني، فقال: «إذا قمت إلى الصلاة فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعًا، ثم ارفع حتى تعتدل قائمًا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا، ثم ارفع حتى تطمئن جالسًا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا، ثم افعل ذلك في صلاته كلها» [٢].

ففي هذا الحديث الشريف احتساب لطيف من سيد البشر وخاتم الرسل نبينا محمد ﷺ، ويمكننا أن نقف مع هذه القصة ونحدد أركان الحسبة فيها، وذلك على النحو الآتي:

أولاً: المحتسِب:

هو نبينا محمد ﷺ، وهذه صفة من صفاته الحميدة وأفعاله النبيلة التي وصفه الله بها في التوراة والإنجيل والقرآن، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ

(١) ينظر: أصول الدعوة ص ١٨٥.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب أمر النبي ﷺ الذي لا يتم ركوعه بالإعادة ص ١٢٨، حديث رقم ٧٩٣.

وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [١].

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ: «وهذه صفة محمد ﷺ في كتب الأنبياء»[٢].

ولقد قام ـ عليه الصلاة والسلام ـ بهذه المهمة التي أمره بها ربه خير قيام، فأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ليلاً ونهاراً، سراً وجهاراً، حتى أتاه اليقين. فجزاه الله عن أمته خير الجزاء.

ثانياً: المحتسَب عليه:

المحتسَب عليه في هذا الحديث هو الصحابي خلاد بن رافع، كذا بيّنه ابن أبي شيبة [٣]، وإلا فرواية البخاري ومسلم ليس فيها ذكر اسمه، وقد صوّب الحافظ ابن حجر أنه خلاد بن رافع، وقال: إن كنيته أبو يحيى، وهو معدود ممن حضر بدراً[٤].

ثالثاً: المحتسَب فيه:

الخطأ الذي وقع من هذا الصحابي ـ فقام النبي ﷺ بالاحتساب عليه ـ هو عدم الطمأنينة في الصلاة، والتي هي من أركان الصلاة، وحيث إن هذا الصحابي ﷺ كان لا يعلم أن من أدى صلاته بغير طمأنينة لا تصح منه، قام النبي ﷺ بالاحتساب عليه وإرشاده.

والدليل على عدم علم الصحابي بوجوب الطمأنينة: قوله: والذي بعثك بالحق ما أُحسن غيره فعلّمني. فعلّمه النبي ﷺ بعد أن شوّقه للعلم

---

(١) الآية ١٥٧ من سورة الأعراف.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٢٨٠، دار السلام.

(٣) ينظر: نيل الأوطار للشوكاني ٢/ ٢٩٥، دار الفكر بيروت.

(٤) ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٢/ ١٣٩، دار الكتب العلمية بيروت.

بقوله له ثلاثاً: «ارجع فصلّ فإنك لم تصل» فلم يعلّمْه أول مرة حتى يشتاق ويتشوّق إلى العلم. وهذا ما حصل من الصحابي الجليل ﷺ.

ومن هذا الحديث أخذ العلماء وجوب الطمأنينة في جميع أركان الصلاة، قال الإمام الشوكاني ـ رحمه الله ـ: «الحديث يدل على وجوب الطمأنينة في جميع الأركان» [1].

رابعاً: الاحتساب نفسه:

في هذه الصورة نجد أن الاحتساب ينصب على الأمر بالطمأنينة في الصلاة؛ حيث علّم النبي ﷺ هذا الصحابي كيف يؤدي الصلاة بطمأنينة حيث قال له: «إذا قمت إلى الصلاة فكبر... ثم ارجع حتى تطمئن راكعًا ...».

فالمحتسَب فيه ـ وهو الركن الثالث ـ عدم الطمأنينة، والاحتساب نفسه هو أمره بالطمأنينة.

والواجب على المسلم الذي آتاه الله علماً وخاصة الدعاة أن يجتهدوا في الاحتساب على الجهال الذين يؤدون الصلاة بدون طمأنينة وخشوع، فيقومون بتعليمهم بأن للصلاة في الدين المنزلة العلية والرتبة السنية، فهي عمود الإسلام وركن الملة، من أدى حقها وأتم ركوعها وسجودها، وأكمل خشوعها وطمأنينتها، ووقف بين يدي ربه بقلبه وقالبه، كانت قرة عينه وحلاوة قلبه وانشراح صدره، قد حفظها وحافظ عليها.

وليذكّروهم بقول الرسول ﷺ: «خمس صلوات كتبهن الله على العباد، فمن جاء بهن ولم يضيع منهن شيئًا استخفافًا بحقهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة، ومن لم يأت بهنّ فليس له عند الله عهد إن شاء عذّبه وإن شاء

(١) نيل الأوطار ٢/ ٢٩٧، مرجع سابق.

أدخله الجنة»[١].

ومن المحافظة عليها إتمام أركانها وشروطها وواجباتها وسننها والطمأنينة فيها. يقول ابن مسعود وسلمان ـ رضي الله عنهما ـ: «الصلاة مكيال، فمن أوفى استوفى، ومن طفّف فقد علمتم ما قال الله في المطففين»[٢].

المبحث الثاني: من صور الاحتساب في عهد الخلفاء الراشدين

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: احتساب عمر بن الخطاب ﷺ على من تأول في شرب الخمر

المطلب الثاني: احتساب علي بن أبي طالب ﷺ على من خرج على الخليفة الراشد عثمان بن عفان ﷺ.

المطلب الأول: احتساب عمر بن الخطاب ﷺ على من تأول في شرب الخمر:

عن سيف بن عمر عن أبي المجالد والربيع وأبي عثمان وأبي حارثة، وعن عبدالله بن شبرمة عن الشعبي، قالوا: كتب أبو عبيدة إلى عمر بن الخطاب: أن نفراً من المسلمين أصابوا الشّرَاب ـ منهم ضرار وأبو جندل بن سهيل ـ فسألناهم فقالوا: خُيّرنا فاخترنا، قال: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[٣]، ولم يعزم علينا. فجمع عمر الناس فأجمعوا على خلافهم، وأن المعنى في قوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ أي: انتهوا. وأجمعوا على جلدهم ثمانين، وأن من تأول هذا وأصر عليه يُقتل. فكتب عمر إلى أبي عبيدة أن ادعهم فسلهم عن الخمر، فإن

(١) الحديث أخرجه أبو داود في سننه كتاب الصلاة، باب فيمن لم يوتر ص ٢١٢، حديث رقم ١٤٢٠، ط دار السلام، وأحمد في مسنده ٤/ ٢٤٤، دار الكتب العلمية.

(٢) ينظر: توجيهات وذكرى للدكتور/ صالح بن حميد ٤/ ١١١، ١١٢.

(٣) الآية ٩١ من سورة المائدة.

قالوا: هي حلال، فاقتلهم، وإن قالوا: هي حرام، فاجلدهم، فاعترف القوم بتحريمها، فجُلدوا الحد وندموا على ما كان منهم من اللجاجة فيما تأولوه، حتى وسوس أبو جندل في نفسه، فكتب أبو عبيدة إلى عمر في ذلك وسأله أن يكتب إلى أبي جندل ويذكّره، فكتب إليه عمر بن الخطاب في ذلك:

من عمر إلى أبي جندل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[1]، فتب وارفع رأسك وابرز ولا تقنط، فإن الله تعالى يقول ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[2].

وكتب عمر إلى الناس أن عليكم أنفسَكم، ومن غيّر فغيّروا عليه ولا تعيّروا أحداً فيفشو فيكم البلاء [3].

في هذه الحادثة فوائد كثيرة، ووقفات عديدة، سأذكر بعضها أثناء حديثي عن أركان الحسبة فيها:

الركن الأول: المحتسِب:

المحتسِب في هذه الحادثة اثنان:

أحدهما: أبو عبيدة عامر بن الجراح، أحد السابقين الأولين، ومن العشرة المبشرين بالجنة، سماه رسول الله ﷺ أمين الأمة، ومناقبه شهيرة جمة. كذا قال عنه الإمام الذهبي [4].

---

(١) الآية ٤٨ من سورة النساء.

(٢) الآية ٥٣ من سورة الزمر.

(٣) ينظر: تاريخ الأمم والملوك للإمام الطبري، نقلاً عن البداية والنهاية للحافظ ابن كثير ١٠/ ٧٠-٧١، دار هجر القاهرة، تحقيق: د. عبد الله التركي.

(٤) ينظر: سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ١/ ٥-٦،=

والثاني: هو الخليفة الراشد، والإمام الزاهد، علم الأعلام، ومن بإسلامه اعتز الإسلام، عمر بن الخطاب، أبو حفص الفاروق، رضي الله عنه وأرضاه.

والملاحَظ أن كلا الصحابيين ـ عمر وأبا عبيدة ـ لم يقوما بالاحتساب حتى استشارا؛ خشية من أن يكون لصاحب المنكر حجة، فأبو عبيدة قام بالكتابة لعمر حين سمع شبهة من شرب الخمر، وعمر قام فجمع أهل الشورى عنده.

ومن هذا نأخذ أن المحتسِب قد يعرض عليه صاحب المنكر شبهاً، فهنا لا مانع من أن يستشير غيره ليكون إنكاره عن بيّنة.

كما يستفاد من هذه القصة حرص الصحابة على هداية صاحب المنكر، فأبو عبيدة لَمّا رأى من أبي جندل قنوطه من رحمة الله وخوفه من أن لا يغفر الله له، لم يقل هذا شارب خمر ولا خير فيه، ومتأول مبتدع فليهلك حيث هلك. لا. وإنما حرص على هدايته ورجوعه لصف المسلمين، فكتب إلى عمر ابن الخطاب بشأنه، فما كان من عمر ـ وهو خليفة المسلمين، وعنده من الأعمال العظام، والمهام الجسام ما يعفيه من أن يكتب لشخص من عامة رعيته ـ إلا أنه تولى الكتابة بنفسه ولم يوكل على عمل الاحتساب غيره.

الركن الثاني: المحتسَب عليه:

المحتسَب عليه في هذه الحادثة نفر من المسلمين، وقد سُمّي منهم في القصة رجلان هما: ضرار، وأبو جندل بن سهيل.

الركن الثالث: المحتسَب فيه:

المحتسَب فيه في هذه الحادثة هو شرب الخمر، وهو حرام بنص القرآن

مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٦هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وحسين الأسد.

وصحيح السنة، وتحريمه مما علم من الدين بالضرورة، وأجمعت الأمة على ذلك، ومن ادعى من المسلمين حله بُيّن له الحكم فإن أقر بذلك وإلا قتل؛ لأنه مكذب لله ورسوله، وهذا ما حكم به عمر بن الخطاب في هذه الحادثة.

وشبهة من شربها في هذه الحادثة ظنهم أن قوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ تخيير، ولكن عامة الصحابة لم يفهموا منها إلا التحريم، فقد ذكر المفسرون أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾[1]. قال عمر بن الخطاب ﷺ: اللهم بيّن لنا في الخمر بياناً شافياً. فلما نزلت آية المائدة ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ قال عمر: انتهينا. وأمر النبي ﷺ مناديه أن ينادي في سكك المدينة: ألا إن الخمر قد حُرّمت، فكُسرت الدّنان، وأُريقت الخمر حتى جرت في سكك المدينة[2].

قال الإمام الرازي عن قوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾: «واعلم أن هذا وإن كان استفهاماً في الظاهر، إلا أن المراد منه هو النهي في الحقيقة، وإنما حسن هذا المجاز؛ لأنه تعالى ذمّ هذه الأفعال وأظهر قبحها للمخاطب، فلما استفهم بعد ذلك عن تركها لم يقدر المخاطب إلا على الإقرار بالترك، فكأنه قيل له: أتفعله بعد ما ظهر من قبحه ما قد ظهر، فصار قوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ جارياً مجرى تنصيص الله تعالى على وجوب الانتهاء مقروناً بإقرار المكلف بوجوب الانتهاء»[3].

---

(١) الآية ٤٣ من سورة النساء.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ٦/ ٢٩٢، دار إحياء التراث العربي بيروت ١٤٠٥هـ، وتفسير الفخر الرازي ٦/ ٨٦، دار الفكر.

(٣) تفسير الفخر الرازي ٦/ ٨٦، ٨٧.

الركن الرابع: الاحتساب نفسه:

الاحتساب في هذه الحادثة هو القتل لمن استحل شرب الخمر، أو الجلد ثمانين جلدة لمن كان يقر بحرمتها لكنه شربها.

أما قتل من استحل شرب الخمر فقد قال فيه ابن قدامة ـ رحمه الله ـ: «فمن استحلها الآن فقد كذب النبي ﷺ؛ لأنه قد عُلم ضرورة من جهة النقل تحريمه، فيكفر بذلك، ويستتاب فإن تاب وإلا قُتل»[(١)].

وأما الجلد ثمانين جلدة لمن شربها غير مستحل لها فهو حكم علي بن أبي طالب ﷺ حينما سأله عمر ﷺ عن الحد في شربها فقال علي: «إذا شرب هذى، وإذا هذى افترى، فاجلدوه ثمانين» فجلده عمر ثمانين جلدة[(٢)].

كما وقع في هذه الحادثة احتساب آخر بعد إقامة الحد على من شرب الخمر، وهو أمرُ من حصل له وسواس بأن لا يقنط من رحمة الله، فأمره بأن ينخرط في صف المسلمين ولا ينعزل، بل يحقق التوبة ويرفع رأسه ويبرز ولا يقنط كما جاء في كتاب عمر إلى أبي جندل.

المطلب الثاني: احتساب علي بن أبي طالب ﷺ على من خرج على الخليفة الراشد عثمان بن عفان ﷺ:

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: «نشأ بمصر طائفة من أبناء الصحابة يؤلّبون الناس على حربه والإنكار عليه ـ أي: على عثمان بن عفان ﷺ ـ وكان عُظْم ذلك مسنداً إلى محمد بن أبي بكر، ومحمد بن أبي حذيفة، حتى استنفرا نحواً من ستمائة راكب يذهبون إلى المدينة في صفة معتمرين في شهر رجب لينكروا على عثمان... فلما اقتربوا من المدينة أمر عثمانُ عليَّ بن أبي طالب

(١) ينظر: المغني لابن قدامة ١٢/ ٤٩٤، دار هجر القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
(٢) المرجع السابق.

أن يخرج إليهم ليردهم إلى بلادهم قبل أن يدخلوا المدينة... فانطلق عليٌّ بن أبي طالب إليهم وهم بالجحفة، وكانوا يعظمونه ويبالغون في أمره، فردهم وأنّبهم وشتمهم، فرجعوا على أنفسهم بالملامة، وقالوا: هذا الذي تحاربون الأمير بسببه وتحتجون عليهم به.

ويقال: إنه ناظرهم في عثمان وسألهم ماذا ينقمون عليه؟ فذكروا أشياء، منها: أنه حمى الحمى، وأنه حرّق المصاحف، وأنه أتم الصلاة، وأنه ولّى الأحداث الولايات وترك الصحابة الأكابر، وأعطى بني أمية أكثر من الناس.

فأجاب علي عن ذلك فقال:

أما الحمى فإنما حماه لإبل الصدقة لتسمن ولم يحمه لإبله ولا لغنمه، وقد حماه عمر من قبله.

وأما المصاحف فإنما حرّق ما وقع فيه اختلاف وأبقى لهم المتفق عليه، كما ثبت في العرضة الأخيرة.

وأما إتمامه الصلاة بمكة فإنه كان قد تأهل بها ونوى الإقامة فأتمها.

وأما توليته الأحداث فلم يولّ إلا رجلاً سوياً عدلاً، وقد ولّى رسول الله ﷺ عتّاب بن أسيد على مكة وهو ابن عشرين سنة، وولّى أسامة بن زيد ابن حارثة، وطعن الناس في إمارته فقال: «إنه لخليق للإمارة».

وأما إيثاره قومه بني أمية فقد كان رسول الله ﷺ يؤثر قريشاً، ووالله لو أن مفتاح الجنة بيدي لأدخلت بني أمية إليها [1].

في هذه الحادثة أستخرج منها أركان الحسبة على النحو الآتي:

الركن الأول: المحتسِب:

المحتسِب في هذه الحادثة هو الخليفة الراشد صهر رسول الله ﷺ وابن

---

(١) ينظر: البداية والنهاية للحافظ ابن كثير ١٠/ ٢٧١-٢٧٢، دار هجر القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، تحقيق: د. عبد الله التركي.

عمه علي بن أبي طالب ﷺ.

الركن الثاني: المحتسب عليه:

المحتسَب عليه في هذه الحادثة هم الخارجون على الخليفة الراشد عثمان ابن عفان ﷺ حيث حصل في أواخر عهده فتنة، قيل إن الذي خطّط لها وعقد حبالها يهودي من أهل اليمن أسلم ظاهراً ولكنه كان يبطن الكفر وهو عبد الله بن سبأ.

قال الإمام الطبري ـ رحمه الله ـ ذكر سيف بن عمر أن سبب تألّب الأحزاب على عثمان أن رجلاً يقال له: عبد الله بن سبأ كان يهودياً فأظهر الإسلام وصار إلى مصر فأوحى إلى طائفة من الناس كلاماً اخترعه من نفسه، مضمونه أنه يقول للرجل: أليس قد ثبت أن عيسى بن مريم سيعود إلى هذه الدنيا؟ فيقول الرجل: بلى، فيقول له: فرسول الله ﷺ أفضل منه، فما تنكر أن يعود إلى هذه الدنيا وهو أشرف من عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ ثم يقول: وقد كان أوصى إلى علي بن أبي طالب، فمحمد خاتم الأنبياء، وعلى خاتم الأوصياء، ثم يقول: فهو أحق بالإمرة من عثمان، وعثمان معتدٍ في ولايته ما ليس له، فأنكِروا عليه وأظهِروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فافتتن به بشر كثير من أهل مصر، وكَتبوا إلى جماعات من عوام أهل الكوفة والبصرة فتمالئوا على ذلك وتكاتبوا فيه، وتواعدوا أن يجتمعوا في الإنكار على عثمان [1].

هكذا نشأت هذه الفتنة، ولقد قام كبار الصحابة ﷺ بالاحتساب على مُوقديها، ومن ذلك ما في قصتنا التي اخترتها، فها هو علي ﷺ يقوم بدور عظيم في محاولة إطفاء هذه الفتنة ولكن الله أراد أمراً فأتمه.

---

(١) ينظر: تاريخ الأمم والملوك للإمام الطبري نقلاً عن البداية والنهاية لابن كثير ١٠/ ٢٦٣، مرجع سابق.

الركن الثالث: المحتسَب فيه:

الخروج على إمام المسلمين، وهذا من أعظم المنكرات، ولقد رتب الشارع الحكيم عقوبات صارمة على الخروج على الإمام، نظراً لعظم الجريمة التي ارتكبها الخارج على الإمام، فمن ذلك قوله ﷺ: «من خرج من الجماعة قِيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلى أن يرجع»[(١)]، وقوله ﷺ: «من رأى من أميره شيئًا يكرهه فليصبر، فإنه من فارق الجماعة شبرًا فمات فميتته جاهلية»[(٢)].

ولذلك كان من عقيدة أهل السنة والجماعة عدم الخروج على ولاة الأمور، قال الإمام الطحاوي: «ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا، ولا ندعوا عليهم، ولا ننزع يداً من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل ما لم يأمروا بمعصية، وندعوا لهم بالصلاح والمعافاة»[(٣)].

الركن الرابع: الاحتساب نفسه:

الاحتساب في هذه القصة هو أمرهم بالسمع والطاعة للخليفة الراشد عثمان بن عفان ﷺ ونهيهم عن الخروج عليه أو التأليب على ذلك، ودعوتهم إلى الرجوع إلى بلادهم.

كما كان الاحتساب أيضاً برد شبههم والإجابة عليها ودحضها.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٤/ ١٣٠، ٢٠٢، دار الكتب العلمية بيروت.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ: «سترون بعدي أمورًا تنكرونها» ص ١٢١٧، حديث رقم ٧٠٥٤.

(٣) ينظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص ٣٣٣، تحقيق: الشيخ أحمد شاكر، المطابع الأهلية للأوفست الرياض ١٣٩٦هـ.

المبحث الثالث: من صور الاحتساب في العهد الأموي

(احتساب عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ على عمّاله بالكتابة إليهم)

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ: «وقد كان ـ أي: الخليفة عمر بن عبد العزيز ـ يكتب الموعظة إلى العامل من عمّاله فينخلع بها قلبه، وربما عزل بعضهم نفسه عن العمالة من شدة ما تقع موعظته منه، وذلك أن الموعظة إذا خرجت من قلب الواعظ دخلت قلب الموعوظ.

كتب إلى بعض عماله: أما بعد: فإني أذكّرك ليلة تمخض بالساعة فصباحها القيامة، فيا لها من ليلة ويا له من صباح، وكان يوماً على الكافرين عسيراً.

وكتب إلى آخر: أذكّرك طول سهر أهل النار في النار مع خلود الأبد، وإياك أن ينصرف بك من عند الله فيكون آخر العهد بك، وانقطاع الرجاء منك.

قالوا: فخلع هذا العامل نفسه من العمالة، وقدم على عمر فقال له: ما لك؟ فقال: خلعتَ قلبي بكتابك يا أمير المؤمنين، والله لا أعود إلى ولاية أبداً[1].

هذا غيض من فيض مما كتبه عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ إلى عماله الذين ولاهم الإمارات، ووكل إليهم تدبير شؤون الرعية في حدود ولاياتهم.

ويمكن لي أن أستنبط أركان الحسبة مما نقلت من هذه الكتابات على النحو الآتي:

---

(١) ينظر: البداية والنهاية لابن كثير ١٢/ ٧١٠، ٧١١.

الركن الأول: المحتسِب:

المحتسِب في هذه الصورة هو الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، أبو حفص، القرشي الأموي، أمير المؤمنين، وأمه أم عاصم ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، كانت ولادته سنة ثلاث وستين، وقيل: تسع وخمسين.

وله أخبار عجيبة وسيرة حميدة لا يسمح المقام بذكرها، إلا أني أحب أن أتحف القارئ بهذه المقتطفات من سيرته العطرة. قال أهل السير: لَمّا رجع من جنازة سليمان بن عبد الملك وقد بايعه الناس واستقرت الخلافة باسمه انقلب وهو مغتم مهموم، فقال له مولاه: مالك هكذا مغتماً مهموماً وليس هذا بوقت هذا؟! فقال: ويحك! ومالي لا أغتم وليس أحد من أهل المشارق والمغارب من هذه الأمة إلا وهو يطالبني بحقه أن أؤديه إليه، كتب إليّ في ذلك أو لم يكتب، طلبه مني أو لم يطلب [١].

وقالت زوجته فاطمة: ما رأيت أحداً أكثر صلاة وصياماً منه، ولا أحداً أشدّ فرَقاً من ربه منه، كان يصلي العشاء ثم يجلس يبكي حتى تغلبه عينه، ثم ينتبه فلا يزال يبكي حتى تغلبه عينه، قالت: ولقد كان يكون معي في الفراش فيذكر الشيء من أمر الآخرة فينتفض كما ينتفض العصفور في الماء ويجلس يبكي، فأطرح عليه اللحاف رحمة له وأنا أقول: يا ليت كان بيننا وبين الخلافة بُعد المشرقين، فوالله ما رأينا سروراً منذ دخلنا فيها [٢].

الركن الثاني: المحتسَب عليه:

المحتسَب عليه في هذه الصورة هم عماله الذين ولاهم الولايات، وقد

---

(١) ينظر: البداية والنهاية لابن كثير ١٢/ ٦٩٠، مرجع سابق.

(٢) ينظر: المرجع السابق ١٢/ ٧٠٥.

صرّح كثير من الأئمة بأن كل من استعمله عمر بن عبد العزيز ثقة [١].

وقد كان يكتب أن لا يستعمل على الأعمال إلا أهل القرآن، فإن لم يكن عندهم خير فغيرهم أولى أن لا يكون عنده خير [٢].

الركن الثالث: المحتسَب فيه:

المحتسَب فيه في هذه الصورة هو خوف وقوع الظلم من العمال، فعمر ابن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ كتب إلى عمّاله بهذه المواعظ خوفاً من أن يقع منهم ظلم، فكان يذكّرهم بهذه المواعظ خشية أن يقع منهم ظلم.

الركن الرابع: الاحتساب نفسه:

يمكننا أن نقول: إن الاحتساب في هذه الصورة هو أمر العمّال بالعدل وحثهم على القيام بأعمالهم التي وُلّوا عليها خير قيام، وهذا ما كان منهم زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز الذي عدّه أهل العلم خامس الخلفاء الراشدين لعدله ومنهجه في الخلافة الذي مشى فيه على هدي الخلفاء الراشدين، فكان لصلاح نيته وقصده واجتهاده في العدل بين رعيته ما جعل خلافته ـ مع قصرها ـ تاج خلافة بني أمية. قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: «وقد اجتهد ـ رحمه الله ـ في مدة ولايته ـ مع قصرها ـ حتى ردّ المظالم وصرف إلى كل ذي حق حقه، وكان مناديه في كل يوم ينادي: أين الغارمون؟ أين الناكحون؟ أين المساكين؟ أين اليتامى؟ حتى أغنى كلا من هؤلاء»[٣].

---

(١) ينظر: البداية والنهاية لابن كثير ١٢/ ٧١٠.

(٢) ينظر: المرجع السابق ١٢/ ٧١٠.

(٣) ينظر: المرجع السابق ١٢/ ٦٩٦.

المبحث الرابع: من صور الاحتساب في العهد العباسي

(احتساب أبي العتاهية على هارون الرشيد)

قال الأصمعي: استدعاني الرشيد يوماً وقد زخرف منازله، وأكثر الطعام والشراب واللذات فيها، ثم استدعى أبا العتاهية، فقال له: صف لنا ما نحن فيه من العيش والنعيم، فأنشأ يقول:

عش ما بدا لك سالِماً * في ظـــل شاهقـــة القصور
يُسعَى عليك بما اشتهيْـ * ـت لدى الرواح وفي البكور
فإذا النفوس تقعقعـت * في ضيق حشرجـة الصـــدور
فهناك تعلـــم موقنـاً * ما كنـــت إلا في غـــرور

قال: فبكى الرشيد بكاء شديداً. فقال الفضل بن يحيى: دعاك أمير المؤمنين لتسره فأحزنته! فقال له الرشيد: دعه؛ فإنه رآنا في عمى فكره أن يزيدنا عمى.

ومن وجه آخر: أن الرشيد قال لأبي العتاهية: عظني بأبيات من الشعر وأوجز، فأنشأ يقول:

لا تأمن الموت في طرف ولا نفس * ولو تمنّعتَ بالحُجّاب والحـرس
واعلم بأن سهام الموت قـاصـــدة * لكل مدّرع منها ومتّـــــرس
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكهـا * إن السفينة لا تجري على اليبس

قال فخر الرشيد مغشياً عليه [1].

من خلال هذه الصورة أستطيع أن أستنبط أركان الحسبة، وذلك على النحو الآتي:

---

(١) تنظر هذه الأخبار في البداية والنهاية لابن كثير ١٤/ ٣٨-٣٩، مرجع سابق.

الركن الأول: المحتسِب:

المحتسِب في هذه الصورة هو الشاعر المفلِق المشهور أبو العتاهية، قال عنه الإمام الذهبي: أبو العتاهية رأس الشعراء، الأديب الصالح الأوحد، أبو إسحاق، إسماعيل بن قاسم بن سويد بن كيسان العنزي مولاهم الكوفي، نزيل بغداد، سار شعره لجودته وحُسنه وعدم تقعره.

وكان أبو نواس يعظّمه ويتأدب معه لدينه، ويقول: ما رأيته إلاتوهّمت أنه سماوي وأني أرضي.

كان مولده سنة ثلاثين ومائة، وتوفي يوم الاثنين ثالث جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة، وقيل: ثلاث عشرة ومائتين، وأوصى أن يُكتب على قبره ببغداد:

إنّ عيشاً يكون آخره المو * ت لعيشٌ معجّل التنغيص [1].

الركن الثاني: المحتسَب عليه:

المحتسَب عليه في هذه الصورة هو الخليفة هارون الرشيد أمير المؤمنين، ابن المهدي محمد بن المنصور أبي جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله ابن عباس بن عبد المطلب، القرشي الهاشمي، أبو محمد، كان مولده في شوال سنة ست، وقيل: سبع، وقيل: ثمان وأربعين ومائة.

كان من أحسن الناس سيرة، وأكثرهم غزواً وحجاً بنفسه، ولقد قيل فيه:

ومن يطلب لقاءك أو يُرده * فبالحرمين أو أقصى الثغور

وكان يحب الفقهاء والشعراء والأدباء، ويعطيهم كثيراً ولا يَضِيع لديه بر

---

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء للإمام الحافظ الذهبي ١٠/ ١٩٥، مرجع سابق، والبداية والنهاية لابن كثير ٤/ ١٨٢-١٨٥.

ولا معروف [١].

وكان يخشع للمواعظ، ويبكي عند سماعها، ولقد نقل عنه في ذلك أخبار كثيرة منها:

دخل عليه ابن السّماك يوماً فاستسقى الرشيد فأتي بقلة فيها ماء مبرّد، فقال لابن السماك: عظني، فقال: يا أمير المؤمنين، بكم كنت مشترياً هذه الشربة لو مُنعتَها؟ فقال: بنصف ملكي، فقال: اشرب هنيئاً، فلما شرب قال: أرأيت لو مُنعتَ خروجها من بدنك، بكم كنت تشتري ذلك؟ قال: بملكي كله، فقال: إنّ ملكاً قيمته شربة ماء لخليق أن لا يتنافس فيه. فبكى هارون[٢].

وقال له ابن السّماك يوماً: يا أمير المؤمنين، إنك تموت وحدك، وتقبر وحدك، فاحذر المقام بين يدي الجبار، والوقوف بين الجنة والنار، حين يؤخذ بالكظم، وتزل القدم، ويقع الندم، فلا توبة تُنال، ولا عثرة تُقال، ولا يقبل فداء بمال، فجعل الرشيد يبكي حتى علا صوته، فقال يحيى بن خالد له: يا ابن السّماك، لقد شققت على أمير المؤمنين الليلة، فقام فخرج من عنده وهو يبكي[٣].

وسرد مثل هذه الأخبار يطول.

الركن الثالث: المحتسَب فيه:

المحتسَب فيه في هذه الصورة هو ما رآه أبو العتاهية من الإسراف في الزخارف والزينة، والطعام والشراب واللذات، ومثل هذه إذا زادت قست القلوب، وغفلت عن ما لأجله خُلقت.

---

(١) ينظر: البداية والنهاية لابن كثير ١٤/ ٢٧-٢٩.

(٢) ينظر: المرجع السابق ١٤/ ٣٣.

(٣) ينظر: المرجع السابق ١٤/ ٣٧.

الركن الرابع: الاحتساب نفسه:

يمكن القول إن الاحتساب في هذه الحادثة هو نهي الخليفة عن الانغماس الزائد في الدنيا، وبذل الأموال الطائلة في الملذات الزائلة، وأمره باليقظة والانتباه ليوم لا مفر منه، وهو يوم تفارق فيه الروح البدن، وكفى بالموت واعظاً.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وله سبّح من في الأرض والسماوات، والصلاة والسلام على من بعثه ربه بالمعجزات الظاهرات، والبراهين الساطعات، وسلم تسليماً كثيراً. أما بعد:

فيحسن بي أن أختم هذا البحث بذكر أبرز النتائج التي توصلت إليها:

١ـ أركان الحسبة أربعة: المحتسِب، والمحتسَب عليه، والمحتسَب فيه، والاحتساب نفسه.

٢ـ أن الحسبة بدأت منذ العهد النبوي، وهي من معالم هذا الدين وركائزه العظام.

٣ـ أن الرسول ﷺ كان يتولى الاحتساب بنفسه، وكذلك خلفاؤه من بعده.

٤ـ أن هذا الدين لم يخل في عصر من العصور من أئمة محتسبين ودعاة ناصحين، يبذلون الاحتساب على ما يرونه من منكرات.

٥ـ أن القرون المفضّلة الأولى كان فيها الاحتساب أكثر انتشاراً، وأعظم تأثيراً من القرون بعده، وذلك لأنها كانت قريبة من عهد الصفاء ونزول الوحي من السماء.

هذه أبرز النتائج.

وأما أهم التوصيات فإني أوصي المسلمين في هذا العصر وخاصة أولي الأمر منهم بالعناية بأمر الحسبة، فهي حصن الإسلام الحصين، والدرع الواقي بإذن الله من الشرور والفتن.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع

١- الأحكام السلطانية، للإمام الماوردي، شركة ومطبعة مصطفى البابي مصر، الطبعة الثالثة ١٣٩٣هـ.

٢- إحياء علوم الدين، للإمام أبي حامد الغزالي، نشر: دار القلم بيروت، الطبعة الثالثة.

٣- الإصابة في تمييز الصحابة، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني المعروف بابن حجر، دار الكتب العلمية بيروت.

٤- أصول الدعوة، لعبد الكريم زيدان، نشر: مكتبة المنار الإسلامية، الطبعة الثالثة ١٣٩٦هـ.

٥- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لخالد السبت، نشر: المكتب الإسلامي لندن، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

٦- البداية والنهاية، للحافظ ابن كثير، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي دار هجر القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

٧- تاريخ الأمم والملوك، للإمام محمد بن جرير الطبري، نقلاً عن البداية والنهاية للحافظ ابن كثير.

٨- تفسير الفخر الرازي، للإمام فخر الدين محمد الرازي، دار الفكر بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ.

٩- تفسير القرآن العظيم، للإمام عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير، نشر: دار السلام الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

١٠- توجيهات وذكرى، للدكتور/ صالح بن حميد، دار التربية والتراث، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

١١- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، دار إحياء التراث العربي بيروت ١٤٠٥هـ.

١٢- سنن أبي داود، للإمام سليمان بن الأشعث السجستاني، دار السلام الرياض، الطبعة الثانية ١٤٢١هـ.

١٣- سير أعلام النبلاء، لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٦هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وحسين الأسد.

١٤- شرح الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، تحقيق: الشيخ أحمد شاكر، المطابع الأهلية للأوفست الرياض ١٣٩٦هـ.

١٥- صحيح البخاري، للإمام الحافظ محمد بن إسماعيل البخاري، دار السلام الرياض، الطبعة الثانية ١٤٢١هـ.

١٦- لسان العرب، للإمام جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، دار لسان العرب بيروت.

١٧- مسند الإمام أحمد بن حنبل، دار الكتب العلمية بيروت.

١٨- المغني لابن قدامة، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي دار هجر القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

١٩- نصاب الاحتساب، لعمر بن محمد السنامي، تحقيق: مريزن بن سعيد عسيري، نشر: مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

٢٠- نيل الأوطار شرح منتهى الأخبار، للشوكاني، دار الفكر بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ.

البحث السابع

غايات الدعوة وأهدافها

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على نبينا محمد رسول الله. أما بعد:

فقد يسّر الله لي سبيل مواصلة العلم الشرعي؛ حيث التحقت بالدراسات العليا مرحلة الماجستير بكلية الدعوة والإعلام، قسم الدعوة، وحيث إن السنة المنهجية تعدّ تمهيداً لإعداد الرسالة فقد طلبت مني أستاذتي الفاضلة: د. بدرية بنت سعود البشر، أن أكتب بحثاً في غايات الدعوة وأهدافها، مستنبطة الأهداف والغايات من نصوص القرآن الكريم.

فاستعنت بالله وقمت بوضع خطة للبحث مكوّنة من: مقدمة، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة.

التمهيد في: التعريف ببعض مفردات عنوان البحث، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعريف الغاية.

المبحث الثاني: تعريف الأهداف.

الفصل الأول: الغايات والأهداف العامة .

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التبليغ.

المبحث الثاني: هداية الناس.

المبحث الثالث: الشهادة على الناس وإقامة الحجة عليهم يوم القيامة.

الفصل الثاني: الغايات والأهداف الخاصة.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: إبراء الذمة بأداء واجب الدعوة.

المبحث الثاني: تحصيل الأجر والثواب.

الخاتمة وفيها أهم النتائج.

هذا وقد اجتهدت في كتابة هذا البحث حسب استطاعتي، علماً بأنه أول بحث أكتبه، فوجدت فيه من الصعوبات ما يجده أي باحث مبتدئ، ولكني استعنت بالله واجتهدت في البحث، حتى خرج بهذه الصورة التي أرجو أن أكون وفقت فيها.

وقد حرَصت أولاً على جمع النصوص التي استنبطت منها غايات وأهداف الدعوة، ثم رجعت إلى كتب التفسير لمعرفة معاني الآيات، كما استفدت من الكتب المتخصصة في الدعوة، مما هو مثبت في فهرس المراجع.

والله أسأل أن يجزي أستاذتي د. بدرية بنت سعود البشر خير الجزاء وأوفره؛ حيث كانت السبب في استفادتي الكبيرة من هذا البحث.

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل.

التمهيد في التعريف ببعض مفردات عنوان البحث :

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعريف الغاية

الغاية لغة: مدى الشيء وأقصاه ومنتهاه، وجمعها: غايات [١].

وأصل الغاية: الراية، سميت بذلك لأنها تظل من تحتها.

قال الشاعر:

قدْ بتّ سامرَها وغاية تاجر * وافيت إذ رُفعت وعزّ مدامها [٢]

ثم سميت نهاية الشيء غاية. وهذا من المحمول على غيره، إنما سميت بغاية الحرب وهي الراية؛ لأنه ينتهى إليها، كما يرجع القوم إلى رايتهم في الحرب[٣].

قال الأزهري [٤]: وإنما سميت الراية غاية «لأن أهل الجاهلية كانوا ينصبون راية للخيل عند المسابقة بينها تسمى غاية، فإذا بلغها الفرس قيل: قد بلغ الغاية، فصارت مثلاً».

ومن خلال تعريف الغاية في اللغة يمكنني القول بأن غاية الدعوة هو

---

(١) ينظر: لسان العرب مادة: غيا ١٥/ ١٤٣.

(٢) البيت للبيد في معلقته المشهورة.

(٣) ينظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس، مادة: غوى ٤/ ٤٠٠، وينظر: المصباح المنير مادة: غوى ١/ ٥٤٨.

(٤) تهذيب اللغة مادة: غوى ٨/ ٢٢٠. والأزهري هو: أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أحد أئمة اللغة والأدب، ولد في هراة بخراسان سنة ٢٨٢هـ وبها توفي سنة ٣٧٠هـ، عني بالفقه فاشتهر به أولاً، ثم غلب عليه التبحر في العربية، من أشهر كتبه: تهذيب اللغة. تنظر ترجمته في: معجم المؤلفين ٨/ ٢٣٠.

منتهاها الذي يقصده الداعي بدعوته، فكأن الداعي سلك طريقاً وجعل له نقطة نهاية، فإذا بلغ منتهي هذا الطريق فقد حقق غايته.

المبحث الثاني: تعريف الأهداف

الأهداف: جمع هدف، قال ابن فارس [١]: «الهاء والدال والفاء: أُصيل يدل على انتصاب وارتفاع».

والهدف: كل شيء عظيم مرتفع.

والهدف: الغرض المنتضَل فيه بالسهام [٢].

ومن خلال التعريف اللغوي يتضح أن المقصود بأهداف الدعوة: أغراضها وما يقصده الداعي بدعوته ليصل إليه ويحققه.

---

(١) معجم مقاييس اللغة مادة: هدف ٦/ ٣٩.

(٢) المرجع السابق. وينظر: المصباح المنير مادة: هدف ١/ ٧٨٢.

الفصل الأول

الغايات والأهداف العامة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التبليغ

المبحث الثاني: هداية الناس

المبحث الثالث: الشهادة على الناس وإقامة الحجة عليهم يوم القيامة

المبحث الأول: التبليغ:

التبليغ هدف من أهداف الدعوة، وغاية من غاياتها، وذلك لأن أمة محمد ﷺ أمة دعوة، مأمورة بأن تبلغ دين الله لعباد الله وتنشر في الأرض شرع الله.

وربنا تبارك وتعالى أمر رسوله بالتبليغ بنص صريح تقرأه في القرآن، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ﴾[(١)].

ولا شك ولا خفاء في أن النبي ﷺ قد بلّغ البلاغ التام، وقام به أتم القيام.

وقد شهدت له أمته ﷺ بإبلاغ الرسالة، وأداء الأمانة، واستنطقهم بذلك في أعظم المحافل في خطبته يوم حجة الوداع، وقد كان هناك من أصحابه نحو من أربعين ألفاً.

كما ثبت في صحيح مسلم[(٢)] عن جابر بن عبد الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال في خطبته يومئذ: «أيها الناس، إنكم مسؤولون عني فما أنتم قائلون؟» قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فجعل يرفع رأسه ويرفع يده إلى السماء وينكبها إليهم ويقول: «اللهم هل بلّغت».

ومن نصوص القرآن الدالة على وجوب التبليغ على رسولنا قوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾[(٣)]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ﴾[(٤)].

---

(١) من الآية ٦٧ من سورة المائدة.

(٢) كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، حديث رقم ١٢١٨، ٢/ ٨٨٢.

(٣) من الآية ١٢٥ من سورة النحل.

(٤) من الآية ٦٧ من سورة المائدة.

وهاتان الآيتان فيهما النص الصريح على وجوب التبليغ على رسولنا عليه الصلاة والسلام، والأمة تبع له في ذلك.

وكما أمر الله نبيه ﷺ بتبليغ الرسالة، كذلك أمر أتباعه بالتبليغ، وهناك نصوص كثيرة في القرآن تدل على وجوب التبليغ وحتميته، أكتفي منها بقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [(١)]، فاللام في قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن﴾ للأمر، والأمر يقتضي الوجوب، و (الأمة) في الآية يقصد منها ـ كما يدل عليه السياق ـ طائفة من العلماء والدعاة موظفة لمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وساهرة على حراسة الرأي العام في كل بقعة من المجتمع الإسلامي، وإن كان ذلك واجباً ـ في الأصل ـ على كل فرد من الأمة، كل على حسب طاقته واستعداده وإيمانه.

يقول ابن كثير [(٢)] ـ رحمه الله ـ في تفسير هذه الآية: «والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجباً على كل فرد من الأمة كل بحسبه، كما ثبت في صحيح مسلم [(٣)] عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان) وفي رواية: (... وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل...) .

فالذي تدل عليه الآية: أن تبليغ الدعوة، وحراسة الرأي العام... واجب طائفة من العلماء والدعاة الموظفين من قبل الإمام على أعمال الحسبة، وإن

---

(١) الآية ١٠٤ من سورة آل عمران.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٢/ ٣٦.

(٣) كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، حديث رقم ٤٩، ٥٠، ١/ ٦٩-٧٠.

كان ذلك واجباً في الأصل على كل فرد من أفراد الأمة [١].

المبحث الثاني: هداية الناس:

هداية الناس ودلالتهم على طريق الخير هدف من أهداف الدعوة وغاية من غاياتها.

ولقد كان خيار عباد الله تعالى من الأنبياء والمرسلين ـ عليهم الصلاة والسلام ـ والصالحين، يهتمون بالدعوة أبلغ الاهتمام، ويحرصون على إخراج الناس من الظلمات إلى النور أشد الحرص، ولا يزال ـ ولله الحمد والمنة ـ يوجد بعض الناس على دربهم.

ولكن الكثرة الكاثرة من المنتسبين إلى الإسلام، بل وحتى بعض المحافظين على أداء بعض الفرائض الإسلامية لا يولون هذا العمل الجليل الاهتمام المطلوب، وليس هذا فحسب، بل أدهى من هذا وأمرّ أن بعض المحسوبين على الدعوة يلاحَظ فيهم البرودة تجاه هذه المهمة النبوية الشريفة[٢].

ولقد كان رسولنا الكريم ﷺ أحرص الناس على هداية الناس، ولقد سجل القرآن الكريم الكريم هذا الحرص منه ﷺ في آيات تتلى، وفي مواضع شتى من كتاب الله جر وجلا، ومن تلك الآيات قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [٣]، وقوله عز وجل: ﴿إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [٤]، وقوله: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ

(١) ينظر: سلسلة مدرسة الدعاة لعبد الله علوان ١/ ٩٦.
(٢) ينظر: كتاب الحرص على هداية الناس للدكتور/ فضل إلهي ص ٣.
(٣) الآية ١٠٣ من سورة يوسف.
(٤) الآية ٣٧ من سورة النحل.

رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١).

ولم يقف رسولنا عليه الصلاة والسلام عند الحرص فقط، بل تعدى ذلك إلى حزنه الشديد، وهمه الكبير، وتضايقه من عدم استجابة الناس للحق، حتى كاد يهلك نفسه غماً وأسفاً عليهم، وفي هذا المعنى يقول جل وعلا: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ (٢)، ويقول سبحانه: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (٣)، ويقول عز من قائل: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ (٤).

ولَمّا كان الدعاة جميعاً سواء أكانوا أنبياء ورسل أو غيرهم لا يقدرون على إدخال كل من أحبوا الإسلام، ولكن الهداية للإسلام والتوفيق لسلوك طريق الجنة لا يملكه إلا الله، قال الله لنبيه: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (٥).

المبحث الثالث: الشهادة على الناس وإقامة الحجة عليهم يوم القيامة:

الله سبحانه عدْل حرّم الظلم على نفسه وجعله بين الناس محرماً، لذا بعث الرسل مبشرين ومنذرين؛ لإقامة الحجة على الناس، كما قال جل وعلا: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ

---

(١) الآية ١٢٨ من سورة التوبة.
(٢) الآية ١٢٧ من سورة النحل.
(٣) الآية ٨ من سورة فاطر.
(٤) الآية ٦ من سورة الكهف.
(٥) الآية ٥٦ من سورة القصص.

﴿ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[١].

ولقد قام أنبياء الله ورسله وأتباعهم بمهمة الدعوة لإقامة الحجة على الناس والشهادة عليهم يوم القيامة، وأمة محمد ﷺ هي الأمة الشاهدة على الأمم يوم القيامة.

وإلى هذا يشير قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[٢]، والمعنى: جعلناكم أمة خياراً لتكونوا شهداء على الناس، أي: رُقباء قُوّاماً عليهم بدعائهم إلى الحق وإرشادهم إلى الهدى وإنذارهم مما هم فيه من الزيغ والضلال، كما كان الرسول شهيداً عليكم بقيامه عليكم بما بلّغكم وأمركم ونهاكم وحذّركم وأنذركم، فتكون الآية نظيرة آية: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ[٣]﴾[٤].

---

(١) الآية ١٦٥ من سورة النساء.

(٢) الآية ١٤٣ من سورة البقرة.

(٣) الآية ١١٠ من سورة آل عمران.

(٤) ينظر: محاسن التأويل للقاسمي ص ٣٧٩.

الفصل الثاني

الغايات والأهداف الخاصة [١]

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: إبراء الذمة بأداء واجب الدعوة

المبحث الثاني: تحصيل الأجر والثواب

(١) أعني بالخاصة: التي ترجع للداعي نفسه.

المبحث الأول: إبراء الذمة بأداء واجب الدعوة:

الدعوة إلى الله واجبة على كل فرد من الأمة بحسبه، كما ثبت في صحيح مسلم[١] عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان».

والدعوة إلى الإسلام أصبحت في هذا العصر فريضة شرعية، وضرورة حتمية، على كل من انتسب إلى أمة الإسلام، شيباً وشباباً، رجالاً ونساء، صغاراً وكباراً، حكاماً ومحكومين، خاصة وعامة... كل يقوم بهذه المهمة على حسب حاله، حسب طاقته، وحسب إيمانه، وحسب تحسسه بواقع المسلمين وأحوال المجتمعات البشرية.

والأصل في هذه الوظيفة الدعوية العامة قوله تبارك وتعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٢].

والقاعدة في هذه المهمة التبليغية الشاملة قوله جل جلاله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾[٣].

فعبارة: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ في الآية تشمل المسلمين جميعاً على اختلاف أجناسهم وألوانهم ولغاتهم ومستوياتهم.

---

(١) ينظر تخريجه ص١٤٥.

(٢) الآية ٧١ من سورة التوبة.

(٣) الآية ١١٠ من سورة آل عمران.

وعبارة: ﴿أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ في الآية نفسها تعبير يلفت النظر حيث يشير إلى اليد الخالقة المدبرة التي أخرجت أمة الإسلام من ستار الغيب إخراجاً، ودفعتها إلى الظهور وإثبات الذات دفعاً لتبلّغ دعوة الله في العالمين.

وبعد أن عرفنا أن الدعوة واجبة، فيكون من أهداف الدعوة وغاياتها براءة الذمة بأداء ما وجب على الفرد من دعوة الناس إلى الخير، ولا تبرأ الذمة إلا بأداء هذا الواجب.

المبحث الثاني: تحصيل الأجر والثواب:

من أهداف الدعوة وغاياتها الخاصة بالداعي: أنه يحصل على أجر عظيم من الله سبحانه، وقد دلت نصوص القرآن على الأجر والمكانة للقائمين بالدعوة، فمن ذلك:

١ـ أن الداعي إلى الله من أحسن الناس قولاً. مما يجعل المسلم يعتني بالدعوة ويقوم بها ويتحمس لها؛ حيث أعلى الله منزلة الدعاة وجعلهم بهذه الدعوة من أحسن الناس قولاً عند الله، يدل على ذلك قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ (١).

قال الشيخ ابن سعدي(٢): «هذا استفهام بمعنى النفي المتقرر، أي: لا أحد أحسن قولاً، أي: كلاماً وطريقة وحالة ممن دعا إلى الله بتعليم الجاهلين، ووعظ الغافلين والمعرضين، ومجادلة المبطلين، بالأمر بعبادة الله، بجميع

---

(١) الآية ٣٣ من سورة فصلت.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٦/ ٥٧٥.

وابن سعدي هو: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، من علماء نجد، له مؤلفات نافعة، مولده سنة ١٣٠٧هـ وتوفي سنة ١٣٧٦هـ. تنظر ترجمته في: الأعلام للزركلي ٣/ ٣٢٠.

أنواعها والحث عليها وتحسينها مهما أمكن، والزجر عما نهى الله عنه وتقبيحه بكل طريق يوجب تركه» .

٢ـ أن الفلاح والفوز ثمرة من ثمرات الدعوة التي يقطفها الداعي، وأجر من أجوره الذي تكفل الله له به.

قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١).

قال القاسمي (٢) في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾: «أي: الفائزون بأجور أعمالهم وأعمال من تبعهم، قال بعضهم: الفلاح هو الظفر وإدراك البغية، فالدنيوي هو إدراك السعادة التي تطيب بها الحياة، والأخروي أربعة أشياء: بقاء بلا فناء، وعز بلا ذل، وغنى بلا فقر، وعلم بلا جهل».

---

(١) الآية ١٠٤ من سورة آل عمران.

(٢) محاسن التأويل ٢/ ١٠٧.

الخاتمة

وبعد: فهذا جهد المقل، فما كان فيه من صواب فمن الله، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي والشيطان.

وقد توصلت من خلال بحثي إلى نتائج من أهمها:

١- وجوب تبليغ الدعوة.

٢- أن أمة محمد ﷺ ستشهد على الأمم السابقة يوم القيامة.

٣- أن هداية الناس مقصد وهدف وغاية للدعوة، فإن حصلت فبها ونعمت، وإلا فإن الأجر ثابت للدعاة حتى ولو لم يستجب الناس لهم.

٤- بالدعوة إلى الله تبرأ ذمة الداعي من هذا الواجب الذي أوجبه عليه مولاه.

٥- أن أجر الدعوة عظيم وثوابها جسيم.

هذه أبرز النتائج التي توصلت إليها في بحثي هذا.

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

فهرس المصادر والمراجع

١- الأعلام، تأليف: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين بيروت، الطعبة السادسة ١٤٠٤هـ.

٢- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للحافظ جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المطبعة العصرية بيروت.

٣- تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: علي حسن هلالي، طبعة سجل العرب القاهرة.

٤- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للعلامة عبد الرحمن بن سعدي، المطابع الأهلية للأوفست ١٤١٠هـ.

٥- الحرص على هداية الناس، للدكتور/ فضل إلهي، مطبعة سفير، الطبعة الرابعة ١٤١٩هـ.

٦- سلسلة مدرسة الدعاة، لعبد الله ناصح علوان، دار السلام، الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ.

٧- صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي بيروت.

٨- لسان العرب، للإمام أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، نشر المكتبة الفيصلية.

٩- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر بيروت.

١٠- المعجم الوسيط، صنعة مجموعة من الباحثين في مجمع اللغة العربية

بمصر، دار الفكر.

١١- معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي.

١٢- المصباح المنير، تأليف: أحمد بن محمد الفيومي، دار الكتب العلمية بيروت ١٣٩٨هـ.

١٣- مختصر تفسير ابن كثير، اختصار محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم.

١٤- محاسن التأويل، تأليف: محمد جمال الدين القاسمي، دار إحياء التراث العربي بيروت.

١٥- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن خلكان، دار صادر بيروت.

البحث الثامن

أساليب الدعوة

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فلقد ألزمت شريعة الإسلام كل منتسب إليها أن يقوم بواجب الدعوة إلى الله، كل حسب طاقته وقدرته: قال رسول الله ﷺ: (بلّغوا عني ولو آية)[١].

والواجب على الداعية إلى الله أن ينطلق في دعوته متتبعاً منهج رسول الله ﷺ في دعوته للناس: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾[٢].

والدعوة إلى الله أصبحت الآن ـ بحمد الله ـ حركة علمية وعملية تتميز بمبادئها وأهدافها ومصادرها، وترتكز على أسس وقواعد علمية مدروسة، وتنضبط بضوابط شرعية محددة، فيختار لها أقوم المناهج، وأحكم الأساليب، وأفضل الوسائل.

وإن من أهم ما ينبغي العناية به، والتركيز عليه، وفهمه وتعلّمه، ما يتصل ويتعلق بأساليب الدعوة.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، حديث رقم ٣٤٦١ ص ٥٨٢.

(٢) الآية ١٠٨ من سورة يوسف.

ولَمّا كان من المواد المقررة علينا في السنة المنهجية للدراسات العليا في قسم الاحتساب والدعوة في كلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية مادة: نصوص الدعوة في القرآن الكريم، وكُلّفنا من قِبَل أستاذة هذا المقرر بكتابة بحث عن أساليب الدعوة، قمتُ بقراءة ما كُتب في هذا الموضوع، وجمعتُ مادة علمية، ثم وضعتُ خطة للكتابة فيه جاءت على النحو الآتي:

مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة:

المقدمة.

المبحث الأول: تعريف الأساليب والفرق بينها وبين الوسائل.

المبحث الثاني: مصادر استنباط أساليب الدعوة.

المبحث الثالث: أنواع أساليب الدعوة.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: أساليب تحريك الشعور والوجدان والعاطفة. ويشمل ثلاثة أساليب:

الأول: أسلوب الموعظة الحسنة.

الثاني: أسلوب الترغيب والترهيب.

الثالث: أسلوب البشارة.

المطلب الثاني: أساليب التدبر والاعتبار والتعقل. ويشمل ثلاثة أساليب:

الأول: أسلوب التشبيه.

الثاني: أسلوب الحوار والمجادلة والمناظرة.

الثالث: أسلوب الاستفهام الإنكاري.

المطلب الثالث: الأساليب التي لها علاقة بالحس والتجارب. ويشمل أسلوبين:

الأول: أسلوب ذكر الداعية بعض أعماله ليقتدى به.

الثاني: أسلوب ذكر الداعية للمدعوّين سنن الله في خلقه.

المطلب الرابع: الأساليب العامة. ويشمل ثلاثة أساليب:

الأول: أسلوب التدرج.

الثاني: أسلوب الحكمة.

الثالث: أسلوب التكرير بالإنذار.

المبحث الرابع: خصائص أساليب الدعوة وضوابطها.

الخاتمة: وفيها أبرز النتائج.

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

وقبل أن أختم هذه المقدمة أحب أن أوضح أن مجموعة الأساليب التي تحرك الشعور والوجدان تمثل المنهج العاطفي، ومجموعة الأساليب التي تدعو الإنسان إلى التفكر والتدبر والاعتبار تمثل المنهج العقلي، ومجموعة الأساليب التي تعتمد على الحس والتجارب تمثل المنهج الحسي التجريبي. وهكذا...

ومن هنا كان حصر الأساليب صعباً جداً؛ نظراً لتنوعها وكثرتها، وقد نص القرآن الكريم على بعضها نصاً صريحاً مباشراً، كما أشار إلى بعضها إشارة، لذا فإني لا أدّعي القيام بحصر كل الأساليب ولكني ذكرت أبرزها.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول: تعريف الأساليب والفرق بينها وبين الوسائل:

الأساليب جمع: أسلوب، والأسلوب في اللغة يأتي بمعنى الطريق والفن[١].

ومعنى الأسلوب في الاصطلاح: طريقة التعبير، أو طريقة الكتابة، أو طريقة الإنشاء، أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير، أو الضرب من النظم والطريقة فيه[٢].

وقيل: إن الأسلوب: هو الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه واختيار مفرداته[٣].

ولَمّا كان من مصطلحات علم الدعوة: مصطلح الوسائل، وقد يختلط معناه مع مصطلح الأساليب، أصبح لزاماً التفريق بينهما خاصة وأن بعض الناس لا يفرق بينهما، فيجعل الوسائل أساليب والعكس.

ويتضح الفرق بعد عرض تعريف مصطلح الوسائل.

فوسائل الدعوة هي: ما يتوصل به الداعية إلى تطبيق مناهج الدعوة من أمور معنوية أو مادية[٤].

إذاً فالوسائل هي ما يستخدمه الداعية للوصول إلى غايته سواء أكان اتصافاً بصفات معنوية، أم كان استعمالاً لأدوات مادية، أم قياماً بأعمال تطبيقية.

---

(١) ينظر: المعجم الوسيط مادة: سلب ١/ ٤٤٣.

(٢) ينظر: الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية لأحمد الشايب ص ٤٤.

(٣) ينظر: خصائص القرآن الكريم للدكتور/ فهد الرومي ص ١٨.

(٤) ينظر: المدخل إلى علم الدعوة لمحمد أبو الفتح البيانوني ص ٤٩.

أما الأساليب فهي: الطريقة الكلامية التي يسلكها الداعية في عرض ما لديه على الناس.

إذاً فالأساليب لها تعلق في الغالب بالألفاظ، أما الوسائل فلها علاقة بالصفات المعنوية والأدوات المادية والأعمال التطبيقية.

فالترغيب، والترهيب، والحوار، والجدل، والمناظرة، والاستفهام الإنكاري، ونحوها، كلها أساليب، وهي متعلقة بالألفاظ ومرتبطة بها.

والتخطيط، والتلفاز، والشبكة العالمية للمعلومات (الإنترنت)، والشريط، وإرسال الدعاة، كلها وسائل؛ لأنها متعلقة إما بأمور مادية، أو معنوية، أو أعمال تطبيقية.

المبحث الثاني: مصادر استنباط أساليب الدعوة:

أساليب الدعوة تستنبط من القرآن الكريم، ومن السنة النبوية، ومن سيرة السلف الصالح، ومن تجارب الدعاة والمصلحين.

أما القرآن الكريم فهو مليء بأخبار الرسل، ومن فوائد ذكر أخبارهم وقصصهم مع أقوامهم أن نستنبط منها ما يفيدنا في الدعوة إلى الله، قال تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ [1]، وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [2].

والسنة النبوية هي الأخرى نستفيد منها أموراً كثيرة تتعلق بالدعوة وأساليبها ووسائلها، فرسول الله ﷺ هو سيد الدعاة وخاتم المرسلين، وفي سيرة سلفنا الصالح ما يستفيد منه الدعاة إلى الله، وكذلك التجارب،

---

(١) الآية ١٢٠ من سورة هود.

(٢) الآية ١١١ من سورة يوسف.

فالتجربة معلم مفيد للإنسان، والحكمة ضالة المؤمن [١].

المبحث الثالث: أنواع أساليب الدعوة:

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: أساليب تحريك الشعور والوجدان والعاطفة:

ويشمل ثلاثة أساليب:

الأول: أسلوب الموعظة الحسنة:

للموعظة الحسنة أهمية بالغة في الدعوة إلى الله تعالى، فقد أمر الله تعالى بها في كتابه الكريم وحثّ عليها، فقال: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾[٢]، جاء في تفسير الموعظة الحسنة أنها: المقالة التي يستحسنها السامع وتبلغ من نفسه مبلغاً حتى يقتنع بها ويعمل بما فيها، وتكون في نفسها حسنة باعتبار انتفاع السامع بها [٣].

والقرآن الكريم كله موعظة، قال تعالى ـ مبيّناً هذه الحقيقة ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[٤]، فالله جل وعلا يُرَغّب خلقه في هذه الآية بالإقبال على هذا الكتاب الكريم بذكر أوصافه الحسنة الضرورية للعباد، فالقرآن كله فيه من المواعظ الحسنة، والترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، مما يوجب للعبد الرغبة والرهبة [٥].

---

(١) ينظر: أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان ص ٣٩٧.

(٢) الآية ١٢٥ من سورة النحل.

(٣) ينظر: زبدة التفسير من فتح القدير لمحمد بن سليمان الأشقر ص ٣٦٣.

(٤) الآية ٥٧ من سورة يونس.

(٥) ينظر: تفسير تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٣٦٦، ٣٦٧.

الثاني: أسلوب الترغيب والترهيب:

يُقصد بالترغيب في اللغة: طلب الشيء والحرص عليه والطمع فيه [١].

وفي الاصطلاح: كل ما يشوّق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه [٢].

ويقصد بالترهيب لغة: الخوف والفزع [٣].

وفي الاصطلاح: كل ما يخيف المدعو ويحذره من عدم الاستجابة، أو رفض الحق، أو عدم الثبات عليه بعد قبوله [٤].

أسلوب الترغيب والترهيب من الأساليب التي جاءت في القرآن، فالله سبحانه يذكر الجنة وصفاتها ويدعو إليها، ثم يذكر النار وصفاتها ويرَهّب منها، قال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [٥]، وهذا كثير في القرآن، فجدير بالدعاة إلى الله أن يسلكوا في في دعوتهم هذا الأسلوب، فلا يقتصروا على الترغيب دون الترهيب، فما أجمل أسلوب القرآن وما أحسن طريقته!.

وإذا تأملنا طريقة رسل الله في دعوتهم أقوامَهم نجد أنهم استخدموا هذا

---

(١) ينظر: لسان العرب لابن منظور مادة: رغب ١/ ٤٢٢.

(٢) ينظر: أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان ص ٤٢١.

(٣) ينظر: لسان العرب لابن منظور مادة: رهب ١/ ٤٣٦.

(٤) ينظر: أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان ص ٤٢١.

(٥) الآيات ٤٣-٥٣ من سورة الدخان.

الأسلوب، ففي جانب الترغيب يقول نوح لقومه مرغّباً: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾[١]، ثم يواصل نوح دعوته بأسلوب الترهيب: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ...﴾[٢]، يقول ابن كثير[٣] ـ رحمه الله ـ: «هذا مقام الدعوة بالترغيب، ثم عدل بهم إلى دعوتهم بالترهيب، فقال: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾».

وفي جانب الترهيب يقول تعالى ـ حكاية عن نبيه شعيب عليه السلام ـ: ﴿وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾[٤]، وما قص الله علينا قصص أنبيائه ورسله إلا لنقتدي بهم.

الثالث: أسلوب البشارة:

والبشارة هي الخبر السار، ويقال لها البشرى.

والبشارة وردت في القرآن على وجوه متعددة، ولأغراض متنوعة، فمن ذلك:

١ـ بشارة أرباب الإنابة بالهداية: ﴿وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾[٥].

٢ـ بشارة المخبتين والمخلصين بالحفظ والرعاية: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾[٦].

---

(١) الآيات ١٠-١٢ من سورة نوح.

(٢) الآية ١٣ من سورة نوح.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٤٤٩.

(٤) الآية ٨٤ من سورة هود.

(٥) الآية ١٧ من سورة الزمر.

(٦) الآية ٣٤ من سورة الحج.

٣ـ بشارة المستقيمين بالجنة وثبات الولاية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[1].

٤ـ بشارة المتقين بالفوز والحماية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾[2].

٥ـ بشارة الخائفين بالمغفرة والوقاية: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾[3].

٦ـ بشارة المجاهدين بالرضا والعناية والرحمة والجنة: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾[4].

هذه بعض استعمالات القرآن للبشارة، فالداعية الناجح هو من يستخدم هذا الأسلوب ـ أعني: أسلوب البشارة ـ في دعوته متى ما كان المقام يستدعي ذلك، فمثلاً لو أراد داعية أن يدعوَ جماعة أصيبوا بمصيبة، فقد يبدأ دعوتهم بقوله: أبشروا أيها الناس، أبشروا أيها الناس بصلوات من ربكم ورحمة، استمعوا إلى ربكم جل وعلا وهو يقول: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ

---

(١) الآية ٣٠ من سورة فصلت.

(٢) الآيتان ٦٣-٦٤ من سورة يونس.

(٣) الآية ١١ من سورة يس.

(٤) الآيتان: ٢٠-٢١ من سورة التوبة.

هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [١].

المطلب الثاني: أساليب التدبر والاعتبار والتعقل:

ويشمل ثلاثة أساليب:

الأول أسلوب التشبيه:

جاء في المعجم الوسيط [٢]: التشبيه هو: التمثيل. وعند أهل البيان: إلحاق أمر بأمر لصفة مشتركة بينهما.

استعمل القرآن الكريم أسلوب التشبيه كثيراً، فمن ذلك تشبيه المعرضين عن القرآن الذي هو مشتمل على التذكرة الكبرى والموعظة العظمى بالْحُمُر الشديدة النفار، قال الله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ [٣]، قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي [٤] ـ رحمه الله ـ: «﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ أي: صادين غافلين عنها، ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ في نفرتهم الشديدة منها ﴿حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ﴾ أي: كأنهم حُمُر وحش نُفّرت فنَفّر بعضها بعضاً فزاد عَدْوها، ﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ أي: من صائد ورام يريدها، أو من أسد ونحوه، وهذا من أعظم ما يكون من النفور عن الحق، ومع هذا الإعراض وهذا النفور يدّعون الدعاوى الكبار».

الثاني: أسلوب الحوار والمجادلة والمناظرة:

المحاورة هي المجادلة، والتحاور: التجاوب، وهم يتحاورن، أي:

---

(١) الآيات ١٥٥-١٥٧ من سورة البقرة.

(٢) ينظر: المعجم الوسيط، صنعه مجموعة من الباحثين في مجمع اللغة العربية بمصر ص ٤٧١.

(٣) الآيات ٤٩-٥١ من سورة المدثر.

(٤) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لابن سعدي ص ٨٩٨.

يتراجعون الكلام [١].

والمناظرة قريبة من معنى الحوار، إلا أن المناظرة أدل في النظر والتفكر، كما أن الحوار أدل في الكلام ومراجعته [٢].

فالحوار هو تراجع الكلام، وقد ورد في القرآن في ثلاثة مواضع: **الأول:** في قصة أصحاب الجنة: ﴿فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾[٣]، **والثاني:** في القصة نفسها: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾[٤]، **والموضع الثالث:** ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾[٥].

وقد استعمل أنبياء الله ورسله أسلوب الحوار والمجادلة والمناظرة في دعوتهم، فمن ذلك ما قصه الله علينا في هذه الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ...﴾[٦].

قال القرطبي في تفسيره [٧]: «هذه الآية تدل على إثبات المناظرة والمجادلة وإقامة الحجة، وفي القرآن والسنة من هذا كثير لمن تأمله، قال الله تعالى:

---

(١) ينظر: لسان العرب مادة: حور ٤/ ٢١٧-٢١٨.

(٢) ينظر: الحوار مع أهل الكتاب أسسه ومناهجه في الكتاب والسنة لخالد القاسم.

(٣) الآية ٣٤ من سورة الكهف.

(٤) الآية ٣٧ من سورة الكهف.

(٥) الآية ١ من سورة المجادلة.

(٦) الآية ٢٥٨ من سورة البقرة.

(٧) الجامع لأحكام القرآن ٣/ ٢٨٦.

﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[١]، وقال ـ في قصة نوح عليه السلام ـ: ﴿ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا ﴾[٢] الآيات إلى قوله: ﴿ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴾[٣] ... فهو كله تعليم من الله عز وجل السؤال والجواب والمجادلة في الدِّين؛ لأنه لا يظهر الفرق بين الحق والباطل إلا بظهور حجة الحق ودحض حجة الباطل ...».

الثالث: أسلوب الاستفهام الإنكاري:

الاستفهام هو: طلب العلم بشيء بواسطة أداة من أدواته، كالهمزة، وهل، وقد تخرج صيغة الاستفهام عن معناها الحقيقي إلى معان أخرى تفهم من سياق الكلام وقرائن الأحوال، كالنفي، والتعظيم، والتكثير، والإنكار[٤].

والاستفهام الإنكاري أن يقصد المستفهم من المخاطب الإنكار عليه.

وقد استعمل القرآن هذا الأسلوب كثيراً، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[٥]، قال أبو حيان ـ رحمه الله ـ في تفسيره[٦]: «﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ ﴾ الهمزة للاستفهام للاستفهام وضعاً، وشابها هنا التوبيخ والتقريع؛ لأن المعنى الإنكار عليهم وتوبيخهم على أن يأمر الشخص بخير ويترك نفسه... فيقبح في العقول أن

---

(١) الآية ٦٤ من سورة النمل.

(٢) الآية ٣٢ من سورة هود.

(٣) الآية ٣٥ من سورة هود.

(٤) ينظر: كتاب البلاغة علم المعاني والبديع للدكتور/ عبد القدوس أبو صالح، وأحمد توفيق كليب.

(٥) الآية ٤٤ من سورة البقرة.

(٦) البحر المحيط ١/ ١٨٢.

يأمر الإنسان بخير وهو لا يأتيه، وأن ينهى عن سوء وهو يفعله».

فجدير بالدعاة أن يستفيدوا من أسلوب القرآن هذا، ويستعملوه في دعوتهم الناس متى ما وجدت الفرصة المناسبة لاستخدام هذا الأسلوب.

المطلب الثالث: الأساليب التي لها علاقة بالحس والتجارب:

ويشمل أسلوبين:

الأول: أسلوب ذكر الداعية بعض أعماله ليقتدى به.

ويظهر هذا في قصة يوسف مع صاحبيه في السجن، قال الله تعالى: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [(١)]، قال ابن سعدي ـ رحمه الله ـ في تفسيره [(٢)]: «وفي هذا من الترغيب ما لا يخفى، فإن الفتيين لما تقرر عنده أنهما رأياه بعين التعظيم والإجلال، وأنه محسن معلم، ذكر لهما أن هذه الحالة التي أنا عليها، كلها من فضل الله وإحسانه؛ حيث منّ علي بترك الشرك وباتباع ملة آبائه، فبهذا وصلتُ إلى ما رأيتما، فينبغي لكما أن تسلكا ما سلكتُ، ثم صرّح لهما بالدعوة فقال: ﴿يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [(٣)]».

الثاني: أسلوب ذكر الداعية للمدعوين سنن الله في خلقه:

---

(١) الآيتان: ٣٧-٣٨ من سورة يوسف.

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لابن سعدي ص ٣٩٨.

(٣) الآية ٣٩ من سورة يوسف.

وسنن الله في خلقه كثيرة، ومنها: أنه ليس بين الله وبين أحد من خلقه نسب، فأكرم الناس عند الله أتقاهم، فها هي زوجتا نوح ولوط، نبيان من أنبياء الله، لم ينفع هاتين الزوجتين كونهما زوجتي نبيين، فهما من أهل النار كما قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1].

قال ابن القيم [2] ـ رحمه الله ـ في تفسير هذه الآيات: «اشتملت هذه الآيات على ثلاثة أمثال: مثل للكفار، ومثلين للمؤمنين، فيتضمن مثل الكفار أن الكافر يعاقب على كفره وعداوته لله ورسوله وأوليائه، ولا ينفعه مع كفره ما كان بينه وبين المؤمنين من لحمة نسب أو وصلة صهر، أو سبب من أسباب الاتصال، فإن الأسباب كلها تنقطع يوم القيامة إلا ما كان منها متصلاً بالله وحده على أيدي رسله، فلو نفعت وصلة القرابة والمصاهرة أو النكاح مع عدم الإيمان، لنفعت الوصلة التي كانت بين نوح ولوط وامرأتيهما، فلما لم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيلا ادخلا النار مع الداخلين...

وأما المثلان اللذان للمؤمنين **فأحدهما:** امرأة فرعون، ووجه المثل: أن اتصال المؤمن بالكافر لا يضره شيئاً إذا فارقه في كفره وعمله، فمعصية الغير لا تضر المؤمن المطيع شيئاً في الآخرة وإن تضرر بها في الدنيا بسبب العقوبة

---

(١) الآيتان: ١٠-١١ من سورة التحريم.

(٢) التفسير القيم للإمام ابن القيم ص ٤٩٦، ٤٩٧.

التي تحل بأهل الأرض إذا أضاعوا أمر الله فتأتي عامة، فلم يضر امرأة فرعون اتصالها به وهو من أكفر الكافرين، ولم ينفع امرأة نوح ولوط اتصالهما بهما وهما رسولا رب العالمين. **المثل الثاني للمؤمنين:** مريم التي لا زوج لها لا مؤمن ولا كافر.

فذكر ثلاثة أصناف للنساء: المرأة الكافرة التي لها وصلة بالرجل الصالح، والمرأة الصالحة التي لها وصلة بالرجل الكافر، والمرأة العزب التي لا وصلة بينها وبين أحد . **فالأولى:** لا تنفعها وصلتها وسببها. **والثانية:** لا تضرها وصلتها وسببها. **والثالثة:** لا يضرها عدم الوصلة شيئاً».

المطلب الرابع: الأساليب العامة:

ويشمل ثلاثة أساليب:

الأول: أسلوب التدرج:

الداعية المسلم مرتبط تمام الارتباط بالقرآن الكريم، يعرف أسلوبه وطريقته فيقتدي بها.

والقرآن الكريم ما نزلت أحكامه مرة واحدة، والحكمة في ذلك أن هذا النهج في التشريع يجعل الأحكام أخف على النفس مما لو نزلت دفعة واحدة، ومن ثمّ تكون أدعى إلى القبول والامتثال، كما أن في هذا التدرج تيسيراً للمخاطبين لمعرفة الأحكام وحفظها والإحاطة بأسبابها وظروف تشريعها، وهذا هو الملائم لحالة العرب وهم المسلمون الأولون.

وعند التأمل في تشريع بعض الأحكام نلاحظ أن التدرج هو واقعها، فالخمر - مثلاً - لم تحرم إلا بالتدريج، فأولاً مُهّد لها ببيان أضرارها: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ

أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾[١]، ثم نُهي عن قربان الصلاة حالة السكر: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾[٢]، ثم جاء التحريم القاطع أخيراً في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٣]، وقد كان بين نزول هذه الآيات مدداً متطاولة[٤].

وإذا كان الأمر كذلك فينبغي للداعية حينما يعرض دعوته على الناس أن يسلك هذا الأسلوب القرآني الرباني، فعند دعوة غير المسلم نبدأ أولاً بترسيخ العقيدة، ثم ببيان أركان الإسلام، وهكذا شيئاً فشيئاً.

الثاني: أسلوب الحكمة:

تطلق الحكمة في اللغة على عدة معان منها: العدل، والعلم، والحلم[٥].

وفي الاصطلاح: وضع الأشياء مواضعها[٦].

فأسلوب الحكمة هو: الأسلوب الذي يضع الشيء موضعه[٧]، فيختار الداعية الخلق المناسب للموقف المناسب، وذلك بحسب الأحوال والمواقف، فمن رفق ولين إلى شدة وعنف، ومن عفو وصفح إلى قوة وبطش، فقد وصف الله عز وجل عباده المؤمنين بقوله: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[٨]،

---

(١) الآية ٢١٩ من سورة البقرة.

(٢) الآية ٤٣ من سورة النساء.

(٣) الآية ٩٠ من سورة المائدة.

(٤) ينظر: المدخل لدراسة الشريعة للدكتور/ عبد الكريم زيدان ص ٩٣-٩٤.

(٥) ينظر: لسان العرب مادة: حكم.

(٦) ينظر: تفسير البحر المحيط ١/ ٣٩٣.

(٧) ينظر: المدخل إلى علم الدعوة ص ٢٤٥.

(٨) الآية ٢٩ من سورة الفتح.

وقوله: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[١]، فليس من الحكمة في شيء وضع الشدة موضع اللين أو العكس.

وقد جاء الأمر بهذا الأسلوب صريحاً في القرآن: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾[٢]، بل جعل الله سبحانه من أبرز أعمال الرسول ﷺ تعليم الحكمة، قال تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾[٣]، وجعلها من أفضل ما يعطاه المرء: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ﴾[٤]، قال الشيخ ابن سعدي[٥] ـ رحمه الله ـ: «الحكمة: هي العلم النافع والعمل الصالح ومعرفة أسرار الشرائع وحِكَمها، وإن من آتاه الله الحكمة فقد آتاه الله خيراً كثيراً».

الثالث: أسلوب التكرير بالإنذار:

إن أسلوب التكرير وإعادة الإنذار والتوجيه مرة بعد أخرى أسلوب نافع؛ لأن الناس قد ينسون بعد فترة من الزمن، وهذا يبين للدعاة إلى الله تعالى أهمية هذا الأسلوب، فإذا ألقى الداعية كلمة أو خطبة أو محاضرة أو نصيحة على قوم من المدعوين، ثم احتاج إلى إعادتها بعد فترة من الزمن فلا حرج في ذلك؛ لأن المقصود أن يفهم الناس ما يلقى إليهم ويستوعبوه، فإذا لم يحصل هذا كرر ما يلقى إليهم حتى يرسخ في أذهانهم[٦].

---

(١) الآية ٥٤ من سورة المائدة.

(٢) الآية ١٢٥ من سورة النحل.

(٣) الآية ١٦٤ من سورة آل عمران.

(٤) الآية ٢٦٩ من سورة البقرة.

(٥) تيسير الكريم الرحمن ص ١١٥.

(٦) ينظر: فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري، تأليف: د. سعيد بن علي القحطاني ١/ ٨٧.

والتكرار مما جاء في القرآن الكريم، فأحياناً يكون باللفظ والمعنى كما في سورة الرحمن في قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[١]، وأحياناً يكون بالمعنى دون اللفظ كما كرر الوعد والوعيد، وقصص الأنبياء، وصفات أهل الخير، وصفات أهل الشر.

ولقد وصف الله كتابه الكريم بأنه مثاني، قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ﴾[٢]، قال ابن سعدي [٣] ـ رحمه الله ـ: «مثاني: أي: تُثَنّى فيه القصص والأحكام، والوعد والوعيد، وصفات أهل الخير، وصفات أهل الشر، وتثنّى فيه أسماء الله وصفاته، وهذا من جلالته وحسنه، فإنه تعالى لَمّا علم احتياج الخلق إلى معانيه المزكية للقلوب، المكملة للأخلاق، وأن تلك المعاني للقلوب بمنزلة الماء لسقي الأشجار، فكما أن الأشجار كلما بَعُد عهدها بسقي الماء نقصت، بل ربما تلفت، وكلما تكرر سقيها حسنت وأثمرت أنواع الثمار النافعة، فكذلك القلب يحتاج دائماً إلى تكرار معاني كلام الله تعالى عليه، وأنه لو تكرر عليه المعنى مرة واحدة في جميع القرآن لم يقع منه موقعاً ولم تحصل النتيجة منه».

المبحث الرابع: خصائص أساليب الدعوة وضوابطها:

أساليب الدعوة أصل من أصولها التي تقوم عليها، ويُحتاج إليها، ويُطلب من الدعاة تطبيقها والعمل بها. ولهذه الأساليب خصائص وضوابط:

---

(١) الآية ١٣ وما بعدها من سورة الرحمن.

(٢) الآية ٢٣ من سورة الزمر.

(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص ٧٢٣.

أولاً: خصائص أساليب الدعوة:

لأساليب الدعوة خصائص كثيرة من أبرزها:

أ. الفطرة:

ونقصد بهذه الخصيصة: انسجام الأساليب الدعوية مع فطرة الإنسان، فأساليب الدعوة لا تنافي الفطرة بل تجاريها، فمن خلال نظرة سريعة للأساليب السابقة نجد أن منها ما يلامس قلب المدعو ويحرك عواطفه، كأسلوب الترغيب والترهيب والبشارة ونحوها، ومنها ما يحرك فكره ويدعوه إلى التدبر والاعتبار، كأسلوب الجدل والمناظرة.

فالداعية الناجح هو الذي يختار من الأساليب ما يلبي فطرة الإنسان ويتمشى مع طبيعة المدعو، كما فعل القرآن الكريم ورسولنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

ب. التنوّع:

ونقصد بالتنوع: تعدد أشكال الأساليب وتنوعها تنوعاً يغطي حاجات الدعوة، ويلبي متطلبات الفطرة.

ويتضح هذا من خلال كثرة الأساليب التي عرضتها وبيّنتها في المبحث السابق وهو أنواع أساليب الدعوة.

ج. التطور:

ونقصد بذلك: عدم ثباتها على شكل واحد، فإن الأساليب الدعوية تختلف من وقت لآخر، ومن حال إلى حال، وذلك بحسب المقتضيات والأزمان.

والأصل في الأساليب الدعوية ـ ما عدا أساليب العبادات ـ أنها اجتهادية متطورة، يمكن للدعاة أن يحسّنوا منها ويطوروها بحسب مقتضيات

عصرهم[١].

ثانياً: ضوابط أساليب الدعوة[٢]:

لأساليب الدعوة ضوابط لا بد من تحققها، من أهمها:

١ـ أن تكون هذه الأساليب شرعية متفقة مع أحكام الشريعة ومنسجمة معها، وبعيدة عن الحرام والشبهة.

٢ـ مناسبة هذه الأساليب للمدعوين، ومقدرتهم على معرفتها، وفهم ما تريد إيصاله لهم من خير وصلاح.

٣ـ مقدرة الداعية على استخدام تلك الأساليب أو بعضها، وانتقاء المناسب له ولقدراته وفهمه وعلمه.

٤ـ أن تهتم تلك الأساليب بالأهم فالمهم من أمور الدعوة ومسائل الدِّين، وتتدرج في ذلك تدرجاً حكيماً يفيد المدعو وينفعه.

٥ـ أن يلتزم الداعية في أساليب دعوته وطرقها بالصدق والحق، وأن لا يخالف قوله فعله، ولا ظاهره باطنه، وأن يكون كالكتاب المقروء والصفحة البيضاء حتى يوثق في شخصه، وتقبل أساليبه، وتثمر دعوته، وأن يكون قدوته في ذلك كله رسول الله ﷺ كما أمر الله تعالى بذلك حيث قال سبحانه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[٣]، يقول الحافظ ابن كثير[٤] ـ رحمه الله ـ: «هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله».

---

(١) ينظر: المدخل إلى علم الدعوة محمد أبو الفتح البيانوني ص ٢٧٦-٢٨٠.

(٢) ينظر: وسائل الدعوة للدكتور/ عبد الرحيم المغذّوي ص ٢٠-٢١.

(٣) الآية ٢١ من سورة الأحزاب.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٥٢٢.

الخاتمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والحمد لله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، له الحمد حتى يرضى، وله الحمد إذا رضي، وله الحمد بعد الرضى، لا أحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه.

وفي ختام هذا البحث المتواضع أسجل أبرز النتائج التي توصلت إليها.

١ـ أهمية دراسة أساليب الدعوة.

٢ـ تستنبط أساليب الدعوة من الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح وتجارب الدعاة.

٣ـ أساليب الدعوة متنوعة، فمنها الأساليب المتعلقة بالجانب العاطفي، ومنها أساليب متعلقة بالجانب العقلي، ومنها أساليب متعلقة بالجانب الحسي التجريبي، ومنها أساليب عامة.

٤ـ لأساليب الدعوة خصائص كثيرة من أبرزها: الفطرة، والتنوع، والتطور.

٥ـ أهم ضوابط أساليب الدعوة: أن تكون شرعية، مناسبة للمدعوين، يقْدِر الداعي على استخدامها، تدرّجها فتبدأ بالأهم فالأهم.

هذه أبرز النتائج التي توصلت إليها. وأخيراً هذا هو جهد بُذِل، ترجو صاحبته أن تكون قد وُفّقت للصواب، وأثيبت من الملك الوهاب رب الأرباب، والحمد لله على ذلك حمداً كثيراً.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

فهرس المراجع

١- أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان، ط مكتبة المنار الإسلامية.

٢- تفسير القرآن العظيم، للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير، ط دار السلام.

٣- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تأليف: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، طبعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

٤- تفسير البحر المحيط، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دار الفكر.

٥- زبدة التفسير من فتح القدير وهو مختصر من تفسير الإمام الشوكاني، لمحمد سليمان الأشقر، دار الهجرة للنشر والتوزيع.

٦- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار أحياء التراث العربي.

٧- التفسير القيم للإمام ابن القيم، دار الكتب العلمية بيروت.

٨- لسان العرب، للإمام أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، المكتبة الفيصلية.

٩- المعجم الوسيط، صنعه: مجموعة من الباحثين في مجمع اللغة العربية بمصر، دار الفكر.

١٠- البلاغة علم المعاني والبديع، للدكتور/ عبد القدوس أبو صالح، وأحمد توفيق كليب، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

١١- الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، لأحمد الشايب، مطبعة السعادة، القاهرة.

١٢- المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، مؤسسة الرسالة ١٤٢٢هـ.

١٣- خصائص القرآن الكريم، للدكتور/ فهد الرومي.

١٤- الحوار مع أهل الكتاب أسسه ومناهجه في الكتاب والسنة لخالد بن عبد الله القاسم، دار المسلم.

١٥- المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية لعبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة.

١٦- صحيح الإمام البخاري، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار السلام.

١٧- فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري دراسة دعوية للأحاديث من أول كتاب الوصايا إلى نهاية كتاب الجزية والموادعة. بدون ط.

البحث التاسع

التمثيل واستخدامه في الدعوة إلى الله

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد يسر الله لي الالتحاق بمرحلة الماجستير في كلية الدعوة والإعلام قسم الدعوة والاحتساب، ومن متطلبات هذه المرحلة دراسة مقررات مدة فصلين دراسيين، ثم إعداد الرسالة.

ولأجل التدريب على إعداد الرسالة طلبت منا أستاذتنا الفاضلة د. الجوهرة الطريفي اختيار عنوان لكتابة بحث مصغر. فاستجبت لطلبها فوقع اختياري على هذا العنوان: **التمثيل واستخدامه في الدعوة إلى الله**؛ وذلك لعدة أسباب:

أسباب اختيار الموضوع:

١- جدة الموضوع وحيويته.

٢- خطورة التمثيل وانتشاره في هذا العصر.

٣- كون هذا الموضوع يتطلب معرفة الحكم الفقهي للتمثيل، وهذا أمر رغبني في بحثه، وشجعني على الكتابة فيه.

أهداف الموضوع:

أهدف من خلال هذا البحث لما يأتي:

١- معرفة كلام أهل العلم في مسألة التمثيل.

٢- بيان أثر التمثيل في الدعوة إلى الله.

٣- توضيح شمولية دين الإسلام، وأنه يتناول جميع ما يتعلق بتصرفات الناس.

تقسيمات الدراسة:

المقدمة: وفيها أسباب اختيار الموضوع، وأهدافه، وتقسيمات الدراسة

التمهيد: أهمية وسائل الدعوة وضوابطها الشرعية.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أهمية وسائل الدعوة.

المبحث الثاني: الضوابط الشرعية لوسائل الدعوة.

الفصل الأول: اللهو والمزاح في الشريعة الإسلامية وضوابطهما.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: حكم اللهو في الشريعة الإسلامية.

المبحث الثاني: حكم المزاح في الشريعة الإسلامية.

المبحث الثالث: ضوابط اللهو والمزاح في الشريعة الإسلامية.

الفصل الثاني: نشأة التمثيل وأهدافه وأنواعه.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: نشأة التمثيل.

المبحث الثاني: أهداف التمثيل.

المبحث الثالث: أنواع التمثيل.

الفصل الثالث: حكم التمثيل.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الحكم الإجمالي للتمثيل.

المبحث الثاني: الحكم التفصيلي للتمثيل، وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: حكم تمثيل الذات الإلهية.

المطلب الثاني: حكم تمثيل الأنبياء والرسل.

المطلب الثالث: حكم تمثيل الملائكة.

المطلب الرابع: حكم تمثيل الصحابة.

المطلب الخامس: حكم تمثيل الأئمة والعلماء.

المطلب السادس: حكم تمثيل القصص القرآني.

الفصل الرابع: استخدام وسيلة التمثيل في الدعوة إلى الله

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مصالح التمثيل.

المبحث الثاني: مفاسد التمثيل.

المبحث الثالث: أثر التمثيل في الدعوة إلى الله.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج.

هذا وقد اجتهدت في كتابة هذا البحث حسب استطاعتي، علما بأني بذلت جهدا ووقتا، واطلعت فيه على مراجع عديدة، وقد كان لمكتبة زوجي العامرة بالكتب أثر علي في تسهيل مهمتي والخروج بهذا البحث الذي أرجو الله أن ينفعني به ومن قرأه.

ولقد حرصت على سلوك المنهج العلمي في التوثيق والتخريج وذكر الخلاف والأدلة والأقوال.

والله أسأل أن يجعل عملي خالصا لوجهه الكريم، وأن يغفر لي ما كان من زلل أو نقص أو خطأ إنه بعباده رؤوف رحيم.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

التمهيد

أهمية وسائل الدعوة وضوابطها الشرعية

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف التمثيل

المبحث الثاني: أهمية وسائل الدعوة

المبحث الثالث: الضوابط الشرعية لوسائل الدعوة

المبحث الأول: تعريف التمثيل:

التمثيل لغة: يقال مثّل له الشيء، صوّره حتى كأنه ينظر إليه.

التمثيل اصطلاحاً: هو تجسيد الحادثة التاريخية أو الواقعة الاجتماعية أو الموقف السياسي أو الفكرة التوجيهية بشخصيات بشرية أو صور مادية وحسية، لتتوضح للناس حقيقة هذه الحادثة وتتبلور لديها ماهية هذه الواقعة، أو معالم هذا الموقف، أو تجسيد هذه الفكرة.

المبحث الثاني: أهمية وسائل الدعوة:

الوسيلة: هي ما يتوصل به إلى الشيء ويتقرب به [1]. فإذا كان هذا هو تعريف الوسيلة، فتظهر أهمية وسائل الدعوة بأنها الطريق الذي يوصل إلى دعوة الناس وتعريفهم بشرع الله جل وعلا.

ولا شك أن دعوة الناس إلى الله من أوجب الواجبات، فلأجلها أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب.

والداعية الناجح هو الذي يستطيع أن يوصل دعوته بأيسر طريق وأفضل سبيل، دون مشقة أو عنت أو حرج.

وإذا كان الأمر كذلك فمعرفة الداعية لوسائل الدعوة، وحرصه على تطبيقها واستخدامها مهم جدا، لا سيما وأن الوسائل متنوعة ومتجددة.

ولقد تضمن كتاب الله وسنة رسول الله كثيرا من الوسائل العظيمة النافعة في الدعوة.

كذلك اشتمل منهج سلف هذه الأمة الصالح على ما هو نافع ومثمر وجاد من الوسائل الدعوية.

---

(١) ينظر: النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير ٥/ ١٨٥.

فعلى الداعية إلى الله أن يبذل جهده في معرفة هذه الوسائل وأن يستفيد منها في دعوته. كما ينبغي عليه أن يبتكر وسائل جديدة، وطرقا حديثة يستثمر فيها ما يسر الله من مخترعات في هذا الزمان لكن مع حرصه و حذره من مخالفة شرع الله.

المبحث الثالث: الضوابط الشرعية لوسائل الدعوة

هناك ضوابط كثيرة لوسائل الدعوة، يجب على الداعية أن يعرفها ويلتزم بها، من أبرز تلك الضوابط ما يلي:

١-أن تكون هذه الوسائل شرعية، موافقة لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

٢- مناسبة الوسائل للمدعوين؛ لأن الغرض من الوسيلة إيصال الدعوة لهم، فإذا كانت الوسيلة غير مناسبة كأن تكون فوق مقدرتهم الاستيعابية، أو لا تناسب أعمارهم فهنا لا يستخدمها الداعية.

٣- قدرة الداعية على استخدام الوسيلة، فإذا كان الداعية لا يقدر على استخدامها فينتقل إلى وسيلة تكون تحت قدرته.

٤- أن يلتزم الداعية في وسائل الدعوة بالصدق وقول الحق.

٥- أن لا تكون الوسيلة سببا لإحداث فتنة بين الناس، أو تحدث ضررا للمدعوين [١].

هذه أبرز الضوابط الشرعية لوسائل الدعوة إلى الله.

---

(١) ينظر: وسائل الدعوة، للدكتور عبد الرحيم المغذوي ص ٢٠.

الفصل الأول

اللهو والمزاح في الشريعة الإسلامية وضوابطهما

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: حكم اللهو في الشريعة الإسلامية

المبحث الثاني: حكم المزاح في الشريعة الإسلامية

المبحث الثالث: ضوابط اللهو والمزاح في الشريعة الإسلامية

المبحث الأول: حكم اللهو في الشريعة الإسلامية:

لقد جاءت شريعتنا الإسلامية السمحة بإباحة اللهو إذا كان يسيرا، متضمنا مصلحة شريعة، كذهاب السآمة، واندفاع الملل.

وبالنظر إلى النصوص الشريعة، والأحاديث النبوية نجدها دالة على هذا الحكم مؤيدة له منها:

١- عن عائشة رضي الله عنها قالت: لقد رأيت رسول الله ﷺ يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد حتى أكون أنا الذي أسام فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو[(١)].

٢- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أنكحت عائشة رضي الله عنها ذات قرابة لها من الأنصار، فجاء رسول الله ﷺ فقال: «أهديتم الفتاة؟» قالوا نعم، قال: «أرسلتم معها من يغني؟» قالت: لا. فقال رسول الله ﷺ: «إن الأنصار قوم فيهم غزل، فلو بعثتم معها من يقول أتيناكم أتيناكم فحيانا وحياكم»[(٢)].

ففي هذين الحديثين دلالة ظاهرة على جواز اللهو في مناسبات خاصة، ولمصالح شرعيّة معتبرة. أما اللهو المطلق الذي يستغرق كل الأوقات وفي جميع الأزمان فليس في نصوص الشريعة ما يعضد جوازه.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب النكاح، باب: نظر المرأة إلى الحبش ونحوهم ص ٩٣٥ حديث رقم: ٥٢٣٦ ط دار السلام، ومسلم في صحيحه في كتاب العيدين، باب: في اللعب الذي لا معصية فيه ص ٣٥٧ حديث رقم: ٨٩٢ ط دار السلام.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٣/ ٣٩١، وابن ماجه في سننه، كتاب النكاح، باب: اللهو والغناء عند العرس ص ٢٧٣ حديث رقم: ١٩٠٠.

المبحث الثاني: حكم المزاح في الشريعة الإسلامية:

من المعلوم أن دين الإسلام هو خاتم الأديان السماوية، وأتباعه مطالبون بنشره بين الأمم، لذا كانت أمة الإسلام أمة دعوة، وأمة قيادة ومن هذه وظيفتها لا بد أن تكون جادة غير هازلة، فأعباء الحياة، وأعباء الدعوة لا يطيقها المهازيل.

ولكن لما كانت النفوس البشرية تستثقل المداومة على الجد، كان من حكمة الله تعالى أن أباح لعباده المزاح، ليروح عن نفوسهم وتجم به قلوبهم بالقدر اليسير الذي يحصل به المقصود فيندفع عن النفس ضيقها وعن القلب كمده. وقد كان قدوتنا رسول الله ﷺ يمازح زوجاته وأصحابه، لكن لكماله ﷺ كان يمازح ولا يقول إلا حقا [(١)].

فكان مزاحه عليه الصلاة والسلام خاليا من كل منكر وباطل، غير مشتمل على أي ضرر، مع كونه دالا على حكمته وتواضعه وحسن خلقه، فكان مزاحه نبراسا لكل مسلم يستضيء به ولا يتعداه. وسأذكر نماذج معدودة من مزاحه ﷺ.

١- عن عائشة قالت: خرجت مع النبي ﷺ في بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أبدن فقال للناس:«تقدموا، فتقدموا». ثم قال لي: «تعالَي حتى أسابقك »، فسابقته فسبقته، فسكت عني حتى إذا حملت اللحم وبدّنت ونسيت، خرجت معه في بعض أسفاره فقال للناس:«تقدموا، فتقدموا». ثم قال: «تعالَيْ حتى أسابقك»، فسابقته فسبقني، فجعل يضحك ويقول: «هذه بتلك »[(٢)].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٢/ ٣٤٠، والترمذي في سننه، كتاب: البر والصلة، باب: ما جاء في المزاح ص ٤٦ حديث رقم: ١٩٩٠، وقال عنه حديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٦/ ٢٦٤، وأبو داود في سننه كتاب: الجهاد، باب: في السبق على الرجل ص٣٧٣ حديث رقم:٢٥٧٨، والحديث صححه الألباني كما في السلسلة الصحيحة ١/ ٢٥٤.

٢- كان صهيب الرومي رضي الله عنه كثير المزاح، فأراد رسول الله ﷺ أن يلاطفه ويدخل السرور على نفسه وكان وقتها -أي: صهيب- يأكل تمرا وبه رمد، فقال له النبي ﷺ: «أتأكل التمر وبك رمد؟» قال: فقلت: إني أمضغ على الناحية الأخرى. فتبسم رسول الله ﷺ[(١)].

٣- عن الحسن رضي الله عنه أن عجوزا أتت إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة. فقال: «يا أم فلان، إن الجنة لا تدخلها عجوز» فولت تبكي، فقال: «أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز إن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ۝٣٥ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ۝٣٦ عُرُبًا أَتْرَابًا﴾[(٢)]»[(٣)].

٤- أتى رجل إلى النبي ﷺ وهو يعد للجهاد، فقال له: احملني يا رسول الله، فقال النبي ﷺ: «إنا حاملوك على ولد الناقة»، فقال الرجل: وما أصنع بولد الناقة ؟ فقال رسول الله ﷺ: «وهل تلد الإبل إلا النوق؟!»[(٤)].

ومن خلال هذه الأحاديث النبوية يمكن تقسيم المزاح ثلاثة أقسام:

القسم الأول: المزاح الفعلي، كما في مسابقة عائشة – رضي الله عنها-.

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب: الطب، باب: الحمية ص ٤٩٦-٤٩٧ حديث رقم: ٣٤٤٣، والحاكم في المستدرك ٣/ ٤٥١.

(٢) سورة الواقعة، أية ٣٥-٣٧.

(٣) أخرجه الترمذي في الشمائل المحمدية ص ٤١٩، وذكره الهيثمي في المجمع ١٠/ ٤١٩.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده ٣/ ٢٦٧، وأبو داود في سننه، كتاب: الأدب، باب: ما جاء في المزاح ص ٧٠٣ حديث رقم: ٤٩٩٨، والترمذي في سننه، كتاب: البر والصلة، باب: ما جاء في المزاح ص ٤٦٠ حديث رقم: ١٩٩١، وقال عنه: حسن صحيح غريب.

القسم الثاني: المزاح القولي، كما في قوله لصهيب: أتأكل التمر وبك رمد.

القسم الثالث: المزاح بالكتابة والتورية، كما في الحديثين الثالث والرابع.

المبحث الثالث: ضوابط اللهو والمزاح في الشريعة الإسلامية:

تبين لنا من خلال المبحثين السابقين إباحة الإسلام للهو والمزاح، إلا أن الشرع لم يفتح باب الإباحة على مصراعيه، بل وضع ضوابط عامة لإباحة اللهو والمزاح، وسأبين في هذا المبحث أبرز الضوابط الشرعية في هذه المسألة:

الضابط الأول: ألا يكون في اللهو والمزاح تعد لحدود الله جل وعلا، كأن يشتمل على محرم، كالكذب، والغيبة، والاستهزاء، أو موسيقى محرمة.

والأصل في هذا قول الصحابة -رضوان الله عليهم- للنبي -ﷺ-: إنك تداعبنا. قال: «إني لا أقول إلا حقًّا»[(١)].

وقد جاء في تحريم المزاح الكاذب حديث خاص هو قول الرسول ﷺ: «ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك به القوم فيكذب، ويل له، ويل له»[(٢)].

قال الخادمي [(٣)] - رحمه الله-: «شرط جواز المزاح قولاً وفعلاً أن لا

---

(١) سبق تخريجه ص ١٩٣.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: الزهد، باب: فيمن تكلم بكلمة يضحك بها الناس ص ٥٣٠، حديث رقم: ٢٣١٥، وقال: هذا حديث حسن، وأبو داود في سننه، كتاب: الأدب، باب: في التشديد في الكذب، ص ٧٠٢، حديث رقم: ٤٩٩٠، والحديث حسنه الألباني كما في غاية المرام ص ٢١٢.

(٣) هو أبو سيعد محمد بن محمد بن مصطفى بن عثمان الخادمي، من علماء الحنفية، فقيه، أصولي. كانت وفاته سنة ١١٦٨ هـ. تنظر ترجمته في معجم المؤلفين ٣٠١/١١.

يكون فيه كذب»[١].

الضابط الثاني: أن لا يكون اللهو والمزاح مشتملين على إيذاء أحد من الناس.

وأصل هذا الضابط قول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾[٢]. وقول الرسول ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار»[٣].

وهذا الحديث يعد بمثابة القاعدة العامة في الشرع الدافعة لكل ضرر، ولا شك أن اللهو الذي يصاحبه أذى لأحد من الناس، أو كان في المزاح إذاء للآخرين فهو محرم ممنوع شرعا.

ولأجل هذا قال الرسول ﷺ: «لا يأخذ أحدكم متاع أخيه لاعبًا ولا جادًّا... » الحديث[٤].

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: حدثنا أصحاب النبي ﷺ أنهم كانوا يسيرون مع النبي ﷺ فقام رجل منهم فانطلق بعضهم إلى حبل معه فأخذه ففزع. فقال النبي ﷺ: «لا يحل لمسلم أن يروع مسلمًا»[٥].

---

(١) ينظر: البريقة المحمودية في شرح الطريقة المحمدية ٤/ ١٧.

(٢) الآية ٥٨ من سورة الأحزاب.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ١/ ٣١٣، وابن ماجه في سننه، كتاب الأحكام، باب: من بنى في حقه ما يضر بجاره، ص ٣٣٥، حديث رقم: ٢٣٤٠، والحديث صححه الألباني في إرواء الغليل ٣/ ٤٠٨.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده ٤/ ٢٢١، وأبو داود في سننه كتاب الأدب، باب: من يأخذ الشيء على المزاح ص ٧٠٤، حديث رقم: ٥٠٠٣، والحديث حسنه الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب ٣/ ٤٣.

(٥) أخرجه أحمد في مسنده ٥/ ٣٢٦، وأبو داود في سننه كتاب الأدب، باب: من يأخذ =

الضابط الثالث: أن يكون اللهو والمزاح يسيرين من غير إفراط فيهما ومداومة عليهما.

وذلك لأن كثرة اللهو توجب الغفلة، وكثرة المزاح تورث كثرة الضحك المسبب لموت القلب.

قال الغزالي – رحمه الله –: «ومن الغلط العظيم أن يتخذ الإنسان المزاح حرفة يواظب عليها ويفرط فيها»[(١)].

وقال ابن حجر: «إن المنهي عنه ما فيه إفراط أو مداومة عليه لما فيه من الشغل عن ذكر الله والتفكر في مهمات الدين ويؤول كثيرا إلى قسوة القلب والإيذاء والحقد وسقوط المهابة والوقار»[(٢)].

الضابط الرابع: أن لا يشغل اللهو والمزاح عن ذكر الله وطاعته.

وجه ذلك أن الله سبحانه وتعالى نهى عباده المؤمنين عن أن يشغلهم الأولاد والأموال عن ذكر الله مع ما فيهما من المصالح العظيمة والميل الفطري عند عامة البشر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾[(٣)].

وإذا كان الأمر كذلك فإن النهي يتأكد في اللهو والمزاح من باب أولى.

الضابط الخامس: مراعاة الزمان والمكان عند اللهو والمزاح.

وذلك أن اللهو والمزاح لا يصلحان في كل وقت وفي كل زمان وإنما

الشيء على المزاح ص ٧٠٤، حديث رقم: ٥٠٠٤، والحديث صححه الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب ٦/ ٢٥٤.

(١) إحياء علوم الدين ٢/ ١٩٣.

(٢) فتح الباري ١٠/ ٥٢٦-٥٢٧.

(٣) الآية ٩ من سورة المنافقون.

تجب فيهما مراعاة الأحوال والأماكن والأزمان.

قال السيوطي رحمه الله: «والمداعبة مطلوبة لكن في مواطن مخصوصة، فليس في كل آن يصلح المزاح ولا في كل وقت يحسن الجد» [١].

(١) ينظر: فيض القدير ٣/ ١٣.

الفصل الثاني
نشأة التمثيل وأهدافه وأنواعه

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: نشأة التمثيل

المبحث الثاني: أهداف التمثيل

المبحث الثالث: أنواع التمثيل

المبحث الأول: نشأة التمثيل:

يؤكد كثير من كتاب تأريخ المسرح أن نشأة التمثيل كانت في القرن الخامس قبل الميلاد[١]. وتكاد تتفق المصادر على أن نشأة التمثيل كانت نشأة تعبدية وثنية يونانية[٢].

ولقد كان للمسرح اليوناني أكبر الأثر في المسرح الأوروبي فيما بعد، وكان المسرح كذلك -باعتبار أن المقصد منه هو التعبد - مكانًا مقدسًا خاصًا بالعبادة، وكان الناس يدخلونه وملء قلوبهم الخشوع والاحترام[٣].

وعليه فالمسرح اليوناني يعد الرائد الأول للمسرح العالمي، وهو النقطة الأولى التي انطلق منها فن التمثيل.

ثم يأتي بعد ذلك مرحلة الانتقال إلى المسرح الروماني الذي بدأ أولا بتقليد المسرح اليوناني الذي يصور حياة الآلهة ويحيى الطقوس الدينية التعبدية.

لكنهم تركوا هذا المنهج واحترف الأرقاء والمنبوذون الأداء التمثيلي فنأوا عن المجال الديني، واتجهوا بالمسرح إلى الترفيه واللهو. وتعتبر هذه النقلة هي البداية والنواة في تأريخ التمثيل الذي سلكته فيما بعد سائر الأمم فكان التمثيل وسيلة من وسائل الترفيه[٤].

---

(١) ينظر: في رحاب المسرح، لمحمد السيد عباس ص ٧، وفن التمثيل، لمحمد عبد الرحيم ص ٩.

(٢) ينظر: تأريخ المسرح في ثلاثة آلاف سنة لشلدون تشيني ص ٤٨، والقرآن ونظرية الفن، للدكتور حسين علي حسين ص ٨٠، والممثلون و التمثيل (تأريخ التمثيل) لتوبي كول، وهيأتين كريش ص ١٣.

(٣) المصادر السابقة.

(٤) المسرح الإسلامي لأحمد شوقي قاسم ص١٦، وفنّ التمثيل لمحمد عبدالرحيم ص٦١.

ويلفت نظر الباحث في تأريخ التمثيل أن العرب قبل الإسلام لم ينقل عنهم الاتجاه إلى التمثيل أو العناية به، وذلك لأن العرب في الجزيرة نشأوا في بيئة صحراوية انشغلوا بسببها بالبحث عن مقومات الحياة المادية فكانوا دائما في ارتحال، فهي حياة لا تعرف الاستقرار.

كما أن العرب امتلكوا بجدارة وتفوق فن الكلمة، وبرعوا في التعبير الشعري مما جعلهم يستغنون به عن أي نوع من أنواع الأدب والفن.

كذلك بعد الإسلام لم يهتم العرب بالتمثيل وذلك لسببين رئيسين:

أحدهما: أن الإسلام دين التوحيد، جاء محاربًا للوثنية مناهضًا لها، فليس هناك آلهة أو أنصاف آلهة كما هو الحال في وثنية اليونان والرومان، كذلك لا توجد عقيدة دينية يتعذر فهمها كما هو الحال في النصرانية. وهذا كله يتنافى مع ذلك التمثيل القائم على تلك الوثنية الخالصة. فكان من المستحيل وجوده عند العرب بعد الإسلام والحال كذلك.

الثاني: أن العرب حينما كانوا يتولون ترجمة الثقافة اليونانية كانت المسيحية قد وقفت ضد المسرح المغرق في الوثنية وقفة عنيفة قضت عليه فلم يظهر له أثر[1].

أما في العصر الحديث فيمكن تلخيص نشأة التمثيل في النقاط الآتية:

١- في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي زادت الصلة بين الشرق وأوروبا، ففتحت نوافذ الشرق العربي وأصبحت ترحب بما يأتي من أوروبا. وفي هذه الحقبة من الزمن عرفت بعض أقطار هذا الشرق فن المسرح ضمن ما عرفته من وفادات أوروبا، وسرعان ما انتحلته ضمن ما انتحلته منها،

---

(١) ينظر: المسرح الإسلامي ص ٢٨-٢٩، والتمثيل والتمثيلية ص ٩٨-٩٩، وفن التمثيل المسرحي ص ٤٠.

سواء في الأدب أو الفنون أو الأزياء ونحوها. وكان في مقدمة هذه الأقطار العربية سوريا، ومصر، وسوريا في ذلك الحين تشمل سوريا ولبنان وفلسطين والأردن – فقام المسرح الغربي باللسان العربي وبلهجاته المحلية في تلك الأقطار.

٢- يعد مارون النقاش المؤسس الأول لهذا الفن عند العرب، فقد قام بتأليف أول مسرحية كتبت باللغة العربية وهي مسرحية البخيل وذلك في عام ١٨٤٠م. وبالرغم من حداثة هذا الفن إلا أن هذه المسرحية كانت ناجحة، مما دعا مارون أن يكتب بعد ذلك روايات أخرى، كأبي الحسين المغفل، والحسود، والسليط، وفي كل هذه المسرحيات يلاحظ أن النقاش تأثر بالمسرح الأوروبي فيها بل إنه نقل الحوادث وأشخاصها من محيطها الأوروبي إلى بيئة عربية.

٣- بالرغم من أن هذه الأعمال التمثيلية التي قدمها النقاش لاقت بعض النجاح، إلا أن هذا الفن لم يتطور كثيرا إلا عندما انتقل إلى مصر. عندئذ بدأ يشهد نهضة مسرحية كبيرة ومتطورة. فقام يعقوب بن صُنُوع، والمعروف بـ أبو نضَّارة بتأسيس مسرح عربي عام ١٨٦٩م بالقاهرة. فقام باقتباس مسرحيات من المسرح الأوروبي كسابقه بعد تطويعها وتحويلها بحيث تعالج بعض محتويات الحياة المصرية عن طريق النقد الفكاهي الجريء.

ثم ألف يعقوب فرقة من الشباب المصري، وأطلق عليها فرقة الكوميديا من عام ١٨٧٠-١٨٧٢م. قدمت خلال هذه الفترة حوالي ثلاثين مسرحية.

٤- في عام ١٨٨٤م قدم إلى مصر أبو خليل القباني –ويعد من أوائل منشئي المسرح التمثيلي العربي في الشام ومصر- وأنشأ فرقته الأولى في القاهرة بعد أن طاردته السلطات العثمانية في دمشق لمحاولته إقامة مسرح عربي هناك.

٥- بنشأة هذه المسارح في هذه الفترة كانت البداية الحقيقية للتمثيل في العصر الحديث، وامتد هذا حتى بلغ بعض الأقطار العربية الأخرى لكنه متأخر بعض الشيء. وعلى سبيل المثال دولة البحرين التي قدمت أول عمل مسرحي عام ١٩٢٥م ثم وجد المسرح في العراق ثم الكويت، حتى انتشر التمثيل في سائر الأقطار، فلا يكاد يوجد قطر عربي أو أجنبي إلا وفيه الوسائل التي من خلالها يتم عرض التمثيل [١].

هذا باختصار عرض سريع لنشأة التمثيل في الماضي والحاضر.

المبحث الثاني: أهداف التمثيل:

للتمثيل أهداف كثيرة تختلف باختلاف المقاصد والغايات، وتتنوع حسب المناهج والأساليب والموضوعات. ويمكن إجمال تلك الأهداف فيما يأتي:

١- إيصال المعلومات إلى ذهن المشاهد، فهو وسيلة تثقيفية. ومما يميز هذه الوسيلة أنها أقدر على إيصال المعلومة إلى ذهن الفرد، كما أنها أقدر على الإيصال إلى مختلف المستويات الذهنية، فغير القارئ ، والقارئ بطيء أو ضعيف الفهم سيجدون أن التمثيل أجود إيضاحا للمقصود وفهمه. كما أن التمثيل أرسخ في الذهن من كتاب يقرؤه أو محاضرة يسمعها.

٢- الاتصال بين الثقافات المختلفة، والديانات المتنوعة، والعادات المتفرقة.

حيث يتصل الناس عبر التمثيل بالآخرين، ويتعرفون على ثقافاتهم وديانتهم، وعاداتهم.

---

(١) ينظر: نشأة التمثيل في العصر الحديث في التمثيل والتمثيلية ص ١١٨-١٢٦، و في رحاب المسرح ص ٢١، وفن التمثيل المسرحي ص ٤٣، والتمثيل لبكر أبو زيد ص٢٣.

٣- التوعية والتوجيه. إذ يمكن من خلال العرض التمثيلي تجسيم الأخطاء والرذائل وبيان شرها لتجنبها، وتمجيد الفضائل والدعوة إليها للأخذ والاستمساك بها بشكل مرن مقبول سريع التأثير.

٤- طرح قضايا الناس، ومعالجة مشكلاتهم. فمن خلال التمثيل يمكن طرح القضايا التي تهم الناس في معاشهم وشؤونهم الدنيوية.

٥- إشغال أوقات الفراغ، فكثير من المجتمعات تعاني من بطالة أفرادها، مما يولد فراغا في الأوقات، فيأتي التمثيل لإشغال فراغ الناس[١].

هذه أبرز أهداف التمثيل، وهي في الظاهر أهداف مشروعة أو مباحة إلا أن هناك أهدافا للتمثيل خطيرة، والواقع يشهد أن هذه الأهداف الخطيرة السيئة هي الأكثر وصولا للناس؛ لأن هناك عصابات تعمل على تحقيق هذه الأهداف وتسعى ليلا ونهارا سرا وجهارا لإيصال هذا النوع من التمثيل للمشاهدين فمن هذه الأهداف السيئة الخطيرة:

أولاً: نشر الفجور، وإشاعة الرذيلة والفساد، والترويج لذلك، وإثارة الشهوات، والتعود على مشاهدة المنكرات وتحطيم الأخلاق الحسنة.

ثانياً: الدعوة إلى الجريمة والعنف، وتوضيح السبل والطرق الموصلة إليها، والاستهانة بالدماء وقتل الأنفس.

ثالثاً: الدعوة إلى التقريب بين الأديان، والتأصيل لهذا الفكر وإشاعته بين المسلمين.

رابعاً: تحريف الحقائق التاريخية، وتشويه أعلام المسلمين، وتزييف المعلومات.

---

(١) ينظر: أهداف التمثيل في التمثيل تمثيل، فلماذا التمثيل ص ١٥ وما بعدها، وحكم ممارسة الفن في الشريعة الإسلامية ص ٢٨٦-٢٨٨.

خامساً: حرب الإسلام عن طريق المرأة، إذ حاربوا الإسلام بمحاربة الحجاب، والتفضيل في الميراث، والقوامة ونحوها، فنبذت المرأة الحجاب، وطالبت المساواة في الميراث بين البنين والبنات، ورفضت طاعة الزوج بالمعروف. وما كان هذا ليحدث في المجتمعات المسلمة لولا هذه الحرب الضروس من وسائل الإعلام التي فتحت أبوابها لتلك التمثيليات والمسرحيات التي تحارب مبادئ الإسلام وثوابته.

المبحث الثالث: أنواع التمثيل:

يتنوع التمثيل باعتبارات مختلفة يمكن حصرها في ثلاث اعتبارات:

الأول: باعتبار الموضوع.

الثاني: باعتبار الأسلوب والطريقة المستعملة.

الثالث: باعتبار وسيلة العرض.

وسأتناول في هذا المبحث أنواع التمثيل حسب هذه الاعتبارات.

أولا: أنواع التمثيل باعتبار الموضوع.

يتنوع التمثيل باعتبار الموضوع إلى أربعة أنواع:

النوع الأول: الموضوع الاجتماعي: وهذا النوع هو أغلب أنواع التمثيل انتشارا، حيث يتناول بالطرح قضية اجتماعية، كالفقر والزواج والبطالة ونحوها من القضايا الاجتماعية الكثيرة [1].

النوع الثاني: الموضوع الديني. وهذا النوع يعد أخطر الأنواع، إذ يمكن من خلاله تحريف الحقائق الدينية.

والعمل الديني في التمثيل ليس قصرا على العرب، بل يكثر ويتضاعف

---

(١) ينظر: السينما والتربية ص ١٥٤.

عند غيرهم من الأمم وخاصة الغرب [١].

وعند التأمل فيما أنتجته المؤسسات الفنية من تمثيليات دينية يمكن تصنيفها كما يأتي:

١- الأعمال الدينية التي اعتنت بظهور الإسلام، وانتصاره على الشرك وأهله. ومن أبرز هذه الأعمال: فيلم الرسالة، وبيت الله الحرام، وظهور الإسلام، وفجر الإسلام، والشيماء، وهجرة الرسول.

وبالنظر إلى هذه الأعمال نجد أن فيها مخالفات شرعية كثيرة كتمثيل أدوار الكفار، والحلف باللات والعزى، وتصوير للصحابة، كعمار بن ياسر، وأبيه وأمه، وبلال، وابن مسعود، والعري الظاهر في بعض هذه الأعمال ورقص النساء وعدم الاحتشام وغيرها.

٢- الأعمال الدينية التي هي أشبه ما تكون بأعمال تأريخية، كالتي تناولت قصص الصحابة والتابعين والعلماء، مثل: بلال مؤذن الرسول، وخالد بن الوليد، ومسلسل عمر بن عبد العزيز، ونحوها.

وبالنظر إلى هذه الأعمال نلاحظ التشويه الحقيقي لكثير من هذه الشخصيات، حيث يظهر بلال مؤذن الرسول - ﷺ - حليق اللحية، كما تظهر امرأته متبرجة بين الرجال.

٣- الأعمال الدينية التي تقدم القصص القرآني، كقصة أهل الكهف، وأصحاب الأخدود وأصحاب الفيل.

وهذه الأعمال غالبا ما تكون مسلسلات أو مسرحيات إذاعية أو تليفزيونية. ولا تسلم هذه الأعمال من مخالفات شرعية غالبا ما تكون بظهور

---

(١) ينظر: صورة الأديان في السينما المصرية ص ١٥٤.

المرأة متبرجة مختلطة بالرجال [١].

النوع الثالث: الموضوع التأريخي.

وهو العمل الذي تدور أحداثه في الماضي، سواء أكان الماضي بعيدا أو قريبا [٢].

وهذه الأعمال قلما تسلم من التشويه والتزييف لحقائق تأريخية.

وثمت اشتراك وتداخل بين العمل التاريخي والعمل الديني في حدود التأريخ، ويفرق بينهما بأن ما كان يقف عند شخصية أو حادثة تأريخية بصرف النظر عن دورها الديني أو عقيدتها فإنها تدخل تحت مسمى العمل التأريخي، وما كان متخصصا في موضوع العقيدة أو البعثة أو الرسالة ونحوها فإنها أعمال دينية [٣].

النوع الرابع: الموضوع السياسي.

وهو ما كان مصورا لواقع سياسي متزامن مع وقت إنتاج ذلك العمل. وغالبا ما يكون الهدف من هذا العمل نقد السياسة كما حدث هذا أثناء تطبيع العلاقة مع إسرائيل والتي قادها الرئيس المصري السابق أنور السادات، حيث أنتجت أفلام ضد التطبيع منها: مهمة في تل أبيب، وثمانية وأربعون ساعة في إسرائيل، وإعدام ميت [٤].

ثانيا: أنواع التمثيل باعتبار الأسلوب والطريقة المستعملة.

يمكن تقسيم التمثيل بهذا الاعتبار إلى ما يأتي:

---

(١) ينظر: المسرح الإسلامي ص ٣٢٦، وصورة الأديان في السينما المصرية ص ٤٤ وما بعدها.

(٢) ينظر: الفيلم التاريخي في مصر ص ٨-٩.

(٣) ينظر: صورة الأديان في السينما المصرية ص ٤٣.

(٤) ينظر: الفيلم السياسي ص ١١، ١٦، ٧٣، ٣٠٧، والسينما والتربية ص ٩٨-٩٩.

أولا: التراجيديا، وهي محاكاة فعل مهم كامل، له حيز مناسب، بلغة لها متعة أو بطريق الفعل لا بطريق السرد، بهدف إثارة الشفقة والفزع؛ لكي تصل بهذين الشعورين إلى درجة النقاوة والصحة [١].

فالمقصود بالتراجيديا إذن التمثيلية المحزنة.

ثانيا: الكوميديا: وهي محاكاة لأفعال أناس سيئين لا من ناحية كونهم متصفين برذيلة أو أخرى، بل من ناحية كونهم مضحكين.

فالكاتب الكوميدي يختار أن يضحك المشاهدين فيختار حماقة من حماقات البشر، أو يثير البهجة في نفوسهم بدلا من أن يبكيه، كما هو الحال والشأن في التراجيديا، فالموقف الكوميدي بكل صورة غالبا ما يكون من ورائه فكرة أو احتجاج أو هدف يثير التفكير، ويستدعي المناقشة [٢].

ثالثا: الميلو دراما:

ويقصد بها الدراما الموسيقية، أي: الدراما التي تصحبها دائما موسيقى كتبت خصيصا لها. ويمكن القول بأن ملامح الميلو دراما كانت موجودة منذ قديم الزمان. ومن أوضح معالم الميلو دراما مراعاة العدالة الأخلاقية بدقة شديدة إلى درجة المثالية أحيانا مما اعتبرها النقاد أسوأ أنواع الدراما وأقلها قيمة حيث توصم بالمبالغة في السلوك، والتزييف في العواطف [٣].

رابعا: الفارس:

والفارس نوع متطرف من الكوميديات، يثار فيها الضحك على حساب الاحتمالات، وعلى الأخص الحركة المبالغ فيها، أو الاشتباك الجسماني

---

(١) ينظر: المسرحية الإسلامية في الأدب المصري ص ١٣-١٤.

(٢) ينظر: الأسس في فن التمثيل ص ٦٧.

(٣) ينظر: البناء الدرامي ص ٥٤-٥٥.

حيث إن الشخصيات تتصارع مع قوة مضحة [١].

ثالثا: أنواع التمثيل باعتبار دار العرض.

يتنوع التمثيل باعتبار دار العرض إلى أربعة أنواع:

النوع الأول: التمثيل المسرحي.

النوع الثاني: التمثيل السينمائي.

النوع الثالث: التمثيل الإذاعي.

النوع الرابع: التمثيل التلفزيوني.

وهي من حيث الترتيب الزماني كما ذكرت، أما من حيث الأكثر انتشارا في هذا الزمان فهو التمثيل التلفزيوني، وذلك لدخول هذا الجهاز في أغلب بيوت الناس في هذا الزمان، والله المستعان.

---

(١) ينظر: قضايا المسرح المعاصر ص ٢٥، وحكم ممارسة الفن ص ٢٨٩-٢٩٠.

الفصل الثالث
حكم التمثيل

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الحكم الإجمالي للتمثيل

المبحث الثاني: الحكم التفصيلي للتمثيل

المبحث الأول: الحكم الإجمالي للتمثيل:

اختلف العلماء المعاصرون في حكم التمثيل إذا خلا من محرم على قولين:

القول الأول: إباحة التمثيل بشرط خلوه من المحرمات، وبه قال جمع من أهل العلم منهم: محمد رشيد رضا [(١)]، وعبد الله بن حميد، ومحمد بن عثيمين، وعبد الله الجبرين، وغيرهم [(٢)].

واستدلوا بالأدلة الآتية:

الدليل الأول: البراءة الأصلية، وهي الإباحة، إذ إن التمثيل ليس من العبادات وإنما هو من العادات، والأصل في العادات الإباحة ما لم يوجد دليل يحرم، ولا يوجد دليل شرعي صحيح صريح يدل على المنع.

ثم إن التمثيل كان معروفا عند الأمم السابقة كالرومان واليونان، ولم يتعرض له الإسلام بإلغاء أو منع، فيبقى على الأصل وهو الإباحة[(٣)].

ونوقش هذا الدليل بعدم التسليم، إذ توجد أدلة كثيرة تدل على تحريم التمثيل، كما سيأتي بيانها في أدلة القول الثاني.

وأجيب عن هذه المناقشة بأن الأدلة التي استدل بها القائلون بالتحريم ليست صريحة في المنع، وليست واردة على التمثيل لذاته، ولكن لما يتضمنه من محرمات، وهذا بالاتفاق مجمع على تحريمه [(٤)].

الدليل الثاني: القياس على ما وقع للملائكة الكرام -وهم المعصومون

---

(١) ينظر: فتاوى رشيد رضا ٣/ ١٠٩١.

(٢) ينظر: حكم التمثيل في الدعوة إلى الله ٧٧، ٨٥، ٨٩.

(٣) ينظر: ظاهرة فن التمثيل ص ٢٥.

(٤) ينظر: حكم ممارسة الفن في الشريعة الإسلامية ص٣٣٦-٣٣٧.

بعصمة الله لهم- من أحداث حصل فيها تمثيل واضح وتقمص لشخصيات أخرى. وكفى بذلك حجة ودليلا؛ إذ أنهم الكرام البررة وما فعلوه إلا بأمر الله ووحيه لهم. وقد قص الله علينا أخبارهم في القرآن، وبينه لنا النبي ﷺ في سنته لأجل العبرة والعظة [١].

وقد جاءت في ذلك نصوص كثيرة، منها:

١- تمثيل جبريل عليه السلام لمريم بشرا سويا، كما قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾[٢].

٢- ومن ذلك أن الملائكة جاءوا إلى إبراهيم -عليه السلام- في صورة بشر[٣].

٣- وجاء إلى لوط في صورة شباب حسان الوجوه[٤].

٤- ومنها ما قصه الله تعالى من تمثيل الملائكة لنبيه داود – عليه السلام- كما في قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾.. الآيات[٥].

قال الزمخشري: «كان تحاكمهم – في نفسه – تمثيلا، وكلامهم تمثيلا؛ لأن التمثيل أبلغ في التوبيخ»[٦].

٥- قصة مجيء جبريل – عليه السلام- إلى رسول الله ﷺ في صورة أعرابي

---

(١) ينظر: التمثيل تمثيل ص ٣٤-٣٨، وفن التمثيل ٧-٨، وحكم ممارسة الفن في الشريعة الإسلامية ص ٢٩٤.

(٢) الآية ١٧ من سورة مريم.

(٣) ينظر: الآيات ٥١-٦٠ من سورة الحجر.

(٤) ينظر: الآيات ٦١-٧٧ من سورة الحجر.

(٥) الآيات ٢١-٢٥ من سورة ص.

(٦) ينظر: الكشاف ٣/ ٣٦٩

شديد بياض الثياب... الحديث [١].

فهذه الأدلة وغيرها كثير تدل على أن الملائكة الكرام قاموا بتمثيل ما أمروا أن يفعلوه، وهو أشبه بتصوير المسألة والغرض لها. فصوروها في أنفسهم وكانوا في صورة الأناسي [٢].

ونوقش هذا الدليل بأنه قياس مع الفارق إذ إنه قياس ما ورد في عالم الغيب على عالم الشهادة، فيكون القياس باطلا لاقتصار العلة على محلها في عالم الغيب، وعدم توفر شروط القياس. قال الشيخ بكر أبو زيد: «فقياس عالم الشهادة على عالم الغيب في ذلك قياس فاسد؛ لأنه قياس تشكل جزئي وهمي كاذب (التمثيل) على تشكل كلي حقيقي صادق (تشكل الملائكة)؛ ولأن العلة الجامعة قاصرة على محلها في عالم الغيب، وتوفرها في طرفي القياس ركن في صحته، وفقدانها هنا ظاهر فضلا عن شرط تساويهما في الفرع والأصل، ولو وجدت فهي مفقودة أصلا في النوع المقيس. ولو اشتركا في العلة فشرطها: أن تكون بوصف ظاهر وليست في عالم الغيب كذلك [٣].

وأجيب عن هذه المناقشة من وجهين:

الوجه الأول: أن التمثيل في هذه الأدلة كان من الملائكة وهم من عالم الغيب، ولكن الأحداث والوقائع كانت في عالم الشهادة، فتأخذ أحكام الشهادة.

الوجه الثاني: أن عمل الملائكة تمثيل لا حقيقة، وقد وقع منهم ذلك

---

(١) متفق عليه، فقد أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: سؤال جبريل النبي عن الإيمان، حديث رقم: ٥٠ ومسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: تعلم الإيمان والإسلام والإحسان، حديث رقم: ٨.

(٢) ينظر: الكشاف ٣/ ٣٦٩.

(٣) ينظر: التمثيل لبكر أبو زيد ص ٥٢-٥٤.

لحكم وعلل وأغراض صحيحة، ونحن لا نجيزه لعالم الشهادة إلا لأغراض صحيحة [١].

الدليل الثالث: القياس على ما وقع للأنبياء السابقين – عليهم الصلاة والسلام- من تمثيل مما قصه الله على نبيه في القرآن الكريم، ومنه:

١- ما وقع لإبراهيم عليه السلام من مناظرة مع قومه كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ﴾ الآيات [٢].

وجه الاستدلال: أن إبراهيم – عليه السلام – لم يقم لهم واعظا وناصحا بالكلام فقط، بل قام بهذا العمل الشبيه بما يسمى اليوم التمثيل؛ ليدلهم على صدق ما يقول، فأوهمهم – من باب المناظرة لا النظر- أنه لا يعرف ربه، وأنه ربما كان هذا الكوكب أو ذاك القمر أو تلك الشمس، فلما أفلوا جميعا ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ[٣]﴾ [٤].

٢- ما وقع ليوسف – عليه السلام- مع إخوته كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾ [٥].

وجه الاستدلال: أن يوسف عليه السلام وضع السقاية في رحل أخيه في قصة تمثيلية فعلية، ولم يكن إخوته سارقين، حتى من وجدت السقاية في

---

(١) ينظر: حكم ممارسة التمثيل في الشريعة الإسلامية ص ٢٩٨.

(٢) الآيات ٧٦-٧٩ من سورة الأنعام.

(٣) الآية ٧٨ من سورة الأنعام.

(٤) حكم التمثيل في الدعوة إلى الله ص١٤.

(٥) الآية ٧٠ من سورة يوسف.

رحله لم يكن سارقا [١].

الدليل الرابع: القياس على ما ورد عن نبينا محمد - ﷺ- من حكاية وتمثيل، ومن ذلك:

١- عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: لما قسم رسول الله - ﷺ- غنائم حنين بالجعرانة ازدحموا عليه فقال رسول الله - ﷺ-: «إن عبدا من عباد الله بعثه الله إلى قوم فكذبوه وشجوه، فكان يمسح الدم عن جبينه ويقول: اللهم اغفر لقومي؛ فإنهم لا يعلمون» قال ابن مسعود:«فكأني أنظر إلى رسول الله - ﷺ- يمسح الدم عن جبينه يحكي الرجل ويقول رب اغفر لقومي؛ إنهم لا يعلمون» [٢].

وجه الاستدلال: إن حكاية النبي - ﷺ- لفعل نبي من الأنبياء دليل واضح على جواز الحكاية، وهل التمثيل إلا حكاية وأحداث ؟ [٣]

٢- عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي - ﷺ- قال: «ما يسرني أن عندي مثل أحد هذا ذهبا تمضي علي ثلاثة أيام وعندي منه دينار، إلا شيء أرصده لدين، إلا أن أقول به في عباد الله هكذا، وهكذا، ،هكذا، عن يمينه وعن شماله ومن خلفه» [٤].

وجه الاستدلال: أن النبي - ﷺ- لم يكن في يده شيء، وكان بإمكانه أن

---

(١) ينظر: التمثيل تمثيل ص ٢٨.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ١/ ٤٢٧، ٤٣٥، والبخاري في الأدب المفرد ص١٩٨.

(٣) ينظر: حكم التمثيل في الدعوة إلى الله ص٥١-٥٢، وحكم ممارسة الفن في الشريعة الإسلامية ص٣٠٢.

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري في الرقاق، باب: قول النبي ﷺ ما يسرني أن عندي مثل أحد هذا ذهباً ص١١١٨، حديث رقم ٦٤٤٤، ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب: الترغيب في الصدقة ص٤٠١، حديث رقم ٢٣٠٤.

يقول ما أراد توضيحه باللفظ، ولكنه آثر أن يبين مراده بالحركة و التمثيل؛ لأنه أبلغ في الإيضاح والتأثير[١].

الدليل الخامس: إن التمثيل من باب ضرب الأمثال وهو مباح [٢]، قال تعالى:﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٣].

وفي القرآن أمثلة كثيرة منها قوله تعالى:﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾[٤]. وقوله: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ﴾[٥] وقوله:﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾[٦].

فدل ذلك على إباحة التمثيل سواء أكان ذلك لأمر واقع أو لم يقع [٧].

ونوقش هذا الدليل من وجهين:

الوجه الأول: أن ضرب المثل في القرآن بالقول بخلاف التمثيل إنما هو حكاية بالفعل، فكيف يقاس هذا على هذا مع عدم تطابقهما [٨].

ويجاب عن هذا الوجه بأن ما جاز بالقول جاز بالفعل والعكس صحيح،

---

(١) ينظر: التمثيل تمثيل ص ٦٣.
(٢) ينظر: حكم التمثيل في الدعوة إلى الله ص ٤٢.
(٣) الآية ٢١ من سورة الحشر.
(٤) الآية ٢٩ من سورة الزمر.
(٥) الآية ٧٥ من سورة النحل.
(٦) الآية ٢٤ من سورة إبراهيم.
(٧) ينظر: حكم ممارسة الفن في الشريعة الإسلامية ص ٣٠٧.
(٨) ينظر: التمثيل لبكر أبو زيد ص ٥١.

وكثيرا ما يرد في الشريعة أن الفعل يأخذ حكم القول كما في العقود حيث جعل جمهور الفقهاء حكم الصيغة الفعلية كحكم الصيغة القولية [١].

الوجه الثاني: أن الأمثال في القرآن الكريم قد تنوعت، فضرب المثل بالأعمى والأصم، والعنكبوت، ورؤوس الشياطين، والكلب، والحمار، والأنعام، والعبد المملوك، ونحو ذلك. فهل يقول المستدل على جواز التمثيل بضرب الأمثال بجواز تمثيل كل هؤلاء؟ هل يقول بجواز تمثيل المسلم دور الشياطين، والكلاب، والحمير، والأنعام [٢].

ويجاب عن هذا الوجه من المناقشة بأنه إلزام لا يلزم، فالقائلون بجواز التمثيل إنما أجازوا التمثيل بشرط خلوه من المحرمات [٣].

الدليل السادس: أن التمثيل من باب إيراد القصص، وقد قص الله علينا القصص في القرآن للعظة والعبرة، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾[٤]، وقال: ﴿ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٥]، فقد أباح الله إيراد القصة لتوجيه الناس واتعاظهم وأخذ العبرة، فإن كانت القصة كذلك جاز إيرادها ممثلة؛ لأنها أوقع في نفس المشاهد إذا اقترنت الصورة بالكلام.

ونوقش هذا الدليل بأن جعل القصة تمثيلا، و التمثيل قصة هروب من محل النزاع[٦]، فليس المحظور هنا القصة، وإنما تمثيلها، ولكل منهما خصائصه.

---

(١) ينظر: صيغ العقود في الفقه الإسلامي، للدكتور صالح الغليقة ص١٧٧.
(٢) ينظر: التمثيل لبكر أبو زيد ص ٥١.
(٣) ينظر: حكم ممارسة الفن في الشريعة الإسلامية ص ٢٩١.
(٤) الآية ١١١ من سورة يوسف).
(٥) الآية ١٧٦ من سورة الأعراف.
(٦) ينظر: حكم ممارسة الفن في الشريعة الإسلامية ص ٣٠٧.

خصائصه.

قال الشيخ بكر أبو زيد: «إن القصة تكتب فتقرأ وتقال فتسمع، بخلاف التمثيل فإن من باب الفعل والحكاية، ويجوز في القول مالا يجوز في الفعل»[١].

ويجاب عنه بما سبق بيانه بأن ما جاز بالقول جاز بالفعل[٢].

القول الثاني: حرمة التمثيل مطلقا، وبه قال جماعة من أهل العلم منهم الشيخ عبد العزيز بن باز، والألباني[٣]، وعبد الله الغماري[٤]، وأحمد الغماري[٥]، وصالح بن فوزان الفوزان[٦]، وبكر أبو زيد[٧] وغيرهم.

واستدلوا بالأدلة الآتية:

الدليل الأول: أن التمثيل مبني على الكذب؛ إذ كل ما يظهر على المسرح من أشخاص وأعمال وأقوال فهو افتراض بدعوى أنه يمثل عصر كذا أو قصة كذا، وكل كذب حرام ملعون فاعله بنص القرآن، وليس التمثيل من الأمور التي جوز الشرع الكذب فيها[٨].

ونوقش هذا الدليل من وجهين:

الوجه الأول: ما قاله الشيخ محمد بن عثيمين –رحمه الله –:«إن هذا ليس

---

(١) كتاب التمثيل ص ٥١.

(٢) ينظر: ص ٢١٩ من هذا البحث.

(٣) ينظر: البيان المفيد عن حكم التمثيل والأناشيد ص ٩.

(٤) إزالة الالتباس عما أخطأ فيه كثير من الناس ص ٣٢.

(٥) ينظر: كتاب التنكيل والتقتيل لمن أباح التمثيل ص ٣٧.

(٦) ينظر: البيان المفيد عن حكم التمثيل والأناشيد ص ٤٩.

(٧) ينظر: التمثيل لبكر أبو زيد ص ٢٧.

(٨) ينظر: إزالة الالتباس ص ٣٤، و التمثيل لبكر أبو زيد ص ٣٢.

بكذب؛ لأن هذا الممثل لا يقول أنا عين فلان، ولكن يقول: أنا أقوم بعمل يشبه عمله» [١]، والمشاهدون يعرفون هذا [٢].

الوجه الثاني: أن التمثيل ليس من الكذب المحرم المنهي عنه، بل هو من الكذب المرخص فيه الذي استثناه النص بقول النبي – ﷺ-: «ليس الكذاب الذي بين الناس فيقول خيرا وينمي خيرا» [٣] و التمثيل إصلاح والممثل مصلح بين الناس، إذ هو في حقيقته علاج لكثير من مشاكل الناس وأمراضهم [٤].

الدليل الثاني: أن التمثيل من التشبه بالكفار؛ لأنه لم يعرف إلا عن طريقهم، ومنهم ابتدأ فعله، والدين مبني على مخالفتهم والابتعاد عن التشبه بهم، فعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله – ﷺ-: «من تشبه بقوم فهو منهم» [٥] فالتشبه بالكفار إذا حرام، فيكون التمثيل حراما [٦].

ونوقش هذا الدليل بأن ليس كل ما ابتدأ الكفار فعله كان فاعله متشبها بهم، والضابط في التشبه المحرم هو ما كان مختصا بهم. وليس التمثيل مما اختصوا به مثله، مثل الندوات والمؤتمرات، والمسابقات، والجمعيات والمراكز،

---

(١) ينظر: البيان المفيد عن حكم التمثيل والأناشيد ص ١٢، وحكم التمثيل في الدعوة إلى الله ص ٧٧.

(٢) ينظر: حكم ممارسة الفن في الشريعة الإسلامية ص ٣١٦.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلح، باب: ليس الكاذب الذي يصلح بين الناس ص ٤٣٩، حديث رقم: ٢٦٩٢.

(٤) ينظر: حكم ممارسة الفن في الشريعة الإسلامية ص ٣١٨.

(٥) أخرجه أحمد في مسنده ٢/ ٥٠، وأبو داود في سننه، كتاب اللباس، باب: لبس الشهرة ص ٥٦٩، حديث رقم: ٤٠٣١.

(٦) ينظر: حكم ممارسة الفن في الشريعة الإسلامية ص ٣١٨.

وغيرها مما يشترك فيه الجميع، ولا يختص به الكفار [١].

الدليل الثالث: أن التمثيل لهو، وكل لهو باطل يحرم الاشتغال به؛ لأنه عبث، وقد قال رسول الله – ﷺ –: «كل لهو لها به المؤمن باطل إلا رميه عن قوس وأدبه فرسه، وملاعبته أهله» [٢]، و التمثيل ليس واحدا من هذه الثلاثة، فيكون باطلا [٣].

ونوقش من وجهين:

الوجه الأول: أن مجرد اللهو واللعب إذا خلا من المحرم، ليس محرما، بدليل أن الدنيا جميعها لهو ولعب كما قال الله: ﴿ اَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾[٤]، وإلا لزم أن يكون جميع ما في الأرض محرماً. كما أن كلمة باطل لا تدل على التحريم [٥].

الوجه الثاني: أن التمثيل ليس كله من قبيل اللهو واللعب، بل منه التمثيل الهادف الذي يحكي أمجاد المسلمين وبطولاتهم، ويدعو إلى أخلاق الإسلام وتعاليمه، ويحذر من الأخلاق السيئة والعادات المضرة، ويعلّم المشاهدين كثيرا من أحكام الدين [٦].

هذه أبرز أدلة أصحاب القول الثاني، وهناك أدلة أخرى لهم لكني

---

(١) ينظر: المرجع السابق ص ٣١٨.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٤/ ١٤٨، والنسائي في سننه كتاب الخيل، باب: تأديب الرجل فرسه ص ٥٠٥، حديث رقم: ٣٦٠٨، وأبو دود في سننه، كتاب الجهاد، باب: في الرمي ص ٣٦٤، حديث رقم: ٢٥١٣.

(٣) ينظر: حكم ممارسة الفن في الشريعة الإسلامية ص ٣١٩.

(٤) الآية ٢٠ من سورة الحديد.

(٥) ينظر: نيل الأوطار ٨/ ٢٧٠.

(٦) ينظر: حكم ممارسة الفن في الشريعة الإسلامية ص ٣٢٠.

اكتفيت بأقواها عندي [١].

الترجيح:

وبعد عرض قولي العلماء في المسألة، وبيان أدلتهم ومناقشة ما يحتاج منها للمناقشة تبين لي – والله أعلم بالصواب – رجحان القول الأول القاضي بإباحة التمثيل إذا خلا من محرم، وذلك لقوة أدلته وضعف أدلة القول الثاني، وقد تبين ضعفها أثناء مناقشتها.

(١) للاستزادة من الأدلة ينظر: المرجع السابق ص ٣١٦-٣٣٤.

المبحث الثاني
الحكم التفصيلي للتمثيل

وفيه ستة مطالب

المطلب الأول: حكم تمثيل الذات الإلهية

المطلب الثاني: حكم تمثيل الأنبياء والرسل

المطلب الثالث: حكم تمثيل الملائكة

المطلب الرابع: حكم تمثيل الصحابة

المطلب الخامس: حكم تمثيل الأئمة والعلماء

المطلب السادس: حكم تمثيل القصص القرآني

المطلب الأول: حكم تمثيل الذات الإلهية:

اتفقت آراء العلماء على تحريم تمثيل الذات الإلهية، وذلك لأدلة كثيرة، أكتفي منها بدليلين:

الدليل الأول: أن تمثيل الذات الإلهية يتنافى تنافيا تاما مع عظمتها إذ إن تصوير الذات في الواقع فرع من تصورها في الذهن، ولا يجوز تصور ذات الله سبحانه وتعالى، حيث نفى عن نفسه مشابهة شيء من مخلوقاته: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1]، وإذا لم يمكن تصور الذات الإلهية في الذهن -حيث لا مثال يمكن قياسها عليه- فكيف يمكن تمثيلها، هذا من أكبر الكبائر وأعظم الذنوب.

الدليل الثاني: أن تمثيل الذات الإلهية مدعاة للإلحاد بالله -سبحانه وتعالى- كما أنه مدعاة للسخرية بالإله والاستهزاء به، وهذا رأس الكفر.

لذلك فلا يجوز لمؤمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقدم على هذا العمل، فيمثل الذات الإلهية، بدعوى المصلحة أو تقريب الصورة للأذهان. ولم ينقل -ولله الحمد- أن أحدا من أبناء الإسلام تجرأ على هذا العمل[2]، وغاية ما حصل هو وقوعه من غير المسلمين، أو ممن ينتحل الإسلام دون الالتزام بأحكامه، فهو مسلم بالاسم فقط، مثل ما قام به أحد المخرجين العالميين محاولا إظهار صوت الرب -جل وعلا- عند مناداته لنبيه موسى -عليه السلام- عند الطور وتكليمه إياه[3].

---

(١) الآية ١١ من سورة الشورى.

(٢) ينظر: التمثيل والتمثيلية، لزكي كليمات ص ١٠١، ١٠٢.

(٣) ينظر: مجلة البحوث الإسلامية، العدد الأول ص ٢٣٢.

المطلب الثاني: حكم تمثيل الأنبياء والرسل - عليهم السلام- :

اتفق العلماء المعاصرون على تحريم تمثيل الأنبياء والرسل -عليهم السلام- بصفة عامة، ونبينا محمد -ﷺ- بصفة خاصة. وأنه لا عبرة بخلاف من قال بجواز ذلك؛ معللا قوله بأنه لا يخرج عن كونه درس وعظ على طريقة التأثير النافع الذي ينشده مشاهير الوعاظ [١].

وبتحريم هذا الأمر صدرت فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية [٢]، وبه صدر قرار مجلس المجمع الفقهي الإسلامي بمكة المكرمة [٣].

وسند هذا الاتفاق أدلة كثيرة، منها:

الدليل الأول: أن تمثيل الأنبياء والرسل سيؤدي إلى الكذب عليهم؛ لأن التمثيل ليس إلا ترجمة للأحوال والأقوال والحركات والسكنات، ومهما يكن في الممثلين من دقة وإتقان، فلا مناص من زيادة أو نقصان، وهذا سيجر طوعا أو كرها إلى الكذب على الأنبياء، والكذب عليهم كذب على الله، وهو كفر وبهتان، وقد قال النبي - ﷺ- «إن كذبا علي ليس ككذب على أحد، فمن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار[٤]»[٥].

الدليل الثاني: أن تمثيل الأنبياء ازدراء وتنقص لهم، وغض من قدرهم،

---

(١) ينظر: فتاوى محمد رشيد رضا ٤/ ١٤١٨.

(٢) ينظر: مجلة البحوث الإسلامية، العدد الأول ص ٢١٦.

(٣) القرار السادس.

(٤) متفق عليه، فقد أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجنائز، باب: ما يكره من النياحة على الميت ص ٢٠٦، حديث رقم: ١٢٩١، ومسلم في صحيحه في المقدمة، باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ ص٨، حديث رقم: ٤.

(٥) ينظر: الشريعة الإسلامية والفنون ص٣٨٠.

وذلك لما استقر في نفوس البشر من إجلال وهيبة وتعظيم لهم، ولو قيل إنه لا نقيصة فيه ولا مهانة فيبقى أنه ذريعة ووسيلة لاقتحام حمى الأنبياء وابتذالهم [١].

الدليل الثالث: أنه إذا كانت ثمة مصلحة في تمثيل الأنبياء والرسل إلا أن المفسدة في تجسيد النبي عظيمة، والخطر أفدح. والقاعدة الشريعة: أن درأ المفاسد مقدم على جلب المصالح [٢].

المطلب الثالث: حكم تمثيل الملائكة:

الملائكة هم: عالم غيبي مخلوقون عابدون لله تعالى، وليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء، خلقهم الله تعالى من نور ومنحهم الانقياد التام لأمره والقوة على تنفيذه [٣].

وتمثيل الملائكة عمل لا يجوز [٤]، وفعل منكر لا يقدم عليه إلا من لا خلاق له، وذلك للأدلة الآتية:

الدليل الأول: أن الملائكة عالم غيبي لا يستطيع البشر مهما أوتوا من ذكاء وفطنة أن يدركوا هيئة الملائكة التي خلقهم الله عليها، ولم يعلم أن أحدا رآهم إلا الأنبياء، أما غيرهم فلم يثبت لهم ذلك، وبناء عليه فسيكون تصورهم في عمل تمثيلي متخيلا لا علاقة له بالواقع، وفي ذلك تهوين وتشويه لصورتهم الحقيقية العظيمة التي خلقهم الله عليها.

الدليل الثاني: إنه إذا تقرر في المطلب السابق تحريم تمثيل الأنبياء والرسل، فكذلك أيضا الملائكة؛ لمنزلتهم العظيمة عند الله تعالى.

---

(١) ينظر: حكم التمثيل في الدعوة إلى الله ص ٦٦، ٦٧.

(٢) ينظر: بحوث وفتاوى إسلامية في قضايا معاصرة ٣/ ٢٤٣.

(٣) ينظر: معجم ألفاظ العقيدة ص٣٨٦.

الدليل الثالث: أن تمثيل الملائكة يفتح باب شر عظيم، ويجر إلى تمثيل غيرهم من العالم الغيبي، كتمثيل الجنة، أو النار، أو عذاب القبر أو يوم القيامة إلى غير ذلك من عالم الغيب الذي أخبر الله عنه في كتابه أو في سنة نبيه محمد -ﷺ- لذلك كان الواجب سد هذا الباب وقطع ما يوصل إليه[١].

المطلب الرابع: حكم تمثيل الصحابة -رضوان الله عليهم- :

لما كان الصحابة -رضوان الله عليهم- أقل في المنزلة من الأنبياء والرسل والملائكة اختلف العلماء المعاصرون القائلون بجواز التمثيل في جواز تمثيل الصحابة على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنه لا يجوز تمثيل الصحابة مطلقا، كبارهم وصغارهم، وبهذا القول صدرت فتوى هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية[٢]، وهو قرار المجمع الفقهي التابع لرابطة العالم الإسلامي [٣]، واختاره الشيخ محمد بن عثيمين [٤].

واستدلوا بأدلة [٥]، منها:

الدليل الأول: ما لأصحاب رسول الله -ﷺ- من المكانة العليا في الإسلام بحكم معاصرتهم رسول الله -ﷺ- وقيامهم بواجب نصرته وموالاته، والتفاني في سبيل الله ببذلهم أموالهم وأولادهم ونفوسهم. فقد

---

(١) ينظر: المرجع السابق.

(٢) ينظر: مجلة البحوث الإسلامية، العدد الأول ص ٢٣٥.

(٣) ينظر: حكم التمثيل في الدعوة إلى الله ص ٧٨،٧٩ .

(٤) ينظر: حكم ممارسة الفن في الشريعة الإسلامية ص٣٣٨.

(٥) هذه الأدلة مأخوذة من قرار هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية، تنظر: مجلة البحوث الإسلامية، العدد الأول ص ٢٣٥، وفتوى اللجنة الدائمة للإفتاء في المملكة فتوى رقم: ٤٧٢٣.

اتفق أهل العلم على أنهم هم صفوة هذه الأمة وخيارها، وأن الله شرفهم وخصهم بصحبة رسوله -ﷺ- وأثنى عليهم في كتابه بقوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ﴾[1].

الدليل الثاني: أن تمثيل أي واحد منهم سيكون موضعا للسخرية والاستهزاء مع ما يقصده أرباب المسارح من جعل ذلك وسيلة إلى الكسب المادي، وأنه مهما حصل من التحفظ فسيشتمل على الكذب والغيبة، كما أن تمثيل الصحابة يضعهم في موضع مزري في أنفس الناس، فتزعزع الثقة بهم، ويقضي ذلك على مالهم من هيبة ووقار في نفوس المسلمين.

القول الثاني: تحريم تمثيل كبار الصحابة، كالخلفاء الراشدين، وبقية العشرة، والحسن والحسين، وجواز تمثيل من سواهم، كعكاشة بن محصن، وصهيب الرومي، والنعمان بن بشير، ونحوهم، وبهذا صدرت فتوى لجنة الأزهر[2].

واستدلوا بأدلة منها:

الدليل الأول: ما سبق ذكره من أدلة جواز التمثيل[3].

الدليل الثاني: نزول درجة صغار الصحابة عن كبارهم، فليس لهم من الوجاهة والحصانة ما يمنع تمثيلهم، أما الكبار فمنع من تمثيلهم قداستهم، ولما لهم من المواقف التي نشأت حولها الخلافات، وانقسام الناس إلى طوائف مؤيدين ومعارضين، بخلاف غيرهم ممن لم ينقسم الناس في شأنهم، فيجوز

---

(١) الآية ٢٩ من سورة الفتح.

(٢) ينظر: مجلة الأزهر عدد محرم عام ١٣٧٩هـ.

(٣) ينظر: الأدلة في ص ٢١٤ من هذا البحث.

تمثيلهم [١].

ونوقش هذا الدليل: بعدم التسليم؛ لأن لكل صحابي فضلا يخصه، مع اشتراكهم جميعا في فضل الصحبة، وإن كانوا متفاوتين في منازلهم عند الله، وهذا القدر المشترك بينهم -وهو فضل الصحبة- يمنع من تمثيلهم، والغض من قدرهم، والتهاون في شأنهم [٢].

القول الثالث: جواز تمثيل الصحابة مطلقا، وبه قال الشيخ محمد رشيد رضا [٣].

واستدل لقوله بعدم وجود الدليل الشرعي الذي يمنع تمثيل الصحابة أو أعمالهم الشريفة، بشرط الالتزام بأن يكون تمثيلهم بشكل يظهر محاسن ذلك الصحابي لأجل الاتعاظ بسيرته، ومبادئه العالية، مع التحفظ والتحري بضبط سيرته دون إخلال بها من أي جهة كانت [٤].

ويناقش هذا الدليل بعدم التسليم، ففي أدلة المانعين ما يكفي للقول بعدم الجواز، والدليل يؤخذ أحيانا من القواعد الشرعية المتقررة، وعمومات الأدلة الظاهرة.

الترجيح:

وبعد عرض أقوال العلماء في هذه المسألة، وبيان أدلتهم ومناقشة ما

---

(١) ينظر: البيان المفيد عن حكم التمثيل والأناشيد ص ٩٣.

(٢) ينظر: المرجع السابق.

(٣) فتاوى محمد رشيد رضا ٦/ ٢٣٤٨، ومحمد رشيد رضا هو: صاحب مجلة المنار المشهورة وأحد رجال الإصلاح الإسلامي، ولد في الشام وقدم مصر، وبرز فيها وأخذ العلم من علمائها، كانت ولادته سنة ١٢٨٢ هـ، ووفاته سنة ١٣٥٤ هـ. تنظر ترجمته في كتاب الأعلام ٦/ ١٢٦.

(٤) ينظر: فتاوى محمد رشيد رضا ٦/ ٢٣٤٨.

يحتاج منها للمناقشة تبين لي رجحان القول الأول القاضي بعدم جواز تمثيل الصحابة مطلقا؛ وذلك للمرجحات الآتية:

المرجح الأول: قوة أدلة أصحاب هذا القول وضعف أدلة الأقوال الأخرى.

المرجح الثاني: أن من القواعد المقررة في الشريعة أن ما كان مفسدة محضة أو راجحة؛ فإنه محرم، وتمثيل الصحابة -رضوان الله عليهم- على تقدير وجود مصلحة فيه، فمفسدته راجحة؛ فرعاية للمصلحة وسدا للذريعة، وحفاظا على كرامة أصحاب رسول الله -ﷺ- يجب منع ذلك [(١)].

المرجح الثالث: أن تمثيل الصحابة -رضوان الله عليهم- يفتح باب التشكيك على المسلمين في دينهم، والجدل والمناقشة في أصحاب رسول الله -ﷺ- وسيلزم ضرورة أن يقف أحد الممثلين موقف أبي جهل وأمثاله، وسيجري على لسانه سب الإسلام وما جاء به، وسب رسول الله -ﷺ-، ولا شك أن هذا منكر عظيم، كما يستلزم هذا أن يتخذ هدفا لبلبلة أفكار المسلمين نحو عقيدتهم، وكتاب ربهم، وسنة نبيهم -ﷺ- [(٢)].

المطلب الخامس: حكم تمثيل الأئمة والعلماء:

ذهب بعض المعاصرين إلى أن تمثيل الأئمة والعلماء لا يجوز معللا قوله بأن ذلك يوجب تنقصهم والتقليل من قدرهم [(٣)].

ولكن هذه الدعوى مدفوعة، وهذا الدليل مناقش بما يأتي:

أولاً: أن الأئمة والعلماء ليسوا كدرجة الأنبياء والرسل والصحابة

---

(١) ينظر: مجلة البحوث الإسلامية، العدد الأول ص ٢٣٥.

(٢) ينظر: المصدر السابق.

(٣) ينظر: إيقاف النبيل على حكم التمثيل ص ٣٨-٣٩.

الكرام، لذا فلا يكونوا في الحكم سواء من حيث التمثيل.

ثانيا: أنهم إذا مثلوا بطريقة صحيحة، وقام بالدور من كان أهلا لذلك فلا يكون فيه تنقص ولا تقليل من قدرهم، بل فيه إبراز لمكانتهم ونشر لسيرتهم.

ثالثا: أن الواقع يشهد بأن تمثيل الأئمة والعلماء -إذا قدم بصورة حسنة- له دور كبير في احترامهم وتقديرهم وإجلالهم، فعلى سبيل المثال أذكر أني رأيت تمثيلا لسيرة العالم الزاهد الرباني سعيد بن المسيب فكان له أثر علي في معرفة قدر هذا العالم والتعرف على سيرته، ولم يكن فيه ما ذكر في هذه الدعوى، بل لم أخرج بعد رؤية هذا العمل إلا بإجلال وتقدير لهذا العالم الجليل.

لذلك أرى أن تمثيل العلماء والأئمة جائز ولكن بالضوابط الآتية [1]:

الضابط الأول: التأكد من صحة المعلومات التي سيتعرض في هذا العمل.

الضابط الثاني: ألا يكون الممثل الذي يقوم بتمثيل دور العالم أو الإمام من المشهورين بالفسوق؛ لأن إباحة مثل هذا يكون له أثر سيء على المشاهدين، إذ كيف يرى هذا الممثل وهو يؤدي دور عالم رباني، وبعد ذلك يؤدي عملا تمثيلا سيئا مع نساء متبرجات في مسرحيات، وتمثيليات ساقطات.

الضابط الثالث: أن يكون المقصد من هذا العمل إفادة المشاهد بعرض الصور الإيجابية وتجنب أخطاء العلماء، فهم غير معصومين.

---

(١) هذه الضوابط استنتجتها من خلال قراءتي في الكتب التي بحثت مسألة التمثيل.

المطلب السادس: حكم تمثيل القصص القرآني:

كثير من القصص القرآني يتناول دعوة الأنبياء مع أقوامهم، فهذا النوع الذي يكون فيه النبي أو الرسول مرتبط بالقصة كلها لا يجوز تمثيله؛ لما سبق بيانه في مسألة حكم تمثيل الأنبياء والرسل [(١)].

أما القصص القرآني الذي لا يكون فيه النبي أو الرسول مرتبطا بالقصة، كقصة أصحاب الكهف، أو أصحاب الأخدود، أو أصحاب الجنة، ونحوها من القصص فالظاهر جواز تمثيلها لكن بشروط [(٢)]:

١- عرض القصة التي يراد تمثيلها بعد كتابتها على لجنة شرعية متخصصة موثوق في علمها ودينها للتأكد من صحة المعلومات.

٢- ألا ينطق الممثل بألفاظ الكفر، أو سب الدين، أو الأنبياء والرسل، ونحو ذلك من التصرفات المحرمة، بل يسلك في هذا الأمر أسلوب يجتنب فيه هذا المحذور.

٣- التركيز على الجانب الوعظي والإرشادي عند عرض القصص لأجل العبرة والعظة.

والله أعلم.

---

(١) تراجع المسألة في ص ٢٢٧ من هذا البحث.

(٢) هذه الشروط استنتجتها من خلال قراءتي في الكتب التي بحثت مسألة التمثيل.

الفصل الرابع

استخدام وسيلة التمثيل في الدعوة إلى الله

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مصالح التمثيل

المبحث الثاني: مفاسد التمثيل

المبحث الثالث: أثر التمثيل في الدعوة إلى الله

المبحث الأول: مصالح التمثيل:

للتمثيل مصالح عديدة، وفوائد كثيرة، من أبرزها:

١- أن التمثيل أبلغ أثرا، وأشد وقعا في نفوس المشاهدين من مجرد سرد القصة بالقول، أو قراءتها.

٢- أن التمثيل وسيلة للإفهام جذابة، وهذه الوسيلة تناسب الذكي وغير الذكي، والمتعلم والأمي، والكبير والصغير.

٣- معالجة القضايا الاجتماعية الهامة عن طريق التمثيل، خاصة إذا قدمت بطريقة مناسبة، فيكون أثرها أبلغ من مجرد الكلمة أو الكتابة.

٤- عرض محاسن الإسلام عبر التمثيل، وذلك بتقديم أعمال مشرقة عن مبادئ الإسلام العظيمة، وأخلاقه السامية، وكذلك عرض نماذج من تأريخ المسلمين الرائع. وفي هذا دعوة غير مباشرة للإسلام.

٥- قد يستخدم التمثيل في توصيل المعلومات والمعارف للمشاهدين، فقد تمثل صفة الصلاة، أو الحج بطريقة تكون أرسخ في ذهن المشاهد من مجرد سماعها عبر محاضرة أو درس.

ولقد كان النبي -ﷺ- يعلم أصحابه بالحركة المرئية أحيانا، فقد ثبت عنه أنه صلى مرة على المنبر، فلما فرغ أقبل على الناس فقال: «يا أيها الناس إنما صنعت هذا لتأتموا بي، ولتعلّموا صلاتي»[(١)].

وسئل الصحابي الجليل عبد الله بن زيد -رضي الله عنه- عن وضوء النبي -ﷺ- فدعا بتَور من ماء فتوضأ لهم وضوء النبي -ﷺ- فأكفأ على يده

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجمعة، باب: الخطبة على المنبر، حديث رقم: ٩١٧، ومسلم في صحيحه في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب: جواز الخطوة والخطوتين في الصلاة حديث رقم: ٥٤٤.

من التور فغسل يديه ثلاثا، ثم أدخل يده في التور فمضمض واستنشق، واستنثر ثلاث غرفات، ثم أدخل يده... الحديث [١].

وفي هذا دليل واضح على أثر الحركة المرئية في التعليم.

٦- التمثيل وسيلة من وسائل الترفيه، فإن كان مفيدا نافعا حصل به مصلحتين؛ إحداهما: الترفيه، والأخرى: الفائدة.

٧- الأطفال يتأثرون أكثر من غيرهم بالتمثيل؛ لذا فقد يكون التمثيل وسيلة من وسائل التربية للأطفال إذا قدمت لهم أعمال نافعة صالحة مفيدة.

هذه أبرز مصالح التمثيل في نظري.

المبحث الثاني: مفاسد التمثيل:

إذا كان للتمثيل مصالح كثيرة، وفوائد عديدة فإن له مفاسد وأضرارا، وهذه المفاسد والأضرار قد لا تعود إلى التمثيل ذاته، إذ التمثيل وسيلة من الوسائل، ولكنها تعود إلى الأهداف والغايات من التمثيل. وبنظرة شاملة إلى الأعمال التمثيلية في هذا العصر نجد أن أكثرها تحمل من المفاسد والأضرار مالا يمكن حصره وعده، وذلك لأن أغلب القائمين على التمثيل إما غير مسلمين أو مسلمون، ولكنهم يهدفون إلى المال والشهرة، ولذلك لا يبالون في الوقوف عند حدود الشرع.

وسأذكر في هذا المبحث أبرز مفاسد التمثيل وأضراره.

١- تشويش التصور الديني، وزعزعة عقيدة المسلم، وقد يكون فيه معارضة لصريح القرآن والسنة النبوية.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الوضوء، باب: غسل الرجلين إلى الكعبين، حديث رقم: ١٨٦، ومسلم في صحيحه في كتاب الطهارة، باب: في وضوء النبي ﷺ، حديث رقم: ٢٣٥.

وفي هذا من الخطر العظيم، والشر الجسيم إذ يقوم أعداء الإسلام بقصد محاربة دين الإسلام بهذه الوسيلة الخطرة جدا، وينجر وراءهم كثير من دور الإنتاج الفن في العالم الإسلامي بقصد أو بغير قصد فيحققوا أهداف أعداء الإسلام ويقومون بخراب بيوتهم بأيديهم شعروا أم لم يشعروا [(١)].

٢- نشر الفساد والرذيلة في الأرض. وهذا أكثر ما يقدم في الأعمال التمثيلية خاصة السينمائية، سواء العربية أو العالمية. فبنظرة فاحصة لما تنتجه دور الفن ومؤسساته نجد أن الأعمال التي تدعو إلى الفاحشة منتشرة في تلك الأعمال. أما مقدماتها من ضم وتقبيل وملابس شبه عارية، فحدث ولا حرج.

وكم أثارت هذه الأعمال الشباب والفتيات ودعتهم إلى الفاحشة فمارسوها في بلادهم وخارجها.

إن الأسف كل الأسف، والأسى كل الأسى فيما جلبته هذه التمثيليات من ذبح صارخ للأعراض، ووأد للغيرة. تعرض تفاصيل الفحشاء من خلال وسائل الإعلام المرئية. بل إنه ليرى الرجل والمرأة يأتيان الفاحشة وبواعثها ومثيراتها. يشاهدان وهما يعانقان الرذيلة غير مستورين عن أعين المشاهدين والنظّارة. فإنا لله وإنا إليه راجعون، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

٣- انقلاب المفاهيم عند كثير من المشاهدين فأصبح الساقطون الماجنون -أهل الفن و التمثيل- يمثلون الأسوة والقدوة للشباب والفتيات. وهذا ما يؤكده تقمص الشباب لشخصية بعض الممثلين، وكذلك تقمص الفتيات لشخصية بعض الممثلات.

٤- تشويه صورة المستقيمين والملتزمين بدين الإسلام. واللمز بأصحاب

---

(١) ينظر: القرآن ونظرية الفن ص ٥١.

اللحى، والثياب القصيرة، والحجاب، وإبرازهم في أسوأ صورة وأقبحها لأجل أن ينفر منهم المجتمع.

٥- الترويج للعنف والجريمة، والتعود على رؤية المنكرات، وعدم التفكير في إنكارها.

٦- المعارضة الصريحة لكثير من أحكام الدين الإسلامي، فنجد في أكثر هذه التمثيليات المعارضة الصريحة للحجاب، والترويج والتحسين للتأخر في الزواج، ومحاربة التعدد المشروع. مما تفشي معه الطلاق وانتشرت الأنانية وحب الذات، وضعفت الروح الجماعية والترابط الأسري، وصلة الرحم.

لقد أخرجوا المرأة من عفتها وكرامتها وحجابها وطهرها، وأضحت الخمور والعهر من الأمور اللازمة لهذه التمثيليات الساقطة.

٧- تشويه الحقائق التأريخية، وقلب الحقائق، وتزييف ماضي المسلمين المشرق.

هذه أبرز مفاسد التمثيل وهي مفاسد خطيرة، نسأل الله أن يقي المسلمين شرها.

المبحث الثالث: أثر التمثيل في الدعوة إلى الله:

بعد أن عرفنا أن للتمثيل مصالح نافعة وآثاراً حميدة [1]، فيمكن حينئذ أن يستخدم التمثيل في الدعوة إلى الله فيكون وسيلة دعوية، فعن طريقه يدعى إلى الإسلام فتعرض التمثيليات التي توضح محاسن هذا الدين، وتعرف غير المسلمين بأركان الإسلام، والإيمان. كما يمكن أن تعرض من خلاله الأخلاق الفاضلة والخصال الحميدة، ويحذر الناس من الخصال والأخلاق السيئة.

---

(١) تراجع هذه المصالح في ص ٢٣٤ من هذا البحث.

خاصة إذا عرفنا أن وسائل الدعوة اجتهادية وليست توقيفية [١] وأن التمثيل أشد تأثيرا وأبلغ أثرا في نفوس المشاهدين من غيره؛ لذا يجوز أن تستخدم هذه الوسيلة في الدعوة إلى الله ولكن ينبغي أن ينتبه لما يأتي:

١- أن التمثيل وسيلة وليس غاية أو مقصدا.

٢- أن لا يستغنى بالتمثيل عن الوسائل الدعوية الأخرى كالكتب والمحاضرات، والدروس العلمية، وذلك حتى لا تنشأ الأمة على رفض هذه الوسائل التي تناقلها الأجيال تلو الأجيال.

٣- أن لا يتوسع في التمثيل وأن يضبط بالضوابط الشرعية.

هذا وإنه عند التأمل في الواقع فإننا نجد أن أثر التمثيل في الدعوة إلى الله ضعيف جدا، ويرجع هذا الضعف لأسباب من أبرزها:

السبب الأول: وقوع الخلاف القوي في حكم التمثيل. فهذا الخلاف جعل الدعاة إلى الله لا ينشطون في تفعيل وسيلة التمثيل؛ لأنهم يرون أن في الوسائل التي لا خلاف فيها غنية عن وسيلة التمثيل التي وقع فيها الخلاف.

السبب الثاني: أن نفقات التمثيل باهظة، مما يتطلب أموالا طائلة، وهذا مالا يتوفر لدى كثير من الدعاة والمهتمين بأمور الدعوية.

السبب الثالث: اعتقاد كثير من الناس أن إخراج عمل تمثيلي بالضوابط الشرعية لا يؤدي أثرا بالغا؛ لذلك آثروا الوسائل الأخرى.

السبب الرابع: أن إنتاج عمل تمثيلي يحتاج إلى وقت طويل وعمل متواصل، وهذا مالا يتحمله كثير من الناس.

لهذه الأسباب وغيرها أرى أنه ليس للتمثيل أثر ظاهر في الدعوة إلى الله في هذا العصر. والله أعلم.

---

(١) ينظر: حكم التمثيل في الدعوة إلى الله ص ٩٦-١٠٣.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والشكر له سبحانه الذي يسر لي إتمام هذا البحث وذلل لي فيه العقبات، حيث منّ علي فأتممت الكتابة فيه حسب الخطة التي رسمتها له.

ويحسن بي أن أختم هذا البحث المتواضع بذكر أهم النتائج التي توصلت إليها:

أولاً: وسائل الدعوة هي الطريق الذي يتوصل إلى دعوة الناس وتعريفهم بشرع الله جل وعلا، ولوسائل الدعوة أهمية كبرى ينبغي للدعاة أن يقدروها قدرها ويعتنوا بها.

ثانياً: لوسائل الدعوة ضوابط كثيرة من أهمها أن لا تكون هذه الوسيلة مخالفة لشرع الله، ومناسبة للمدعوين، والداعية قادرا على استخدامها، وأن لا تكون الوسيلة سببا لإحداث الفتنة بين الناس.

ثالثاً: اللهو والمزاح مباحان في شريعة الإسلام بضوابط محدودة، منها: أن لا يكون في اللهو والمزاح تعد لحدود الله، وإيذاء لأحد من الناس، وأن يكونا يسيرين من غير إفراط ومداومة، وألا يشغلا العبد عن طاعة الله، وأن يراعا فيهما المكان والزمان.

رابعاً: التمثيل جائز إذا خلا من محرم.

خامساً: لا يجوز تمثيل الذات الإلهية، والأنبياء والرسل، والملائكة، والصحابة الكرام.

سادساً: يجوز تمثيل العلماء والأئمة، والقصص القرآني بضوابط ذكرتها في هذا البحث.

سابعاً: للتمثيل مصالح عديدة، كما يشتمل على مفاسد كثيرة، فإذا ركز على المصالح وتجنبت المفاسد كان له أثر في الدعوة إلى الله، إلا أن الواقع يشهد بعدم الأثر الملموس للتمثيل في الدعوة؛ لأسباب ذكرتها في هذا البحث.

هذا وأسأل الله أن يجعل عملي خالصا لوجهه، إنه سميع مجيب.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع

١- إحياء علوم الدين، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الشافعي، ط: المكتبة التجارية الكبرى، مصر .

٢- الأسس في فن التمثيل وفن الإخراج المسرحي، لجلال الشرقاوي، ط: مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٣- البريقة المحمودية في شرح الطريقة المحمدية، لأبي سعيد الخادمي، ط: دار إحياء الكتب العربية .

٤- البناء الدرامي في الراديو والتليفزيون، لعدلي سيد محمد رضا، ط: دار الفكر العربي .

٥- تأريخ المسرح في ثلاثة آلاف سنة، لشلدون تشيني، ط: المطابعة النموذجية .

٦- التمثيل: -حقيقته، تاريخه، حكمه -، لبكر بن عبد الله أبو زيد، ط: دار الراية .

٧- التمثيل تمثيل فلماذا التمثيل؟ لعلي محمد العيسى، ط: مؤسسة الجريسي .

٨- التمثيل والتمثيلية – فن التمثيل العربي-، لزكي طليمات ، ط: مطبعة حكومة الكويت.

٩- جامع الترمذي، للإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، ط دار السلام .

١٠- حكم التمثيل في الدعوة إلى الله، لعبد الله بن محمد آل هادي .

١١- حكم ممارسة الفن في الشريعة الإسلامية، لصالح أحمد الغزالي، ط: دار الوطن .
١٢- سلسلة الأحاديث الصحيحة، لمحمد ناصر الدين الألباني، ط: المكتب الإسلامي .
١٣- سنن ابن ماجه، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني، ط دار السلام .
١٤- سنن أبي داود، للإمام الحافظ سليمان بن الأشعث السجستاني، ط: دار السلام .
١٥- السينما والتربية في مصر، لأحمد يوسف سعد، ط: مركز الدراسات والمعلومات القانونية لحقوق الإنسان .
١٦- صحيح البخاري، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ط دار السلام.
١٧- صحيح مسلم، للإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري، ط دار السلام.
١٨- صورة الأديان في السينما المصرية، لمحمود قاسم، ط: شركة لوتس للطباعة والنشر .
١٩- ظاهرة فن التمثيل، لمحمد عبد اللطيف صالح الفرفور – من أبحاث مجمع الفقه الإسلامي بمنظمة المؤتمر الإسلامي - بجدة.
٢٠- فتح الباري لشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط: دار الفكر .
٢١- فن التمثيل، لمحمد عبد الرحيم، ط: مطبعة الاعتماد .
٢٢- فن التمثيل المسرحي، لأحمد زكي، ط: دار المعارف .

٢٣- في رحاب المسرح، لمحمد السيد عباس، ط: مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٢٤- فيض القدير، لعبد الرؤوف المناوي، ط: المكتبة التجارية الكبرى - مصر.

٢٥- الفيلم التاريخي في مصر، لمحمود قاسم، ط: مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٢٦- الفيلم السياسي في مصر، لمحمود قاسم، ط: مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٢٧- القاموس المحيط، لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي، ط: دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي – بيروت .

٢٨- القرآن ونظرية الفن، للدكتور حسين علي حسين، ط: الشركة العربية لنشر والتوزيع.

٢٩- قضايا المسرح المصري المعاصر، للدكتور أحمد سخسوخ، ط: مطابع روز اليوسف .

٣٠- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، ط: مصطفى البابي الحلبي – مصر .

٣١- لسان العرب، لجمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، ط: دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي – بيروت .

٣٢- مجمع الزوائد، لعلي بن أبي بكر الهيثمي، دارالريان للتراث – القاهرة.

٣٣- المدخل إلى علم الدعوة، لمحمد أبو الفتح البيانوني، ط: مؤسسة الرسالة

٣٤- المستدرك على الصحيحين، لمحمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، ط: دار الكتب العلمية .
٣٥- المسرح الإسلامي -روافده ومناهجه-، لأحمد شوقي أحمد، ط: دار الفكر العربي .
٣٦- مسند الإمام أحمد بن حنبل، ط: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان .
٣٧- معجم ألفاظ العقيدة، لأبي عبد الله عامر بن عبد الله فالح، ط: مكتبة العبيكان .
٣٨- معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت .
٣٩- المعجم الوسيط، لمجموعة من الباحثين في مجمع اللغة العربية بمصر، ط: دار الفكر .
٤٠- الممثلون و التمثيل - تأريخ التمثيل -، لتوبي كول، وهيأتين كريش شينوي، ط: مطابع وزارة الثقافة – دمشق .
٤١- النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، مجد الدين المبارك بن محمد الجزري، بتحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، ط: دار الباز – مكة المكرمة .
٤٢- وسائل الدعوة، للدكتور عبد الرحيم المغذوي، ط: دار إشبيليا – الرياض .

البحث العاشر

معوّقات الدعوة

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد رسول الله، وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فالدعوة إلى الله هي مهمة الرسل، ووظيفتهم التي كلّفهم الله بها، وخلَفهم من بعدهم الدعاة الصادقون، والعلماء العاملون، في كل زمان ومكان يحملون رسالة ربهم، ويُبلّغون الأمانة التي أُلقيت على أعناقهم.

وهذه الدعوة قد تحصل لها معوّقات تمنع وصولها للمدعويين، أو تؤخر نجاح الدعاة في مهمتهم.

وسأتناول في هذا البحث المتواضع معوّقات الدعوة، ولقد رسمت خطة سرت عليها هي على النحو الآتي:

المقدمة.

المبحث الأول: تعريف المعوّقات.

المبحث الثاني: المعوّقات الداخلية.

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: اتصاف الداعي ببعض الأخلاق السيئة.

المطلب الثاني: قلة الصبر واستعجال النتائج.

المطلب الثالث: التفرّق والتنازع.

المطلب الرابع: ضعف التحصيل العلمي للداعي.

المطلب الخامس: اليأس وعدم الثقة بالنفس.

المبحث الثالث: المعوقات الخارجية.

المطلب الأول: مكر الأعداء.

المطلب الثاني: تنوع أساليب الأعداء في مواجهة الدعوة والدعاة.

الخاتمة. وفيه أبرز النتائج وتنبيهات تتعلق بالمعوّقات.

واللهَ أسأل أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم، وأن يرزقنا علماً نافعاً وعملاً صالحاً.

المبحث الأول: تعريف المعوّقات:

المعوقات لغة: جمع معوق، يرجع للفعل الثلاثي: (عَوَقَ) الذي يدل على الصرف والحبس، ومنه التعويق والاعتياق، وذلك إذا أراد أمراً فصرفه عنه صارف، وفي التنزيل العزيز: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾[1]، والعائق: الصارف عما يراد به من الخير[2].

وبناء على التعريف اللغوي لكلمة معوقات فإن المقصود بمعوقات الدعوة هي: الصوارف والأخطاء التي يقع فيها الدعاة، أو يواجهونها في طريق دعوتهم، وتشكل عقبة في سبيل تحقيق أهداف الدعوة وغايتها[3].

المبحث الثاني: المعوّقات الداخلية:

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: اتصاف الداعي ببعض الأخلاق السيئة:

سوء الخلق يتنافى كلياً مع المطلوب من حملة رسالة الدعوة إلى سبيل الله؛ لأن سوء خلق الإنسان يجعله مكروهاً لا يرغب الناس لقاءه ولا الحديث معه، فهو لا يألف ولا يؤلف. ومن هنا نعلم أن اتصاف الداعية بأي خلق سيء يعيق مسيرة الدعوة ويضعف نتائجها.

وسأذكر في هذا المطلب أبرز الصفات السيئة التي إذا اتصف بها حملة الدعوة كانت من المعيقات.

---

(١) الآية ١٨ من سورة الأحزاب.

(٢) ينظر: لسان العرب ١٠/ ٢٧٩ مادة: عوق، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٤/ ١١٣.

أولاً: العُجْب:

العجب عرّفه الإمام الغزالي [١] بأنه: «استعظام النعمة والركون إليها مع نسيان إضافتها إلى المنعم».

وقد ذمّ الله العُجْب في كتابه العزيز حيث قال: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا﴾[٢]، قال الله ذلك في معرض الإنكار على إعجابهم بالكثرة، فبيّن الله ـ لمن قال منهم: «لن نغلب اليوم من قلة» ـ أن النصر إنما هو من عنده سبحانه، وأن من ينصره فلا غالب له، ومن يخذله فلا ناصر له غيره، وأن الله سبحانه هو الذي تولى نصر رسوله ودينه، لا كثرتكم التي أعجبتكم [٣].

وقد قال أهل العلم: من فوائد هذه الآية: حرمة العجب بالنفس والعمل؛ إذ هو (أي: العجب) من العوائق الكبيرة عن النجاح [٤].

كيف يدخل العُجْب على الدعاة؟:

قد يدخل العُجْب على نفس الداعية من حيث لم يحتسب وهو يظن أنه يحسن صنعاً.

ـ فمن مداخله: أن يُعجَب الداعية كل العجب ببلاغته، وجمال منطقه، وطلاقة لسانه، وينسب ما حقق من نجاح إلى مواهبه وينسى فضل الله عليه.

ـ ومن مداخله: أن يزهوَ ويُعجب حين يتحدث الناس عن أعماله ونشاطه ومدى أثره وتأثيره.

---

(١) إحياء علوم الدين ٣/ ٣٤٨.

(٢) الآية ٢٥ من سورة التوبة.

(٣) ينظر: تفسير القاسمي ٤/ ١٠٢، وإحياء علوم الدين للغزالي ٣/ ٣٤٦.

(٤) ينظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير للشيخ أبي بكر الجزائري ٢/ ١٨٠.

- ومن مداخله: أن يعتقد أنه أصبح ذا شهرة علمية، وشخصية دعوية عالمية، فيستعظم ذلك كله، وينسبه إلى نفسه، وينسى أن الله هو المنعم المتفضل.

وإذا أحس الداعية بشيء من هذا الداء فليسارع إلى علاجه بأن يعلم أن الله عز وجل هو المنعم عليه، وأن الفضل أولاً وآخراً راجع إليه، وأنه لا حول ولا قوة للعبد إلا بمولاه، ولينظر في سيرة أنبياء الله ورسله والدعاة السابقين، وما أثر عنهم من أقوال وأفعال في ذمّ العجب وأهله، وأنه سبيل إلى الكبر الذي يقود - والعياذ بالله - إلى النار[١].

ثانياً: الغرور:

قال الإمام الغزالي [٢] - رحمه الله -: الغرور هو «سكون النفس إلى ما يوافق الهوى ويميل إليه الطبع عن شبهة وخدعة من الشيطان».

والفرق بين العُجْب والغُرور هو فرق دقيق متباين: فالعُجْب هو استعظام النعمة الموجودة في المعجَب، ثم نسبتها إلى نفسه دون أن ينسبها إلى واهبها وخالقها وهو الله عز وجل. وأما الغرور فهو ادعاء قضايا، وتلبيس حقائق غير موجودة في المغرور، ونسبتها إلى نفسه، من العظمة والأماني الكاذبة العريضة، بما لا يستحقه، مع الاسترسال في بحر الأوهام والأحلام[٣].

وقد ذمّ الله الغرور في القرآن، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾[٤]، قال قتادة: «كانوا على خدعة من الشيطان، والله ما زالوا عليها حتى قذفهم الله

(١) ينظر: سلسلة مدرسة الدعاة لعبد الله ناصح علوان ٢/ ٥١٧، ٥١٨.
(٢) إحياء علوم الدين ٣/ ٣٥٦.
(٣) سلسلة مدرسة الدعاة ٢/ ٥٢١.
(٤) الآية ١٤ من سورة الحديد.

في النار»[(١)].

كيف يدخل الغرور على الدعاة؟:

الأصل في الداعية أنه بعيد عن كل خلق سيء ومن ذلك الغرور، ولكن الشيطان قد ينجح في الدخول على بعض الدعاة، وخاصة من كانوا في بداية الطريق، مع ضعف في التكوين والإعداد، فينساق مع الهوى، ويركب صهوة الغرور، فينظر إلى نفسه بأنه بلغ مرتبة الدعاة الكبار في النضج وسداد الرأي وسعة العلم وانتشار الصيت وفضل السابقة، مع أنه شاب حدث السن، أو شابة حديثة السن، لم يكتمل بعدُ عِلماً، ولم ينضج رأياً، إلا أنه قد يحسن الكلام ويجيد التحدث والإلقاء.

وعلاج هذا الداء أن يسارع من أحس بشيء من الغرور أنه دخل نفسه إلى معالجته، واستئصال شأفته، بأن يعرف حقيقة أمره وقدر نفسه، فلا يدعي لشخصه ما ليس فيه، وعليه أن يكثر من قراءة أخبار السلف الصالح، وما تميزوا به من ورع وتقوى، وتواضع وأدب، وقبل ذلك يقرأ سيرة خيرة الأنام، وأفضل من صلى وصام، محمد بن عبد الله ﷺ[(٢)].

ثالثاً: الكِبْر:

الكِبْر فسّر معناه وبيّن حقيقته معلّمُ البشرية وصاحب الأخلاق الزكية محمد بن عبد الله ﷺ حينما قال: «الكِبْر بطر الحق، وغمْط الناس»[(٣)]، ومعنى: بطر الحق، أي: رده، وغمط الناس، أي: ازدراؤهم[(٤)].

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير للصابوني ٣/ ٤٥٠.

(٢) ينظر: سلسلة مدرسة الدعاة ٢/ ٥٢٢-٥٢٤.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب اللباس، باب ما جاء في الكبر ص ٥٧٧، حديث رقم ٤٠٩٠، ٤٠٩١، ٤٠٩٢.

(٤) ينظر: بذل المجهود في حلّ أبي داود ١٦/ ٤٢٣.

ولقد نهى الله عن الكبر في كتابه العزيز، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[١]، قال ابن عباس رضي الله عنهما ـ في معنى الآية ـ: «لا تتكبر فتحتقر عباد الله وتعرض عنهم بوجهك إذا كلموك»[٢].

كيف يدخل الكبر على الدعاة؟:

الذين يتصدّون للدعوة والإرشاد هم أكثر تعرضاً لمكائد الشيطان، ونزغات النفس الأمّارة، وأمراض القلوب، وآفات النفوس، من عوامّ الناس ودهمائهم؛ ذلك لأن العوام والدهماء من الناس ليس عندهم من مزايا العلم والثقافة وخصائص التحدث والخطابة، ومقومات الجاه وبروز الشخصية كما عند العلماء المتخصصين، ورجال الدعوة والإصلاح العاملين، فهذه الخصائص والمقومات هي في الحقيقة مزالق الغرور، والغرور طريق إلى الكِبْر، والكبر يفضي بصاحبه إلى النار والعياذ بالله، قال ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»[٣].

فالداعية الذي يغتر بعلمه وثقافته، ويُعجَب بشهادته ودرجاته العلمية، ويستشرف مدح المعجبين له، وثناء الناس حوله، ولا يقبل النصيحة ولا النقد البناء، ويرى الناس أصغر منه، لا شك أنه واقع في خلق الكبر، شعر أم لم يشعر.

فالواجب على دعاة الإسلام أن يكونوا على حذر شديد من الوقوع في

---

(١) الآية ١٨ من سورة لقمان.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٤٩١.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب اللباس، باب ما جاء في الكبر ص ٥٧٧، حديث رقم ٤٠٩٠، ٤٠٩١، ٤٠٩٢.

هذا الخلق السيء [١].

وإني لأجدها مناسبة طيبة، وفرصة ثمينة، أن أذكّر نفسي وأخواتي طالبات الدراسات العليا أن لا ننساق لنزغات الشيطان حينما يوسوس لإحدانا من أننا بلغنا هذه المرحلة من الدراسة، فننظر لمن دوننا نظرة استصغار واحتقار، فإن كنا عرفنا شيئاً فقد خفي عنا شيء كثير، وما أحسن ما قيل:

يا مَن يدّعي في العلم معرفةً * علمتَ شيئاً وغابت عنك أشياءُ [٢]

أما علاج الكبر فله وسائل كثيرة منها: أن يعلم من أصيب بهذا الداء أن الكبر محرم، بل ومن كبائر الذنوب، وأن يدرك حقيقة نفسه من بدء حياته إلى يوم وفاته، فلو فكر في ذلك تفكيراً جاداً لما وجد المتكبر سبباً لكبريائه وخيلائه، وعجبه واغتراره [٣].

---

(١) ينظر: سلسلة مدرسة الدعاة لعبد الله علوان ٢/ ٥٢٨-٥٢٩.

(٢) وإن مما يحسن التنبيه عليه هنا: أن تعلم طالبة الدراسات العليا أن البحوث العلمية قد تكون ـ والعياذ بالله ـ سبباً للكبر، فتعجب الباحثة ببحثها ولا ترضى بالنقد، مع أننا لا زلنا في بداية الطريق وأول درجات العلم، وإنني إذ أقول هذا لأنني لمست من بعض زميلاتي عدم الرغبة في نقد بحوثهن، مع أن هذه الطريقة التي اختارتها أستاذتنا الفاضلة د. بدرية البشر ـ حفظها الله ـ من أحسن الطرق لتنمية ملكة البحث، وتعويد الطالبة على النقد والمناقشة، والإجابة والمناظرة، ولا يعني نقدي لزميلتي أني أحط من قدرها، ولكن أبدي وجهة نظري التي هي قابلة للقبول والرد، لذا أرجو من أخواتي الفاضلات أن لا تحمل إحداهن في نفسها على صاحبتها، فالعلم سبيل للتواصل والتعاون، وليس سبيلاً للتقاطع والتهاجر. والله أسأل أن يصلح قلوبنا وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم.

(٣) ينظر: سلسلة مدرسة الدعاة لعبد الله علوان ٢/ ٥٣١.

رابعاً: الحسد:

الحسد هو: كراهية النعمة وحب زوالها عن المنعم عليه.

بهذا عرّفها الإمام الغزالي [١] ـ رحمه الله ـ، وهي بهذا المعنى حرام بكل حال، إلا نعمة أصابها فاجر أو كافر وهو يستعين بها على تهييج الفتنة وإفساد ذات البين، وإيذاء الخلق، أو إشاعة الفحشاء في الأمة، فإن حب زوال النعمة حينئذ ليس حراماً؛ لأن حب زوالها ليس من أجل النعمة، إنما من أجل الفساد المترتب عليها [٢].

والحسد حرام بنص القرآن، قال بعض السلف: أول خطيئة هي الحسد، حسد إبليس آدم عليه السلام على رتبته فأبى أن يسجد له، فحمله ذلك على الحسد والمعصية [٣].

بل لقد أمرنا الله بالاستعاذة به من شر حاسد إذا حسد، قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ [٤].

قال أهل التفسير: الآية تدل على تحريم الحسد قطعياً، وهو داء خطير حمل ابن آدم على قتل أخيه، وحمل إخوة يوسف على الكيد له [٥].

هل يقع الداعية في داء الحسد؟:

الداعية بشر، والبشر يخطئون ويصيبون، ويذنبون ويستغفرون، فأحياناً

---

(١) إحياء علوم الدين ٣/ ١٨١.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) الآية ١-٥ من سورة الفلق.

(٥) ينظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير لأبي بكر الجزائري ٤/ ٧١٥.

قد يختصم الداعية مع قرين له وإنسان مثله، فتعتريه حالة من الضعف البشري، ويتسلط عليه الشيطان، فيقع من حيث شعر أو لم يشعر في حبائل الحسد، وربما تشتد العداوة والبغضاء مع خصمه فيكيد له، و يحقد عليه، ويتمنى زوال النعمة عنه، وقد ينحدر في الخلق أحياناً إلى درجة يستغرب معها كيف تمكن الشيطان من هذا الداعية وهو يملك العلم الشرعي والبصيرة في الدين.

ولعلاج داء الحسد: على الداعية أن يتذكر أنه مؤمن بالله، منتسب لدين الإسلام، وأن الحسد وغيره من الآفات الباطنية تتنافى كل المنافاة مع حقيقة الإيمان وتعاليم الإسلام.

وليتدبر الداعية أنه يدعو إلى الله ويعمل في سبيل إعزاز دين الله، ومن نزل ميدان الدعوة والعمل في سبيل الله فعليه أن يترفّع عن كل خلق ذميم، وصفة سيئة، ومنها الحسد.

وليتنبه الداعية أنه قدوة في كل ما يأمر به وينهى عنه، وأن الناس ينظرون إليه ويرقبون قوله وفعله، فهل يرضى لنفسه أن يكون ممقوتاً عند الله وعند الناس، حين ينهى غيره عن الحسد وهو يقع فيه؟! [1].

تنبيه!!

وقبل أن أختم هذا المطلب أحب أن أنبه إلى أن ذكر هذا المعوق ـ وهو اتصاف الداعية ببعض الأخلاق السيئة ـ قد يكون محل نظر عند بعض الأخوات، وموضع نقد لي من بعض الطالبات؛ إذ يمكن أن يقال: الداعية قدوة للآخرين، وحامل رسالة رب العالمين، فكيف يتصور اتصافه بالأخلاق السيئة؟.

---

(١) ينظر: سلسلة مدرسة الدعاة ٢/ ٥٣٨-٥٣٩.

فأقول: هذا هو الأصل، إلا أن الدعاة بشر، وعرضة للشيطان ووسوسته، فقد يقع منهم ما لا يجوز شرعاً، والواقع خير شاهد لما قلت، فقد اطلعت على نصيحة وجهها سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ـ رحمه الله ـ للمنتسبين للعلم والدعوة، يحذر فيها من وقوع بعضهم في أعراض بعض، وقد جاء في هذه النصيحة ما نصه: «...وقد شاع في هذا العصر أن كثيراً من المنتسبين إلى العلم والدعوة إلى الخير يقعون في أعراض كثير من إخوانهم الدعاة المشهورين، ويتكلمون في أعراض طلبة العلم والدعاة والمحاضرين ...» [(١)]، إلى آخر ما جاء في النصحية.

لذا أرى أنه من الأهمية بمكان أن نبيّن هذا المعوّق الكبير من معوقات الدعوة، والذي أرى ـ شخصياً ـ أنه من أعظم أسباب فشل الدعاة الذين لا يكتب لدعوتهم النجاح والقبول، فإذا كان الاتصاف بالأخلاق السيئة معوّقاً من المعوّقات فليعلم أن الخلق الحسن للدعاة من أبرز أسباب نجاح الدعوة.

المطلب الثاني: قلة الصبر واستعجال النتائج:

إن من معوّقات الدعوة الخطيرة، ومن أسباب فشلها، قلة صبر الداعي واستعجاله النتائج.

وهذا المعوّق قد يدفع بالداعي إلى ترك الدعوة، أو النزوع إلى العنف واستعمال القوة في غير محلها ووقتها.

ولما كان الصبر مطلوباً من الداعية أوصى الله نبيه محمداً ﷺ به في كتابه العزيز فقال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [(٢)].

فالله سبحانه وتعالى يوجّه محمداً ﷺ وهو الذي احتمل ما احتمل،

---

(١) ينظر: مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ٧/ ٣١٦.
(٢) الآية ٣٥ من سورة الأحقاف.

وعانى من قومه ما عانى، وهو الذي نشأ يتيماً، وجُرّد من الولي والحامي، ومن كل أسباب الأرض واحداً بعد واحد: الأب، والأم، والجد، والعم، والزوج الوفية الحنون، وخلص لله ولدعوته مجرداً من كل شاغل، وهو الذي لقي من أقاربه المشركين أشد مما لاقى من الأبعدين، وهو الذي خرج مرة ومرة ومرة يستنصر القبائل والأفراد، فيُرَدّ في كل مرة بلا نصرة، وفي بعض المرات باستهزاء السفهاء ورجمهم له بالحجارة حتى تدمى قدماه الطاهرتان، وبعد هذا كله يحتاج إلى توجيه ربه ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾.

ليعلم الدعاة أن طريق الدعوة شاق، وإنه لطريق مرير ... حتى لتحتاج نفس كنفس محمد ﷺ في تجردها وانقطاعها للدعوة، وفي ثباتها وصلابتها، وفي صفائها وشفافيتها، تحتاج إلى التوجيه الرباني بالصبر وعدم الاستعجال على خصوم الدعوة المتعنتين [١].

المطلب الثالث: التفرق والتنازع:

من معوّقات الدعوة الحقيقية تفرق الدعاة وتنازعهم، مما يؤدي إلى التباغض والتقاطع والتدابر.

وقد نهى الله عن التنازع في كتابه العزيز فقال جل وعلا: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[٢]، جاء في تفسير هذه الآية: «أي: ولا يكن منكم تنازع واختلاف، فإن ذلك مدعاة للفشل والخيبة، وذهاب القوة، فيتغلب عليكم العدو» [٣].

---

(١) ينظر: في ظلال القرآن لسيد قطب ٦/ ٣٢٧٥-٣٢٧٦.

(٢) الآية ٤٦ من سورة الأنفال.

(٣) تفسير المراغي ٤/ ١٠.

قال فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين [١] - مبيّناً خطورة هذا التفرق -: «مثل هذا التفرق هو قرة عين شياطين الجن والإنس؛ لأن شياطين الإنس والجن لا يودّون من أهل الخير أن يجتمعوا على شيء، فهم يريدون أن يتفرقوا؛ لأنهم يعلمون أن التفرق تفتت للقوة التي تحصل بالالتزام والاتجاه إلى الله عز وجل، ويدل على هذا قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾[٣]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾[٤]، وقوله: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾[٥]، فالله قد نهانا عن التفرق وبيّن لنا عواقبه الوخيمة، والواجب علينا أن نكون أمة واحدة، وكلمتنا واحدة، فالتفرق فساد وشتات للأمر، وموجب لضعف الأمة الإسلامية...».

المطلب الرابع: ضعف التحصيل العلمي للداعي:

من معوّقات الدعوة عدم الاستعداد الكافي من الداعي إلى الله بالعلم لما يدعو إليه، فالعلم قبل العمل كما قال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ

---

(١) ينظر: الصحوة الإسلامية ضوابط وتوجيهات للشيخ محمد بن صالح العثيمين ص ١١٢، ١١٣.

(٢) الآية ٤٦ من سورة الأنفال.

(٣) الآية ١٠٥ من سورة آل عمران.

(٤) الآية ١٥٩ من سورة الأنعام.

(٥) الآية ١٣ من سورة الشورى.

﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾[١]، فقدّم العلم على العمل.

والواقع أن تقديم العمل على أي عمل ضروري للعامل حتى يعلم ما يريد، ليقصده ويعمل للوصول إليه، وإذا كان سبق العلم لأي عمل ضرورياً فإنه أشد ضرورة للداعي إلى الله؛ لأن ما يقوم به من الدين منسوب إلى رب العالمين[٢].

فمما يعيق مسيرة الدعوة أن يتصدر هذا العمل دعاة لم يتمكنوا من العلم الشرعي، ولم يأخذوا منه ما يكون سبباً لنجاح الدعوة إلى الله.

ونلاحظ هذا في مجتمعات الأقليات الإسلامية، فأحياناً يمسك بزمام الأمور فيها ويتولى أمر المسلمين في تلك المجتمعات أشخاص ليس لديهم إلا الحماسة لهذا الدين فقط.

وأنا لا أثبّط من عمل هؤلاء، ولكني أدعوهم إلى أن يتزودوا بالعلم، وأن يُعْنَوا به، وليحذروا من القول على الله بغير علم، وليُعلَم أن الداعية المؤهل بالعلم الشرعي وبمعرفة العلوم المساعدة إذا بلّغ الدعوة فإنه ـ غالباً ـ يبلّغها على وجه صحيح، فلا يزيغ في عقيدة، ولا يخطئ في حكم، ولا يعجز عن إقناع النفوس المتطلّعة إلى معرفة أسرار الأحكام الشرعية فيكون الإذعان له أتم، والقبول منه أكمل.

وليس المقصود من هذا كله أن يكون الدعاة في ميدان الدعوة علماء في جميع العلوم الشرعية، بل المقصود أن يلمّوا بمبادئ العلوم حتى تكون دعوتهم على علم وبصيرة.

---

(١) الآية ١٩ من سورة محمد.

(٢) أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان ص ٣١٥.

المطلب الخامس: اليأس وعدم الثقة بالنفس:

من معوقات الدعوة اليأس من نجاح الدعوة، وعدم ثقة الداعية بنفسه، وخوفه من فشله.

إن بعض الدعاة قد يقعد به اليأس وعدم الثقة بنفسه إلى درجة يرى معها عدم الفائدة من الدعوة، متعللاً بفرقة الدعاة وتناحر الجماعات الإسلامية، وقوة الكفار، إلى غيرها من التعليلات.

والحق أن هذا كله يدفع لليأس والقنوط، وعدم ثقة الداعية بنفسه ونفعه للناس.

وليعلم الدعاة أن شر ما منيت به النفوس يأس يميت القلوب، وقنوط تظلم به الدنيا وتتحطم معه الآمال، فاليأس قرين الكفر، والقنوط بريد الضلال، قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾[2]، قال أهل التفسير: إن الكافر بقدرة الله وسعة رحمته، والجاهل بما لله في عباده من حكم بالغة ولطف خفي، فإذا لم يصلوا إلى ما يبتغون من كشف ضر أو جلب خير ماتوا همّاً وحزناً.

أما المؤمن حقاً فلا تقنطه المصائب ولا الشدائد من رحمة الله وتفريجه لكربه، ومن ثم قال ابن عباس: «إن المؤمن من الله تعالى على خير، يرجوه في البلاء ويحمده في الرخاء»[3].

إن نجاح الدعوة قد يتأخر أحياناً، والنصر لا يأتي سريعاً، وكل هذا لكي

---

(١) الآية ٨٧ من سورة يوسف.

(٢) الآية ٥٦ من سورة الحجر.

(٣) ينظر: تفسير المراغي ٥/ ٣٠.

لا يكون النصر رخيصاً، وحتى لا تكون دعوة الحق هزلا وهزواً، ولكنها تسير على قواعد ومناهج يكون فيها البلاء والبأساء، ويُتّخَذ فيها الشهداء، ويُمَحَّص فيها المخلِصون من الأدعياء [١].

هذه أبرز المعوّقات الداخلية، وهناك معوّقات أخرى لكن سردها وتفصيلها يطيل البحث، فأكتفي بما ذكرت، والله المستعان.

المبحث الثالث: المعوّقات الخارجية:

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مكر الأعداء:

إن من معوّقات الدعوة مكر الأعداء المستمر بالمسلمين وكيدهم لهم، وتخطيطهم الدائم للقضاء على الدعوة الإسلامية.

وهذا من سنن الله الثابتة في هذه الحياة، ومَعلم من معالم الصراع بين الحق والباطل في تاريخ الدعوة [٢]، قال الله تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[٣]، قال الشوكاني [٤] ـ رحمه الله ـ في تفسير هذه الآية: «المكر هو التدبير في الأمر خفية، والمعنى: أنهم يخفون ما يعدّونه لرسول الله ﷺ من المكايد فيجازيهم الله على ذلك ويرد كيدهم في نحورهم، وسمي ما يقع منه تعالى مكراً مشاكلة كما في نظائره».

ولتخطّي هذه العقبة أوصانا الله بأمرين إن فعلناهما لم يضرنا هذا الكيد شيئاً، قال الله تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا

(١) ينظر: في ظلال القرآن لسيد قطب ٤/ ٢٤٢٦-٢٤٢٧.
(٢) ينظر: المدخل إلى علم الدعوة لمحمد البيانوني ص ٣٦٧.
(٣) الآية ٣٠ من سورة الأنفال.
(٤) فتح القدير ٢/ ٣٠٣.

يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾[١]، فالتقوى والصبر هما السلاحان اللذان نواجه بهما كيد الأعداء، قال المراغي[٢] ـ رحمه الله ـ: «أي: وإن تصبروا على مشاق التكاليف فتمتثلوا الأوامر، وتتقوا كل ما نهيتم عنه وحُظِر عليكم ـ ومن ذلك اتخاذ الكافرين بطانة ـ فلا يضركم كيدهم؛ لأنكم قد وفيتم لله بعهد العبودية، فهو يفي لكم بحق الربوبية، ويحفظكم من الآفات والمخالفات».

المطلب الثاني: تنوع أساليب الأعداء في مواجهة الدعوة والدعاة:

هذا المطلب امتداد وبيان للمطلب السابق وهو مكر الأعداء، فحتى يتضح المكر أريد أن أسرد في هذا المطلب شيئاً من أساليب الأعداء في مواجهة الدعوة والدعاة.

١ـ الدعاية المضللة: قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾[٣]، ولقد مارستْ قريش هذا النوع من الأساليب مع رسول الله ﷺ، قال ابن كثير[٤] ـ رحمه الله ـ في تفسير هذه الآية: «يقول تعالى مسلّياً لنبيه ﷺ وكما قال لك هؤلاء المشركون قال المكذبون الأولون لرسلهم ساحر أو مجنون».

٢ـ التحقير والإهانة: قال تعالى ـ حكاية عن فرعون في خطابه لقومه ضد موسى ـ: ﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾[٥]، ويعني بقوله: مهين، أي: حقير، قاله سفيان الثوري، وقال قتادة والسدي: ضعيف،

---

(١) الآية ١٢٠ من سورة آل عمران.
(٢) تفسير المراغي ٢/ ٤٨.
(٣) الآية ٥٢ من سورة الذاريات.
(٤) تفسير القرآن العظيم ٤/ ٢٥٠.
(٥) الآية ٥٢ من سورة الزخرف.

وقال ابن جرير: يعني لا ملك له ولا سلطان ولا مال، وقوله: ﴿ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ يعني لا يكاد يفصح عن كلامه فهو عَيي حَصِر. قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: وإنما حمل فرعون على هذا الكلام الكفر والعناد [١].

٣ـ التهديد والوعيد: فمن أساليب الأعداء في مواجهة الدعوة والدعاة التهديد والوعيد، قال تعالى ـ عن مواجهتهم لنوح عليه السلام ـ: ﴿ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴾[٢]، وعن مواجهتهم للوط عليه السلام: ﴿ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴾[٣]، وتلقى إبراهيم عليه السلام التهديد من أبيه: ﴿ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾[٤].

وهكذا يواجه سائر الأنبياء والرسل التهديد والوعيد من أقوامهم، ويواجه ذلك الدعاة من بعدهم، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴾[٥].

هذه بعض أساليب الأعداء، وهناك أساليب أخرى أخشى إن فصلت الحديث عنها طال بنا المقام، ولكني أسردها هنا وأذكر المرجع لها:

٤ـ الإيذاء بالقتل أو الضرب أو الحبس أو الإخراج.

٥ـ الحصار والمقاطعة.

---

(١) تنظر هذه الأقوال في: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ١٣٧.

(٢) الآية ١١٦ من سورة الشعراء.

(٣) الآية ١٦٧ من سورة الشعراء.

(٤) الآية ٤٦ من سورة مريم.

(٥) الآية ١٣ من سورة إبراهيم.

٦ـ تأليب الآخرين واستعداؤهم على المؤمنين.
٧ـ السخرية والاستهزاء [١].

(١) ينظر في تفصيل هذه الأساليب: الدعوة إلى الله في ميادينها الثلاثة الكبرى لمحمد بن حامد آل عثمان الغامدى ص٢٦٠-٢٧٠.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، أحمده سبحانه على أن وفقني لإتمام بحث المعوّقات. ويحسُنُ بي أن أذكر في نهاية هذا البحث أبرز النتائج التي توصلت إليها، ثم أذكر تنبيهات تتعلق بالمعوّقات.

فمن أبرز النتائج ما يأتي:

- اتصاف الداعية بالأخلاق السيئة كالعُجْب والغرور والكِبْر والحسد من أبرز معوّقات الدعوة.
- طريق الدعوة طريق شاق يحتاج إلى صبر؛ إذ قلة الصبر واستعجال النتائج يعدّ معوّقاً من معوّقات الدعوة.
- التفرق والتنازع بين الدعاة من معوّقات الدعوة إلى الله.
- من معوّقات الدعوة ضعف التحصيل العلمي للداعي.
- اليأس وعدم الثقة بالنفس معوّق من معوّقات الدعوة.
- من معوّقات الدعوة مكر الأعداء وكيدهم وتربصهم بالدعوة والدعاة.
- لأعداء الدعوة أساليب متعددة وطرق متنوعة في مواجهة الدعوة والدعاة، من أبرزها: الدعاية المضللة، والتحقير والإهانة، والتهديد والوعيد، والإيذاء بالقتل أو الضرب أو الحبس أو الإخراج، والحصار والمقاطعة، وتأليب الآخرين واستعداؤهم على المؤمنين، والسخرية والاستهزاء.

وقبل أن أختم هذا البحث أحب أن أذكر بعض التنبيهات التي أرى أهميتها:

١ـ لا يشترط في معوّقات الدعوة حتى تسمّى معوّقات أن تكون حاصلة

لجميع الدعاة، فيكفي في ذلك أن توجد في صفوف بعض الدعاة ولو قلّوا[١].

٢ـ إن دراسة المعوّقات ومعرفتها ومحاولة إيجاد الحلول لها أمر من الأهمية بمكان، إذا أراد الدعاة لدعوتهم النجاح، ولجهودهم التوفيق والفلاح، مع ملاحظة عدم الإفراط في تضخيم المعوّقات وإعطائها أكبر من حجمها، فهذا مدخل لوقوع الناس في اليأس والقنوط، فإنه ما من داء إلا وأنزل الله له دواء، فعلى الدعاة أن يجتهدوا في معرفة الداء وتشخيصه، ويبذلوا وسعهم في علاجه واختيار الدواء المناسب له، فالأمر كله بيد الله وحده، فهذا من الجهاد، وقد قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[٢]، فليثق الدعاة بوعد الله[٣].

٣ـ إن بعض المعوّقات التي تعوق دون تبليغ الدعوة أو نجاحها ترجع إلى الدعاة أنفسهم، فالواجب حينئذ أن يوجه اللوم إلى النفس قبل أن يبحث عنها في الآخرين ويوجه اللوم إليهم، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾[٤]، واتهام النفس والمبادرة بمعالجة الأخطاء هو منهج السلف الصالح من العلماء الربانيين والدعاة العاملين[٥].

هذا ما أحببت بيانه من التنبيهات، سائلة الله رب الأرض والسماوات أن يوفق القائمين على الدعوة وأن يرزقهم أعلى الدرجات. والحمد لله.

---

(١) ينظر: المدخل إلى علم الدعوة لمحمد أبو الفتح البيانوني ص ٣٤٧.

(٢) الآية ٦٩ من سورة العنكبوت.

(٣) ينظر: المدخل إلى علم الدعوة لمحمد أبو الفتح البيانوني ص ٣٤٨.

(٤) الآية ٣٠ من سورة الشورى.

(٥) ينظر: المدخل إلى علم الدعوة لمحمد أبو الفتح البيانوني ص ٣٤٨، ٣٤٩.

فهرس المصادر والمراجع

١- إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي، دار القلم.

٢- أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان، مكتبة المنار الإسلامية.

٣- أيسر التفاسير لكلام العلي القدير لأبي بكر جابر الجزائري.

٤- بذل المجهود في حل أبي داود، لخليل أحمد السهارنفوري، دار الريان للتراث.

٥- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، المكتبة العلمية.

٦- تفسير القاسمي المسمى: محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين القاسمي، طبعة دار إحياء التراث العربي.

٧- تفسير القرآن العظيم للإمام عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير، دار السلام.

٨- تفسير المراغي للأستاذ أحمد مصطفى المراغي، دار الفكر.

٩- الدعوة إلى الله في ميادينها الثلاثة الكبرى لمحمد بن حامد آل عثمان الغامدي، دار الطرفين.

١٠- سلسلة مدرسة الدعاة لعبد الله ناصح علوان، دار السلام.

١١- سنن أبي داود للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث، دار السلام.

١٢- الصحوة الإسلامية ضوابط وتوجيهات للشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار المجد.

١٣- في ظلال القرآن لسيد قطب، دار الشروق.

١٤- لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، المكتبة الفيصلية.

١٥- مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، طبعة رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء.

١٦- مختصر تفسير ابن كثير لمحمد علي الصابوني، طبعة دار القرآن الكريم.

١٧- المدخل إلى علم الدعوة لمحمد أبو الفتح البيانوني، مؤسسة الرسالة.

البحث الحادي عشر

فوائد دعوية من محاورة إبراهيم لقومه كما وردت في سورة الأنبياء

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فهذه فوائد ووقفات دعوية من حوار إبراهيم مع قومه الذي ورد في سورة الأنبياء.

ومنهجي في هذا البحث المتواضع أنني أسرد الآيات أولاً، ثم أستخلص فوائد دعوية من هذا الحوار، مؤيدة ذلك بكلام أهل التفسير.

الآيات:

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾. سورة الأنبياء.

الفوائد:

الفائدة الأولى:

من صفات المحاور أن يكون راشداً كامل العقل عالِماً.

ونأخذ هذه الفائدة من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ﴾ ومن أدلة رشد إبراهيم قوله لقومه: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾. قال ابن سعدي في تفسيره [1]: «وأعطاه ـ الله ـ من الرشد الذي كمل به نفسه ودعا الناس إليه، ما لم يؤته أحداً من العالمين غير محمد ﷺ، وأضاف الرشد إليه لكونه رشداً بحسب حاله وعلو مرتبته، وإلا فكل مؤمن له من الرشد بحسب ما معه من الإيمان».

الفائدة الثانية:

الابتداء في الدعوة بالأهل والأقربين.

نأخذ هذه الفائدة من قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ﴾ فمن الأخطاء أن يبدأ الداعية بمحاورة ودعوة الأبعدين مع حاجة أهله وأقرباءه لدعوته، ولذا جاء التوجيه القرآني لنبينا محمد ﷺ بقوله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ الشعراء ٢١٤.

الفائدة الثالثة:

اختيار المحاور وانتقاؤه الألفاظ المناسبة أثناء الحوار.

فإبراهيم عليه السلام قال لقومه: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ﴾ فلم يسمها آلهة، استنكاراً منه عليه السلام أن يعكفوا عليها بالعبادة.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٥٢٥، مؤسسة الرسالة.

كما استعمل إبراهيم الأسلوب التحقيري، توبيخاً واحتقاراً لهم على العكوف على عبادتها، بأنها تماثيل صور بلا روح، مصنوعة لا تضر ولا تنفع، فكيف تُعبَد؟!.

قال المراغي في تفسيره [١]: «وقد أراد عليه السلام بهذا السؤال تنبيه أذهانهم إلى التأمل في شأنها، وتحقير أمرها، متجاهلاً حقيقتها، وكأنه يومئ بذلك إلى أنهم لو تأملوا قليلاً لأدركوا أن مثل هذه الأحجار والخشب لا تغني عنهم قُلا ولا كُثراً».

الفائدة الرابعة:

إذا تمسك الخصم بفعل الآباء والأجداد مع مخالفة فعلهم للعقل والفطرة السليمة فليعلم الداعية المحاوِر أن هذا قد جرى لأولي العزم من الرسل ومنهم إبراهيم.

فلما استنكر على قومه عبادتهم هذه الأصنام التي لا تضر ولا تنفع، ما كان جوابهم إلا أن قالوا: ﴿وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ﴾ وهو جواب يدل على التحجر العقلي والنفسي داخل قوالب التقليد المقيت.

قال الرازي في تفسيره [٢]: «فاعلم أن القوم لم يجدوا في جوابه إلا طريقة التقليد الذي يوجب مزيد الكبر؛ لأنهم إذا كانوا على خطأ من أمرهم لم يعصمهم من هذا الخطأ أن آباءهم أيضاً سلكوا هذا الطريق».

الفائدة الخامسة:

على الداعية أن يعلم أن الباطل لا يصير حقاً بكثرة المتمسكين به.

---

(١) تفسير المراغي، تأليف: أحمد مصطفى المراغي ٦/ ٤٣، دار الفكر.

(٢) تفسير الفخر الرازي (مفاتيح الغيب) ١١/ ٨١، دار الفكر.

نأخذ هذه الفائدة من إجابة إبراهيم لقومه حينما قالوا: ﴿وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ﴾ فأجابهم واثقاً من قوله: ﴿لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾، قال الرازي[1]: «فبيّن أن الباطل لا يصير حقاً بسبب كثرة المتمسكين به».

الفائدة السادسة:

على المحاور الداعية أن يجتهد في إحياء التفكير عند الخصم.

نأخذ هذه الفائدة من قول إبراهيم: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾ فقد قصد إبراهيم بهذا إلى إلزامهم الحجة على ألطف وجه وأحسنه، مع حملهم على التأمل في شأن آلهتهم.

ويبدو أن هذا القول من إبراهيم قد هزهم هزاً، وردّهم إلى شيء من التدبر والتفكر ﴿فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

قال المراغي في تفسيره[2]: «وقد كانت مقالة إبراهيم عليه السلام قوية الحجة شديدة الوقع على نفوسهم، وكأنما ألقمهم حجراً».

الفائدة السابعة:

أن الداعية إذا حاور أهل الباطل وأفحمهم فإنهم يلجأون إلى القوة والبطش انتصاراً لباطلهم.

نأخذ هذه الفائدة من أن إبراهيم عليه السلام لَمّا أفحمهم بالحجة والبرهان الساطع أخذتهم العزة بالإثم كما تأخذ الطغاة دائماً حين يفقدون

---

(١) تفسير الفخر الرازي (مفاتيح الغيب) ١١/ ٨١، دار الفكر.

(٢) تفسير المراغي ٦/ ٤٩، دار الفكر.

الحجة ويُعْوزهم الدليل، فيلجأون إلى القوة الغاشمة والعذاب الغليظ ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾.

قال القاسمي في تفسيره [1]: «ولما عجزوا عن المحاجة أخذوا في المضارة، شأن المبطل إذا قرعت شبهته بالحجة لم يكن أحد أبغض إليه من المحق، ولم يبق مفزع إلا مناصبته».

الفائدة الثامنة:

أن الشباب ذكوراً وإناثاً عليهم دور كبير في الدعوة إلى الله.

فالدعوات دائماً ما تقوم على أكتافهم، فإبراهيم حاور قومه وجادلهم ودعاهم وهو شاب ﴿قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾ فتأمّلوا كيف قام إبراهيم بدعوة أبيه وقومه بهذه الحجة الدامغة والبرهان الساطع وهو شاب فتى.

وأخيراً يمكن القول بأن محاورة إبراهيم لأبيه وقومه كانت تقوم على الأدب في الخطاب، وعلى الموعظة الحسنة، وعلى البراهين الواضحة التي تشهد بأنه صادق فيما يبلغه عن ربه، وعلى التبشير بحسن عاقبة من أخلص لله تعالى في عبادته، وعلى الإنذار بسوء عاقبة من أصر على باطله، أما أبوه وقومه فقد قابلوا كل ذلك بالسفاهة والتطاول والتهديد والوعيد بالقتل أو الإحراق، لكن الله نصره ونجاه من كيدهم وجعل العاقبة له ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبينا محمد المؤيد بالمعجزات، وعلى آله وأصحابه وأزواجه الطيبات الطاهرات.

---

(١) تفسير القاسمي المسمى: محاسن التأويل، للعلامة: محمد جمال الدين القاسمي ٥/ ١٦٢، مؤسسة التاريخ العربي.

البحث الثاني عشر

فوائد دعوية من محاورة إبراهيم لأبيه كما وردت في سورة مريم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده. أما بعد:

فهذه فوائد دعوية استنبطتها من محاورة إبراهيم لأبيه كما وردت في سورة مريم، معتمدة في ذلك على كتب التفسير، راجية التوفيق والسداد من العلي القدير.

وسأسرد أولاً الآيات ثم أتبعها بالفوائد:

الآيات:

قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾ سورة مريم.

الفوائد:

الفائدة الأولى:

التدرّج في الدعوة.

حيث سلك إبراهيم مع أبيه هذا الأسلوب عند دعوته ومحاورته إياه. فبدأ

بالأسهل فالأسهل، فأخبر أولاً بعلمه ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا﴾، و هذا العلم موجب لاتباعك إياي، وإنك إن أطعتني اهتديت إلى صراط مستقيم.

ثم نهاه عن عبادة الشيطان، وأخبره بما فيها من المضار، ثم حذّره عقاب الله ونقمته إن أقام على حاله وأنه يكون ولياً للشيطان، فلم ينجع هذا الدعاء بذلك الشقي، وأجاب بجواب الجاهل وقال ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾ (١).

الفائدة الثانية:

طلب التعليل أو الدليل من المخالف.

﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا﴾ فقد طلب إبراهيم من أبيه أثناء دعوته ومحاورته التعليل لفعله الذي لا يفعله أي عاقل.

وما أجمل ما قال أبو السعود في تفسيره: «لقد سلك عليه السلام في دعوته أحسن منهاج، وأقوم سبيل، واحتج عليه أبدع احتجاج بحسن أدب وخلق جميل؛ لئلا يركب متن المكابرة والعناد، ولا ينكب بالكلية عن محجة الرشاد، حيث طلب منه علة عبادته لما يستخف به عقل كل عاقل، من عالم وجاهل، ويأبى الركون إليه، فضلاً عن عبادته التي هي الغاية القاصية من التعظيم، مع أنها لا تحق إلا لمن له الاستغناء التام والإنعام العام، الخالق الرازق المحيي المميت المثيب المعاقب، ونبه على أن العاقل يجب أن يفعل كل ما يفعل، لداعية صحيحة وغرض صحيح، والشيء لو كان حياً مميزا سميعاً بصيراً، قادراً على النفع والضر، مطيقاً بإيصال الخير والشر، لكن كان ممكناً،

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ص ٤٩٥، مؤسسة الرسالة.

لاستنكف العقل السليم عن عبادته وإن كان أشرف الخلائق؛ لما يراه مثله في الحاجة والانقياد للقدرة القاهرة الواجبة، فما ظنك بجماد مصنوع من حجر أو شجر، ليس له من أوصاف الأحياء عين ولا أثر» [(١)].

الفائدة الثالثة:

التلطف واللين أثناء محاورة الداعي للمخالف.

فيلاحَظ أن إبراهيم - عليه السلام - يحاور أباه بألطف وأرقّ ألوان الحوار والخطاب، لقد نادى أباه أربع مرات بلفظ (يا أبت) الدال على الأدب والتوقير [(٢)].

وهنا يجب أن يعلم الداعية المحاوِر أن بعض الحوارات تستلزم اللطف واللين.

الفائدة الرابعة:

على الداعي أن يتحمل كل ما يصيبه أثناء دعوته.

قدوته في ذلك أنبياء الله ورسله وخاصة أولو العزم منهم.

قال الشنقيطي في تفسيره [(٣)]: «إن إبراهيم لّما نصح أباه النصيحة المذكورة مع ما فيها من الرفق واللين، وإيضاح الحق، والتحذير من عبادة ما لا يسمع ولا يبصر، ومن عذاب الله تعالى، وولاية الشيطان، خاطبه هذا

---

(١) نقلاً عن تفسير القاسمي المسمى: محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين القاسمي ٥/ ٨٠-٨١، مؤسسة التاريخ العربي.

(٢) ينظر: أدب الحوار في الإسلام، للدكتور/ محمد سيد طنطاوي، ص ١٥٣، ط نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين الشنقيطي ٤/ ٢٨٧، ط المطابع الأهلية للأوفست.

الخطاب العنيف، وسماه باسمه ولم يقل له يا بني في مقابلة قوله يا أبت، وأنكر عليه أنه راغب عن عبادة الأوثان، أي: معرض عنها لا يريدها؛ لأنه لا يعبد إلا الله وحده جل وعلا، وهدده بأنه إن لم ينته عما يقوله له ليرجمنه، قيل: بالحجارة، وقيل: باللسان شتماً، والأول أظهر. ثم أمره بهجره ملياً أي: زمناً طويلاً، ثم بيّن أن إبراهيم قابل أيضاً جوابه العنيف بغاية الرفق واللين، في قوله ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ﴾».

وهذا جواب الحليم للسفيه، وفيه توديع ومتاركة ومقابلة للسيئة بالحسنة[1].

الفائدة الخامسة:

لا يجزم الداعية المحاور عند دعوته بحصول العذاب على المخالف المعاند. ولكن يستعمل ما استعمله إبراهيم الخليل من قوله لأبيه ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ﴾.

جاء في تفسير القاسمي[2] ما نصه: «لم يصرِّح بأن العقاب لاحِقٌ له، وأن العذاب لاصقٌ به، ولكنه قال: ﴿أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ﴾ فذكر الخوف والمسّ ونكّر العذاب».

الفائدة السادسة:

إذا لم تنفع المحاورة مع المعاندين وخَشِي الداعي على نفسه ودينه فعليه أن يعتزلهم وأن يهاجر إلى مكان يعبد فيه ربه ويدعو إليه.

نأخذ هذه الفائدة من قول إبراهيم لأبيه: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن

---

(١) ينظر: تفسير المراغي ٦/ ٥٧، ط دار الفكر.

(٢) محاسن التأويل ٥/ ٨١، مؤسسة التاريخ العربي.

دُونِ ٱللَّهِ ﴾.

قال المراغي في تفسيره [١]: «أي: وأتباعد عنك وعن قومك وعما تعبدون من الأوثان والأصنام، وأفر بديني وأتشاغل بعبادة ربي الذي ينفعني ويضرني؛ إذ لم تؤثّر فيكم نصائحي».

الفائدة السابعة:

وأختم هذه الفوائد بأن يعلم الداعية ويؤمن بأن من ترك شيئاً لله عوّضه الله خيراً منه.

فها هو إبراهيم الخليل لما دعا أباه وقومه إلى عبادة الله وحده، فلم يؤمنوا بما دعاهم إليه ولم يعبدوا الله، ويتركوا الشرك وعبادة الأصنام، وعلم أن البقاء معهم فيه تضييع للوقت بلا فائدة، هاجر إلى ربه، تاركاً وطنه وقومه ووالده والأرض التي نشأ فيها، وترعرع في مرابعها، وشرب من ماءها، ومشى على حصبائها، فعوّضه الله بأن وهبه خيراً مما ترك.

قال المراغي في تفسيره [٢]: «فلما اعتزل إبراهيم أباه وقومه لم يضره ذلك لا في دين ولا دنيا، بل نفعه إذ أبدله بهم من هم خير منهم، ووهبه بنين وحفدة هم آباء الأنبياء من بني إسرائيل، ولهم الشأن الخطير، والقدر العظيم، فقد وهبه الله إسحاق، وَوُلد لإسحاق يعقوب، وقاما مقامه بعد موته، وورثا منه النبوة...».

هذا ما تيسر استنتاجه واستخلاصه من فوائد محاورة إبراهيم لأبيه.

أسأل الله أن ينفعنا بما علمنا، وأن يزيدنا علماً وفهماً.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله.

---

(١) تفسير المراغي ٦/ ٥٨، دار الفكر.

(٢) المرجع السابق.

فهرس المحتويات

الإهداء ٥
المقدمة ٧
البحث الأول: تعريف الدعوة والاحتساب والتطوع فيهما ١١
البحث الثاني: هداية الساري بإجابة الأسئلة الخاصة بالداعي ٢٧
البحث الثالث: الروضَةُ النّدِيّة في إجابة الأسئلة المتعلقة بالمدعو في السنة النبوية ٥١
البحث الرابع: موضوع الدعوة ٧١
البحث الخامس: القرآن والدعوة ٨٩
البحث السادس: صور احتسابية من العهد النبوي وحتى العهد العباسي ١١١
البحث السابع: غايات الدعوة وأهدافها ١٣٩
البحث الثامن: أساليب الدعوة ١٥٩
البحث التاسع: التمثيل واستخدامه في الدعوة إلى الله ١٨٥
البحث العاشر: معوقات الدعوة ٢٤٧
البحث الحادي عشر: فوائد دعوية من محاورة إبراهيم لقومه كما وردت في سورة الأنبياء ٢٧٣
البحث الثاني عشر: فوائد دعوية من محاورة إبراهيم لأبيه كما وردت في سورة مريم ٢٨١

شركة المطابع الأهلية للأوفست المحدودة
National Offset Printing Press Ltd. Co.